مالكولم غلادويل

MALCOLM GLADWELL

مافيا قاذفات القنابل

حلُم، إغراء، وأطول ليالي الحرب العالمية الثانية

THE BOMBER MAFIA

A DREAM, A TEMPTATION, AND THE LONGEST NIGHT OF THE SECOND WORLD WAR

تُرجم إلى 26 لغة عالمية

مكتبة ١١١٢

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مافيا
قاذفات القنابل

حلُم، إغراء، وأطول ليالي الحرب العالمية الثانية

THE BOMBER MAFIA

A DREAM, A TEMPTATION, AND THE LONGEST NIGHT OF THE SECOND WORLD WAR

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

THE BOMBER MAFIA

A Dream, a Temptation, and the Longest Night of the Second World War

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من الناشر

Hachette Book Group Inc., 1290 Avenue of the Americas, New York, NY 10104

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2021 by Malcolm Gladwell

All rights reserved

Arabic Copyright © 2021 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: تشرين الثاني/نوفمبر 2021 م - 1443 هـ

ردمك 978-614-01-3370-9

جميع الحقوق محفوظة للناشر

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

22 3 2023 مكتبة
t.me/soramnqraa

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

مالكولم غلادويل
MALCOLM GLADWELL

مافيا
قاذفات القنابل

حلُم، إغراء، وأطول ليالي الحرب العالمية الثانية

THE BOMBER MAFIA
A DREAM, A TEMPTATION, AND THE LONGEST NIGHT
OF THE SECOND WORLD WAR

مكتبة 1112

تعريب

إسماعيل كاظم

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

المحتويات

ملاحظة المؤلّف..... 7

مقدمة: "هذا لا يجدي نفعاً. أنت مطرود"..... 13

القسم الأول: الحلم..... 21

الفصل الأول: "كان السيد نوردن يشعر بالرضى في قضاء وقته في الورشة". 23

الفصل الثاني: "تحقق التقدم من دون أن تعيقنا الأعراف"..... 39

الفصل الثالث: "كان يفتقر إلى رابطة التعاطف الإنساني"..... 61

الفصل الرابع: "كان أكثر المؤمنين إيماناً"..... 81

الفصل الخامس: "كان الجنرال هانسل مذعوراً"..... 99

القسم الثاني: الإغواء.....119

ملاحظة المؤلّف.....121

الفصل السادس: "سيكون ذلك انتحاراً، أيها الفتيان، انتحارا".....125

الفصل السابع: "فإن سجدتَ أمامي يكون لك كل هذا".....147

الفصل الثامن: "كله رماد. كل ذلك وذلك وذلك".....169

الفصل التاسع: "دمار مرتجَل".....187

خلاصة: "على نحو مفاجئ، سيختفي المنزل الجوي. بووف". 201

ملاحظات.....207

ملاحظة المؤلّف

عندما كان والدي صبيًا صغيرًا، اعتاد أن يستلقي في سريره، ويستمع إلى أصوات الطائرات تُحلّق فوقه في طريقها إلى داخل البلاد، قبل أن تعود إلى ألمانيا مع ساعات الصباح الأولى. كان هذا في كينت، في إنكلترا، على بعد أميال قليلة إلى جنوب شرق لندن. وُلِدَ والدي عام 1934، وهذا يعني أنه كان في الخامسة من عمره عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية. وقد سمّى البريطانيون كينت زقاق القنابل، لأنها كانت المقاطعة الإنكليزية التي تُحلق فوقها الطائرات الحربية الألمانية في طريقها إلى لندن.

خلال تلك السنوات، شاع أن تخطئ قاذفات القنابل أهدافها حتى أن بعضها كانت تلقي بما تبقّى لديها من قنابل في أي مكان خلال رحلة عودتها. في أحد الأيام، سقطت قنبلة أخطأت هدفها في حديقة جدّي الخلفية، ولم تنفجر. استقرت هناك فقط، نصف مدفونة في الأرض، وأعتقد أنه من المنصف القول إنك إذا ما كنتَ صبيًا في الخامسة من

عمره ومهتمًا بالأشياء الميكانيكية، فإن قنبلة ألمانية غير منفجرة مستقرة في حديقتك الخلفية ستكون التجربة الاستثنائية التي يمكن تخيّلها.

ليس والدي من وصفها على هذا النحو. كان والدي رياضيًا، وإنكليزيًا، وهذا يعني أن لغة العواطف لم تكن لغته/*الأولى*، إنما كانت كاللاتينية أو الفرنسية؛ أقصد أنها كانت شيئًا يمكن للمرء أن يدرسه ويفهمه، لكنه لا يتمكّن منه بشكل كامل مطلقًا. لم تكن قنبلة ألمانية غير منفجرة في حديقتك الخلفية التجربة الأكثر استثنائية التي يمكن تخيّلها بالنسبة إلى صبي في الخامسة من عمره؛ كان هذا تفسيري عندما أخبرني والدي بقصة القنبلة عندما كنتُ في الخامسة من عمري.

كان ذلك أواخر ستينيات القرن الماضي. في ذلك الوقت كنا نقيم في إنكلترا، وتحديدًا في ساوثمبتون، وكانت الشواهد على ما مرت به البلاد في كل مكان. إذا ذهبتَ إلى لندن، يمكنك أن تعرف أين سقطت القنابل.

في تلك الأيام، ما كنا نغير موجة الراديو عن محطة البي بي سي، وبدا أن واحدًا من كل لقاءين كان يُجرى مع أحد الجنرالات أو المظليين أو أسرى الحرب العجائز. كانت فكرة القصة القصيرة الأولى التي كتبتها في طفولتي أن هتلر لا يزال حيًا وفي طريقه إلى مهاجمة إنكلترا مجددًا. وقد أرسلتُها إلى جدتي، تلك التي في كينت، والتي سقطت القنبلة في حديقتها الخلفية ولم تنفجر. عندما سمعت أمي بقصتي عاتبتني، فقد لا يستمتع شخص نجا من الحرب بقصة عن عودة هتلر.

ذات مرة، أخذني والدي مع أخواتي إلى شاطئ يطل على القنال الإنكليزي. زحفنا معًا عبر بقايا تحصين قديم يعود إلى الحرب العالمية الثانية. لا أزال أتذكر الإثارة المترتبة عن التساؤل عمّا إذا كنا سنعثر على بعض الرصاصات القديمة، أو غلاف إحدى المقذوفات، أو حتى الهيكل العظمي لجاسوسٍ ألماني فُقد منذ فترة طويلة، وقذفت به الأمواج على الشاطئ.

لا أعتقد أننا نفقد ما كان يبهرنا في طفولتنا، فهذا ما حصل معي. دائمًا ما أقول على سبيل المزاح: ما من رواية تحتوي على كلمة جاسوس لم اقرأها. قبل سنوات، شعرت بالدهشة، عندما كنت أتفقد رفوف مكتبتي، حين لاحظت عدد الكتب التي تتناول موضوع الحرب. إنها مجموعة من أكثر الكتب مبيعًا، وهي أيضًا كتب متخصصة بالتاريخ. بعضها كان عبارة عن مذكرات لم تعد متوفرة لدى الناشرين، ونصوصًا أكاديمية، وكتبًا تعرض لجوانب مختلفة عن الحرب. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا، ما هو الموضوع الذي تتناوله معظم هذه الكتب؟ إلقاء القنابل. *القوة الجوية* لستيفن بَديانسكي. *الخطاب والواقع في الحرب الجوية* لتامي ديفيس بيدِل. *القرار حول شواينفورت* لتوماس م. كوفي. كان لديّ رفوف كاملة من كتب التاريخ هذه.[1]

في العادة، عندما أجمع الكتب بهذه الطريقة، يكون لديّ رغبة في كتابة شيء عن الموضوع. لديّ رفوف من الكتب عن علم النفس

---

(1) يمكنني أن أمضي قدمًا. على سبيل المثال إذا لم تكن قد قرأت *عن بيرل هاربور: "التحذير والقرار"* لروبرتا وولستيتر، فإنك تكون قد فوّت متعة حقيقية.

الاجتماعي لأنني عشت من الكتابة عن علم النفس الاجتماعي. لكنني في الواقع لم أكتب كثيرًا عن الحرب، خاصةً الحرب العالمية الثانية، أو بشكل أكثر تحديدًا، القوة الجوية. القليل فقط هنا وهناك.[1] لماذا؟ في الحقيقة أنا لا أعرف السبب. أعتقد أن مثل هذا السؤال يمكن أن يجعل فرويد الذي يسكنني يحظى ببعض المرح. لكن الإجابة الأبسط قد تكون أنه كلما عنى لك الموضوع أكثر أصبح إيجاد قصة تريد أن تخبرها أصعب. ولكن الأمر مختلف فيما يخص مافيا قاذفات القنابل، وهو الكتاب الذي تقرأه الآن. يُسعدني القول إنه ومن خلال *مافيا قاذفة القنابل*، وجدتُ قصة تستحق أن تشغل وسواسي في الكتابة.

لا بد من ذكر شيء في ما يخص كلمة "وسواسي". صحيح أن هذا الكتاب يخدم وساوِسي ولكنه يتحدث أيضًا عن وساوس أشخاص آخرين، إنه في الحقيقة يتحدث عن أكبر وساوس القرن العشرين. عندما أنظر إلى الأشياء التي كتبت عنها أو استكشفتها عبر السنوات أُدرك مرةً إثر أخرى أنني منجذب نحو الوسواسيين؛ إنهم يعجبونني، وتعجبني فكرة أنه يمكن لشخص ما أن يدفع بعيدًا كل مشاغل الحياة اليومية وتفاصيلها، ويركّز على شيء واحد فقط؛ الشيء الذي يلائم مخيلته أو مخيلتها. يقودنا الوسواسيون أحيانًا نحو وجهة خاطئة، لأنهم لا يستطيعون رؤية الصورة الأكبر، وهم لا يسعون إلى خدمة مصالح العالم

---

(1) لطالما كانت القوة الجوية أمرًا تحدثت عنه لمامًا في عدد من حلقات مدونتي الصوتية، *التاريخ المراجَع*، منها: "سايغون 1965"، "رئيس الوزراء والبروفيسور"، والسلسلة التي تبدأ بـ "مافيا قاذفة القنابل" والتي تحمل الاسم نفسه في الموسم الخامس.

إنما فقط مصالحهم الخاصة الضيقة. إلا أنني لا أعتقد أننا نحقق التقدم الذي ننشده أو الابتكار الذي نسعى إليه أو المتعة أو الجمال من دون الوسواسيين.

عندما كنت أُعِدّ هذا الكتاب، تناولت العشاء مع رئيس أركان القوات الجوية للولايات المتحدة في ذلك الوقت، ديفيد غولدفين. كان ذلك في المنزل الجوي، على أرض قاعدة ماير-هندرسن هول المشتركة شمال فيرجينيا، عند الضفة المقابلة لواشنطن العاصمة من نهر البوتوماك؛ إنه منزل فيكتوري ضخم في شارعٍ من المنازل الفيكتورية الضخمة حيث يقطن العديد من ذوي المناصب العليا في الجيش.

بعد العشاء، دعا الجنرال غولدفين مجموعة من أصدقائه وزملائه، وهم مسؤولون رفيعون آخرون في القوات الجوية، لكي ينضموا إلينا. جلس ما مجموعه خمسة منا في حديقة منزل الجنرال الخلفية، وكان الجميع تقريبًا طيارين عسكريين سابقين، وكان العديد من آبائهم طيارين عسكريين أيضًا، كانوا المكافئ المعاصر للأشخاص الذين ستقرأ عنهم في هذا الكتاب. خلال السهرة لاحظت التالي:

يقع المنزل الجوي بالقرب من مطار ريغان الوطني. كل عشر دقائق تقريبًا، كانت تقلع إحدى الطائرات محلّقة فوق رؤوسنا. لم يكن في الأمر شيء خاص أو مميز: طائرات ركاب تجارية عادية، تحلّق نحو شيكاغو أو تامبا أو تشارلوت. وفي كل مرة حلّقت فيها إحدى تلك الطائرات فوق رؤوسنا كان الجنرال ورفاقه يلقون نظرة سريعة إلى الأعلى. لم يكن بمقدورهم ضبط أنفسهم؛ إنهم وسواسيون.

مقدمة

"هذا لا يجدي نفعاً. أنت مطرود".

مكتبة
t.me/soramnqraa

.1

لفترة طويلة من الزمن، كان المطار الأكبر في العالم يقع وسط الجزء الغربي من المحيط الهادئ، على بعد 1500 ميل تقريبًا من ساحل اليابان، على إحدى الجزر الصغيرة المدارية والتي تُعرف بأرخبيل ماريانا: غوام. سايبان. تينيان. جزر الماريانا هي النهاية الجنوبية لسلسلة جبال تغمر المياه جزءًا كبيرًا منها، وتشكل ذرى البراكين ثغرات عبر مياه المحيط العميقة. خلال معظم تاريخها، لم يكن لجزر الماريانا قيمة أو منفعة كبيرة لأحد في العالم الأوسع. ولكن بحلول عصر القوة الجوية، حظيت بشكل مفاجئ بأهمية هائلة.

خلال معظم فترات الحرب العالمية الثانية، كانت جزر الماريانا بأيدي اليابانيين، إلا أنها سقطت بيد الجيش الأميركي في صيف العام 1944 إثر حملة ضارية. في البدء، سقطت سايبان، في تموز. ثم تينيان وغوام، في آب، وعندما رسا مشاة البحرية، رسا معهم نحل البحر –

كتيبة البناء في البحرية - وبدؤوا العمل بحيوية وتصميم.

خلال ثلاثة شهور جُهزت قاعدة جوية كاملة - آيلي فيلد -على أرض سايبان. ثم المطار الأكبر في العالم، نورث فيلد على جزيرة تينيان والمؤلف من أربعة مدرجات بطول 8500 قدم. تلى ذلك، على غوام، ما يعرف اليوم بقاعدة أندرسن للقوات الجوية، بوابة قوات الولايات المتحدة الجوية إلى الشرق الأقصى. ثم هبطت الطائرات.

في ذلك الوقت، كان رونالد ريغان يؤدي التعليق الصوتي في الأفلام الحربية، وكان أحد تلك الأفلام مكرّسًا للمهمات المبكرة لطائرة بي-29، المعروفة بالقلعة الخارقة. وصف ريغان الطائرة بأنها إحدى عجائب العالم، سفينة جوية عملاقة:

> بأربعة محرّكات تعادل قوة الواحد منها قوة 2200 حصان، وهي مزودة بخزان وقود تبلغ سعتُه سعةَ ذلك العائد لقطار نقل البضائع السائلة والغازية، أما ارتفاع ذيلها فيعادل ارتفاع طابقين. جسم أطول من سيارة كورفيت. مصممة لتحمل دمارًا كبيرًا على ارتفاع وسرعة لم تبلغهما أي قاذفة قنابل من قبل. ولكي تُتِمّ هذه المهمة، هذا ما كان عليها القيام به تمامًا.

كان باستطاعة طائرة بي-29 أن تطير أسرع وأعلى، ولمسافة أطول من أي قاذفة قنابل أخرى في العالم. هذا المدى المتّسع - بالإضافة إلى الاستحواذ على جزر الماريانا - عنى أنه، وللمرة الأولى منذ أن بدأت الحرب في المحيط الهادئ، كانت قوات جيش الولايات المتحدة الجوية ضمن مسافة تمكّنها من ضرب اليابان. أُنشئت وحدة خاصة

لإدارة شؤون أسطول قاذفات القنابل الموجودة الآن في جزر الماريانا: قيادةُ قاذفات القنابل الحاديةُ والعشرون، تحت قيادة جنرال شاب ألمعي اسمه هيوُود هانسل.

طوال خريف وشتاء عام 1944، أطلق هانسل هجومًا إثر آخر، فحلّقت مئات طائرات بي-29 فوق مياه المحيط الهادئ، وألقت بقنابلها فوق اليابان، ثم عادت إلى جزر الماريانا. في الوقت الذي كان فيه طيارو هانسل يستعدون لمهاجمة طوكيو، قَدِم المراسلون والمصورون من البرّ الأميركي الرئيسي لتسجيل الإثارة للشعب الأميركي في الوطن.

رونالد ريغان مجددًا:

كانت طائرات بي-29 في سايبان مثل مدفعية موجهة إلى قلب اليابان؛ كانت قيادة قاذفات القنابل الحادية والعشرون مستعدة لضرب هدفها الأول.

في السادس من كانون الثاني عام 1945، وصل لوريس نورستاد، ضابط قيادة هانسل، إلى جزر الماريانا. كانت الأمور بدائية للغاية على غوام حيث كانت مقرات القيادة مجرّد مجموعة من عنابر كوَنسيت معدنية على منحدر يطل على المحيط. كان الرجلان منهكين، ليس فقط بسبب الحرمان من ضروريات الحياة في ذلك الوقت، ولكن بسبب ثقل المسؤوليات الملقاة على عاتقيهما. ذات مرة، قرأتُ مقطعًا كتبه الجنرال في القوات الجوية الملكية آرثر هاريس عما يعنيه أن يكون المرء قائدًا جويًا خلال الحرب العالمية الثانية:

أشك أن يدرك، إلا قلة قليلة ممن اختبروا الأمر، مدى الضغط الذهني الذي يتعرض له قائد قوة جوية كبيرة. في الوقت الذي قد يطلب فيه من قائد قوة بحرية تنفيذ عملية كبيرة مرة أو مرتين كحد أقصى خلال كامل الحرب، وفي الوقت الذي يخوض فيه قائد قوة برية معركة كل ستة أشهر أو مرة كل شهر في ظل ظروف استثنائية، يتوجب على قائد قوة جوية تنفيذ ذلك كل أربع وعشرين ساعة... من الأفضل أن نترك للمخيلة تصوّر ما يرقى إليه مثل هذا الإجهاد اليومي عندما يستمر لسنوات.

حسنًا، كان هانسل ونورستاد في غوام، وهما طيّاران أنهكتهما الحرب، يواجهان ما يتمنيان أن يكون فصلها الأخير، اقترح هانسل جولة سريعة: لنقف على الشاطئ، نتأمل بإعجاب المدارج الجديدة التي نتجت عن اقتطاع أشجار الغابة. ندردش حول التكتيكات والخطط. رفض نورستاد؛ كان لديه شيء شخصي أكثر ليناقشه. في لحظة سترافق هيوود هانسل طوال ما تبقّى من حياته، توجّه إليه نورستاد قائلًا: *هذا لا يجدي نفعًا. أنت مطرود.*

بعد سنوات، وصف هانسل، مشاعره في تلك اللحظة: "اعتقدتُ أن الأرض قد انهارت. سُحِقتُ تمامًا". ثم وجّه إليه نورستاد الضربة الثانية، الأعمق. قال: *سأطلب من كورتس لوماي أن يحل مكانك.*

الجنرال كورتس إيمرسون لوماي، في الثامنة والثلاثين من عمره، بطل حملات إلقاء القنابل على ألمانيا، وصاحب أكبر عدد من القصص

بين طياري جيله. كان هانسل يعرفه جيدًا، فقد خدما معًا في أوروبا. وفهم هانسل مباشرةً أن هذا لم يكن إعادة تنظيم عادية للقيادة. كان هذا تقريضًا. فواشنطن تنظر الآن إلى ما قام به هانسل على أنه خاطئ. ذلك لأن كورتس لوماي كان نقيض هيوود هانسل.

عرض نورستاد على هانسل أن يبقى إن أراد، وأن يتسلّم منصب نائب لوماي، وهي فكرة عدّها هانسل مهينة إلى درجة أنه بالكاد استطاع التحدث. أخبره نورستاد بأن لديه عشرة أيام لإنهاء أموره. جالَ هانسل في المكان وهو يشعر بالدوار. في ليلته الأخيرة في غوام، احتسى هانسل من الشراب أكثر بقليل من المعتاد، وغنّى لرجاله، فيما عزف كولونيل شاب على الغيتار: "الطيارون المسنون لا يموتون أبدًا، لا يموتون أبدًا، كُلُّ ما في الأمر أنهم يحلقون بعيدًا".

عندما وصل كورتس لوماي لتسلّم منصبه، حلّق فوق الجزيرة في قاذفة قنابل من طراز بي-29. عُزِفَ نشيد "الراية المرصعة بالنجوم". قدّم طيارو قيادة قاذفات القنابل الحادية والعشرين عرضًا عسكريًا بغرض تقييمهم، واقترح ضابط العلاقات العامة التقاط صورة لهما معًا تخليدًا للحظة. كان لوماي يضع غليونًا في فمه - كان دائمًا ما يضع غليونًا في فمه - ولم يعلم ما عليه أن يفعل به. حاول باستمرار أن يضعه في جيبه. قال مساعده: "أيها الجنرال، أرجو السماح لي بحمل غليونك بينما تُلتقَط الصورة".

قال لوماي بصوت هادئ: "أين تريدني أن أقف؟". ضُغِط زر الكاميرا التي التقطت صورة ينظر فيها هانسل بعيدًا بعينين نصف

مغمضتين في الوقت الذي كان فيه لوماي ينظر إلى الأسفل صوب الأرض. رجلان يتوقان إلى أن يتواجدا في أيّ مكان إلا بصحبة بعضهما، وبمثل هذه الصورة انتهى الأمر.

مافيا قاذفة القنابل هو قصة تلك اللحظة. ما قاد إليها وما حدث تاليًا؛ لأن أصداء ذلك التغيير في القيادة لا تزال تتردد إلى يومنا هذا.

.2

لطالما حيرني أمرٌ ما حول الثورات التكنولوجية؛ تأتي فكرة أو ابتكار جديد ويكون واضحًا للجميع أن ذلك سيقلب عالمنا. الإنترنت، وسائل التواصل الاجتماعي، وقبل ذلك كان الهاتف، والسيارة. ونتوقّع أن تصبح الأمور أفضل وأكثر فعالية، وأكثر أمانًا، وأكثر ثراءً، وأسرع بفضل هذا الاختراع. وهذا ما يحدث غالبًا. غير أن الأمور دائمًا ما تسير على نحو خاطئ أيضًا. في لحظة ما، يُحتفى بوسائل التواصل الاجتماعي بصفتها ستتيح للمواطنين العاديين قلبَ الطغيان. وفي اللحظة التالية، يُخشى منها بصفتها المنصة التي ستتيح للمواطنين أن يطغى بعضهم على بعض. كان يفترض بالسيارة أن تأتي بالحرية والحركة، وهذا ما فعلته لفترة من الزمن، ثم وجد الملايين من الناس أنفسهم يقطنون على بُعد أميال من أماكن عملهم، محتجزين في زحمة سير لا نهاية لها. كيف للتكنولوجيا، وبسبب العديد من الأسباب العشوائية وغير المتوقعة، أن تنزلق أحيانًا بعيدًا عن سبيلها المنشود؟

مافيا قاذفات القنابل هو دراسة حالة عن الأحلام التي تنحرف عن مسارها، وعن الأفكار الجديدة اللامعة التي تسقط من السموات، إلا أنها لا تحط بخفة في أحضاننا، بل تصطدم بقوة بالأرض وتتهشم. القصة التي سأرويها ليست قصة عن الحرب، على الرغم من أن معظم أحداثها جرت في الحرب. إنها قصة عبقري هولندي وحاسوبه المصنوع منزليًا، وقصة عصبة أخوّة وسط ألاباما، وقصة بريطاني مضطرب عقليًا، وكيميائيين مصابين بهوس الحرائق في مختبرات قبو في جامعة هارفرد. إنها قصة عن فوضى نوايانا، لأننا دائمًا ما ننسى الفوضى عندما ننظر وراءنا.

في وسط كل هذا، كان هيوود هانسل وكورتس لوماي، اللذان استعدا للقتال في غابات غوام.

أُرسِل أحدهما إلى منزله، وبقي الآخر. الأمر الذي انتهى إلى نتيجة ستقود إلى الليلة الأحلك خلال الحرب العالمية الثانية. خذ قصتهما في عين الاعتبار واسأل نفسك: ماذا كنت سأفعل؟ في أي صف كنت سأقف؟

القسم الأول

الحلم

الفصل الأول

"كان السيد نوردن يشعر بالرضى في قضاء وقته في الورشة".

مكتبة
t.me/soramnqraa

1.

عندما كانت الحرب التي ستلتهم العالم همًّا دون أن تتحقق واقعًا بعد، أصبح أحد الرجال محط اهتمام الجيش الأميركي.

تجنب كارل ل. نوردن. طوال حياته الأضواء. كان في بعض الأحيان يعمل بمفرده، وخلال الفترات العصيبة كان يعود إلى أوروبا ليحلم، جالسًا إلى طاولة مطبخ والدته. أسس عملًا وظف فيه مئات العمال. وعندما انتهت الحرب، تخلّى عن ذلك كله. لا توجد سيرة ذاتية كاملة عن نوردن، ولم تُقدِّم المقالات ملفًا شخصيًا له[1]، ولم تُشيّد تماثيل من أجل تكريمه، لا في موطنه هولندا، ولا في سويسرا حيث عاش وتوفي، ولا في وسط مانهاتن حيث أنجز عمله الأهم. أثّر نوردن في مسار حربٍ، وأشعل فتيل حلم سيستمر طوال ما تبقّى من القرن. ليس من

(1) في العام 2011 تحدثت عن نوردن واختراعه خلال مؤتمر تيد توك.

الممكن أن يترك المرء أثرًا على عالمه كالذي تركه نوردن ثم يختفي عن الأنظار. غير أنه فعل ذلك. في كتاب تقني مكون من 352 صفحة عن اختراع نوردن، توجد عبارة واحدة مكرّسة له: "كان السيد نوردن يشعر بالرضى في قضاء وقته الذي كان يصل في بعض الأحيان إلى ثماني عشرة ساعة في اليوم في الورشة".

هذا هو الأمر.

حسنًا، قبل أن نبدأ بحلم نوردن وعواقبه - التأثير الذي سيتركه نوردن في جيل كامل - دعونا نبدأ بنوردن نفسه. سألت البروفيسور ستيفن أل. مكفارلاند، أحد المؤرخين القلائل - لعلّه المؤرخ الوحيد - الذين نبشوا حقًا في قصة كارل نوردن: لماذا يوجد القليل جدًا من السجل الوثائقي عن المخترع؟ أجاب البروفيسور: "لأنه لطالما طالب بالسرية المطلقة". واصل واصفًا الرجل: "حسنًا، كان واخزًا للغاية. كانت أناه أكبر من "أنا" أي شخص لم ألتقِ به. وأنا أقول *لم ألتقِ به* لأنني بالطبع لم ألتقِ بنوردن".

كان نوردن هولنديًا. وُلِد في ما يُعرف اليوم بدولة إندونيسيا، التي كانت مستعمرة هولندية في ذلك الوقت. أمضى ثلاث سنوات يتدرّب في ورشة سويسرية، ثم نال درجة في الهندسة من المدرسة البوليتكنيكية الفيدرالية المرموقة في زيوريخ، حيث كان أحد زملاء صفه هو فلاديمير لينين. كان نوردن مرتبًا، وأنيقًا. يرتدي بذلة مكونة من ثلاث قطع. لديه شعر أبيض قصير، وشارب كث، وعينان بأجفان ثقيلة تذيلهما خطوط عميقة كأنه لم ينَم منذ سنوات، لُقّب نوردن بالديناميت

العجوز، وكان يشرب ليترات من القهوة، ويعيش على تناول شرائح اللحم.

بحسب ما قاله مكفارلاند، كان نوردن يعتقد أن الشمس تسبب الغباء، وكان يستند في اعتقاده هذا إلى أسس بيولوجية. ولذلك ما كنت تراه في الخارج مطلقًا من دون اعتماره قبعة كبيرة. كان أفراد عائلته مجبرين على اعتمار القبعات في الخارج دائمًا. استقر في طفولته في الإنديز الشرقية الهولندية، وعلى الرغم من ذلك، فإنه وعائلته دائمًا ما اعتمروا القبعات لأن الشمس تسبب الغباء!

كتب مكفارلاند أن نوردن: "قرأ ديكنز بتعطش واستلهم منه حياة المحرومين، وقرأ ثورو للتعرف إلى الحياة البسيطة". كان يكره دفع الضرائب، ويعتقد أن فرانكلن روزفلت هو الشيطان.

وصف مكفارلاند كم كان يمكن لنوردن أن يكون غريب الأطوار:

> هناك قصة مشهورة تدور حول نظره من فوق كتف أحد التقنيين، الأمر الذي أشعر التقني بشيء من التوتر، ودفعه إلى محاولة بدء محادثة. نظر إليه وقال: "هل يمكنك أن تشرح لي لماذا نصنع هذا الجزء بهذه الطريقة؟". فصرخ به نوردن بأعلى صوته بعدما انتزع السيجار من فمه: "هناك مئة ألف سبب لصنعي هذا الجزء بهذه الطريقة، وليس أيٌّ منها من شأنك". بهذه الطريقة كان يعامل موظفيه جميعًا. كان الديناميت العجوز حقًا.

واصل مكفارلاند شارحًا مثالية نوردن:

لم تكن النفقات مهمة؛ كان الأمر "اصنعه بالشكل الأمثل الممكن". رأيت كيف يتعلم المهندسون ما يتعلمونه وكيف ينجزون ما ينجزونه، غير أنهم جميعًا تحدثوا عن أهمية دراسة ما كان قد أُنجِز من قبل. كان موقف نوردن: "لا أريد سماع شيء عمّا مضى". كل ما كان يحتاج إليه هو أوراق فارغة، وقلم رصاص، وبضعة كتب هندسية تملَؤُها صيغ حول كيفية حساب مشاكل رياضية محددة. كان مؤمنًا حقيقيًا بالسجل الفارغ، وهذا يكشف عن غروره. قال: "لا أريد معرفة الأخطاء التي ارتكبها أشخاص آخرون، ولا أريد معرفة ما أصابوا بفعله، فأنا أريد أن أُطوّر ما هو صائب بنفسي".

ما الذي كان كارل نوردن يطوّره على أوراقه الفارغة؟ مُصَوِّبُ قنابل. لم يعد أحد يستخدم مصوّب القنابل - ليس في عصر الرادار ونظام تحديد المواقع العالمي - غير أن مصوّبات القنابل كانت موادًا ذات أهمية عظيمة طوال القسم الأكبر من القرن الماضي. دعوني أذهب أبعد من ذلك، إذ يوجد خطر حقيقي هنا في التقليل من شأنها. لنقل إنك كنت ستضع قائمة في السنوات المبكرة من القرن العشرين بالمشكلات التكنولوجية العشر الأكبر لنصف القرن التالي، ما هي المشكلة التي كانت ستحتل رأس القائمة؟ حسنًا، بعض الأمور واضحة. كانت اللقاحات حاجة ملحّة لدرء أمراض الطفولة: الحصبة،

والنكاف، وكان هناك حاجة لأسمدة زراعية أفضل للمساعدة في درء المجاعة. كان يمكن جعل أجزاء هائلة من العالم أكثر إنتاجية بتوفير أجهزة تكييف مناسبة، وبأسعار معقولة. وكان العالم بحاجة إلى سيارة رخيصة بما يكفي كي تتحمّل تكلفتها أسرة من الطبقة العاملة. بإمكاني المضي قدمًا، غير أنه في مكان ما على تلك القائمة ستكون هناك مسألة عسكرية بالتحديد: هل هناك طريقة أكثر دقة للإلقاء بقنبلة من الطائرات؟

الآن، لماذا تنتمي تلك المشكلة إلى القائمة نفسها كما اللقاحات، والأسمدة، وأجهزة التكييف؟ لأن العالم خاض في وقت مبكر من القرن العشرين الحرب العالمية الأولى، التي راح ضحيتها سبعة وثلاثون مليونًا بين جريح وقتيل. سبعة وثلاثون مليونًا. كان هناك أكثر من مليون قتيل خلال معركة السوم، معركة واحدة لم يكن لها تأثير ملحوظ على سير الحرب. بالنسبة إلى أولئك الذين نجوا منها، كانت الحرب العالمية الأولى تجربة مؤلمة بعمق. إذًا، ما الذي يمكن فعله؟ توصّلت مجموعة صغيرة من الأشخاص إلى الاعتقاد بأن الحل الواقعي الوحيد هو تغيير الطريقة التي تخوض وفقها الجيوش حروبها. أن تتعلم خوض حروب *أفضل*. والأشخاص الذين جادلوا لصالح حروب أفضل كانوا طيارين، أشخاصًا موسوسين بأحد أحدث الإنجازات التكنولوجية وأكثرها إثارة في تلك الحقبة: الطائرة.

.2

ظهرت الطائرات للمرة الأولى خلال الحرب العالمية الأولى. أنا واثق أنك قد رأيت صورًا لتلك الطائرات المبكرة: خشب رقائقي، ونسيج، ومعدن، ومطاط، وجناحان، علوي وسفلي، متصلان بواسطة دعامات، ومقعد واحد. رشاش مصوّب نحو الأمام، مضبوط لإطلاق النار من خلال المروحة. كانت أشبه بشيء وصل بالبريد لتُجمّع قطعه في موقف سيارات ما. كانت أشهر الطائرات المقاتلة خلال الحرب العالمية الأولى هي جَمَل سوبويذ؛ (وهي تلك الطائرة التي حلّق بها سنوبي في قصص *الفول السوداني* المصوّرة القديمة)، كانت عبارة عن فوضى. يقول كاتب الملاحة روبرت جاكسون: "كانت تُظهِر خصائص خبيثة بين يَدَيْ أحد المبتدئين، يمكن أن تجعل منها قاتلة". بمعنى قاتلة للطيار الذي يحلّق بها لا للعدو المهاجَم. غير أن جيلًا جديدًا من الطيارين نظر إلى هذه البدع وقال: *يمكن لشيء كهذا أن يجعل كل ذلك القتال المميت وغير المبرر على الأرض، أمرًا منسيًا. ماذا إذا خضنا الحروب من الجو فقط؟*

كان أحدُ أولئك الطيارين رجلًا يدعى دونالد ويلسون. خدم في الحرب العالمية الأولى، وتذكر الخوف الذي أحكم قبضته حول زملائه الجنود.

قال وفق رواية شفهية قدمها عام 1975:

أقدم أحد الزملاء على الانتحار في قاعة الطعام بأن وضع ماسورة بندقيته في فمه، وضغط على الزناد، وأطلق رجل آخر

النار على ساقه عندما كنا في الخنادق. لا بد أن أولئك الأشخاص ضخّموا الأفكار التي راودتهم حيال الخطر العظيم المحدق بهم. غير أنني أعتقد، وبشكل عام، أن معظمنا لم ندرك ما كنا نورّط أنفسنا فيه.

بدأ ويلسون الطيران في العشرينيات من القرن الماضي، وانتهى به المطاف جنرالًا خلال الحرب العالمية الأولى. اطّلعت على كتاب سيرة ذاتية نشره ويلسون بنفسه في السبعينيات، وكان عنوانه *السعي إلى رضى الفردوس*، ويبدو مثل كتاب المدرسة الثانوية السنوي الذي يستمر إلى ما لا نهاية. في وسط الكتاب تمامًا، يورد ويلسون المقطع التالي اللافت بشكل غريب حول الخلاصة التي توصّل إليها بعد سنوات طيرانه الأولى: "ثم تطورت لديّ رؤيا من العدم، مثلما قال مارتن لوثر كينغ في خطاب مؤثر، بعد سنوات وفي سياق مختلف تمامًا: *كان لديّ حلم*".

يقارن ويلسون رؤياه لما تَعِدُ به القوة الجوية باللحظة الأكثر أيقونية خلال حركة الحقوق المدنية. ثم يستعير نمط كينغ الخطابي أيضًا:

> كان لديّ حلم... بأن تتحارب الدول لإملاء الشروط، وليس لإثبات التفوق في الأسلحة، مثلما أصرّ التقليد العسكري. كان لديّ حلم بأن تكون الدول المهمة، الخصومُ المحتملون، دولًا صناعية ومعتمدة على عملية عسكرية سهلة مكونة من عناصر منظمة ومستدامة. كان لديّ حلم بأنه يمكن للقدرة الجوية الصاعدة أن تدمر عددًا محدودًا من

الأهداف ضمن هذه الشبكة من ملامح الدولة الحديثة التي يعتمد بعضها على بعض. كان لديّ حلم بأن يدفع مثل هذا الدمار، ودرءًا لاحتمال التعرض للمزيد منه، الضحية للمطالبة بالسلام.

هذا المقطع جريء بجميع نواحيه. كان هناك عدد قليل للغاية من الطيارين في الولايات المتحدة في ذلك الوقت إلى درجة أنهم جميعًا كانوا يعرفون بعضهم بعضًا. كان ذلك أشبه بنادٍ، عصبة من المتزمتين. وقال ويلسون إن بإمكان هذا النادي الضئيل مع آلاته الطائرة المتداعية أن يعيد اختراع الحرب.

"كان لديّ حلم بأن يدفع مثل هذا الدمار واحتمال التعرض للمزيد، الضحية للمطالبة بالسلام". هذا يعني اعتقاده بقدرة الطائرات على الانتصار في الحروب بمفردها. يمكنها الانقضاض، وإلقاء القنابل على أهداف محددة، وإخضاع العدو من دون ذبح الملايين على أرض المعركة.

لكن قبل تحقيق هذا الحلم، عرف الطيارون أن عليهم التعامل مع مشكلة تقنية محددة للغاية ذات أهمية كبيرة، إلى درجة أنها تنتمي إلى قائمة أكبر عشر مشاكل، إلى جانب اللقاحات والأسمدة. إذا اعتقدت، مثلما فعل الحالمون، بقدرة الطائرات على إحداث ثورة في كيفية خوض الحروب- يمكنها الانقضاض، وإلقاء القنابل على أهداف محددة، وإخضاع العدو - كان عليك أن تملك وسيلة لضرب تلك الأهداف من الجو، لكن أحدًا لم يعرف كيفية القيام بذلك.

سألت ستيفن مكفارلاند لماذا يصعب تحديد هدف لإلقاء القنابل، فأجابني:

إن ذلك مذهل بالنسبة إليّ. أعني أنني افترضت أنك قد شاهدت الفيديوهات والأفلام حيث يقولون: "عليك وضع الخطوط المتصالبة على الهدف، وسيتولى مصوّب القنابل الباقي". غير أنه يوجد عدد مذهل من العناصر التي تدخل في عملية إلقاء قنبلة بشكل دقيق على أحد الأهداف. فكّر بسيارتك وأنت تقودها بسرعة ستين أو سبعين ميلًا في الساعة، وتخيل الرمي بشيء ما خارج النافذة محاولًا ضرب شيء ما، حتى إذا كان ثابتًا مثل إشارة أو شجرة أو أي شيء إلى جانب الطريق. أصبح لديك تصور عن صعوبة القيام بذلك.

إذا كنت تحاول الرمي بزجاجة داخل حاوية قمامة من سيارة تسير بسرعة خمسين ميلًا في الساعة، فعليك القيام ببعض الحسابات الفيزيائية: حاوية القمامة ثابتة، غير أنك والسيارة تتحركان بسرعة، لذلك عليك رمي الزجاجة قبل مدة من وصولك إلى الحاوية. صحيح؟ لكن إذا كنت في طائرة على ارتفاع عشرين أو ثلاثين ألف قدم فإن المشكلة أعقد بشكل غير محدود.

واصل مكفارلاند:

كانت الطائرات خلال الحرب العالمية الثانية تحلّق بسرعة مئتين أو ثلاثمئة ميل في الساعة، وأحيانًا بسرعة خمسمئة ميل في الساعة. كانت تلقي بالقنابل من ارتفاع يصل إلى ثلاثين

ألف قدم. ستستغرق بين عشرين وثلاثين، [ربما] خمسٍ وثلاثين ثانية لتصطدم بالأرض. وطوال تلك المدة، تُطلَق النيران عليك، وعليك النظر عبر الغيوم أو... تجنب المدفعية المضادة للطائرات، وعليك التعامل مع التضليل وسُحب الدخان المحدثة بهدف حجب العمليات العسكرية، وهناك الدخان من القنابل الأخرى، والأشخاص الذين يصرخون في أذنك، والإثارة، وكل هذه الأشياء الغريبة التي تحدث عندما تبدأ المعركة.

يمكن للرياح أن تهبّ بسرعة مئة ميل في الساعة، وعليك أخذ أمرها في الحسبان. إذا كان الطقس باردًا سيكون الهواء كثيفًا، وستسقط القنبلة ببطء، وإذا كان الطقس دافئًا سيكون الهواء أقل كثافة وستسقط القنبلة بسرعة، وعليك أيضًا أن تأخذ بعين الاعتبار توازن الطائرة وهل تتحرك من جانب إلى آخر؟ أو إلى الأعلى والأسفل؟ يمكن لدرجة ضئيلة من الخطأ عند نقطة الإطلاق أن تترجم إلى خطأ كبير على الأرض. من ارتفاع عشرين ألف قدم، هل يمكنك حقًا رؤية الهدف؟ قد يكون مصنعًا ما كبيرًا وواضحًا عن قرب غير أنه يبدو من ذلك الارتفاع كطابع بريدي. في الأيام المبكرة للملاحة، لم تكن قاذفات القنابل قادرة على ضرب أي شيء أو حتى الاقتراب من فعل ذلك، وكان بإمكان المدفعيين أيضًا الرمي مغمضي الأعين. كان الحلم بقدرة الطائرات على إحداث ثورة في كيفية خوض الحروب مستندًا إلى افتراض عملاق غير مجرّب وغير مثبت: إن أحدًا ما في وقت ما، سيكتشف بطريقة ما، كيفية تصويب قنبلة

من السماء بشيء قريب من الدقة. كان ذلك مسألة على قائمة أمنيات تلك الحقبة. إلى أن جاء كارل نوردن.

يقول مكفارلاند إن طرائق التصميم الخاصة بنوردن كانت متفردة:

لم يحظَ بأي مساعدة، أنجز كل شيء بمفرده، وكان كل شيء في عقله. لم يحمل ملاحظات، لم يملك مفكرة، ولا يمكنك الإطلاع على أرشيفه، لا وجود لمثل هذا الشيء. كان يحتفظ بكل شيء في رأسه، وحتى يتمكن رجل من الاحتفاظ بذلك النوع من التعقيد في رأسه!... كنت فقط مذهولًا بإمكانية فعل ذلك بتلك الطريقة. غير أن المهندسين يشيرون إلى شيء يسمى *عين العقل*، إنهم يرون أشياءَ بواسطة عقولهم، ليس بعيونهم إنما بعين العقل الخاصة بهم. وهذا ما كان عليه نوردن حقًا.

سألت مكفارلاند إن كان يعتقد بعبقرية نوردن، فأجابني:

حسنًا، كان سيخبرك أن الله وحده من يبتكر، أما الإنسان فيقتصر دوره على الاكتشاف. لذا، لم يعتبر الأمر عبقرية، وكان يرفض القبول بهذا التعبير، وما كان يقدّره، وما كان لِيقبل بأن يسميه أحد بالعبقري. كان يقول إنه مجرد شخص يكتشف عظمة الله، مخلوقات الله؛ إن الله يكشف الحقائق من خلال أشخاص يريدون العمل جاهدين واستخدام عقولهم لاكتشاف حقائق الله.

بدأ نوردن العمل على مشكلة مصوّب القنابل في عشرينيات القرن الماضي، وحصل على عقد عمل في البحرية، على الرغم من أنه سيعمل

لاحقًا في الفيلق الجوي للجيش، وهو ما عُرفت به القوات الجوية الأميركية في ذلك الوقت. أوجد ورشة في شارع لافايِت في جزء من مانهاتن يعرف اليوم بسوهو، وهناك بدأ العمل على تحفته.

بحلول وقت دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية، كان الجيش قد سارع إلى تجهيز قاذفات قنابله بمصوّب قنابل نوردن. كان لقاذفات القنابل تلك طاقم مكون من عشرة رجال في معظم الحالات: طيار، ومساعد طيار، وملّاح، وأخصائيو بنادق، والأكثر أهمية، مدفعيون، وهم الأشخاص الذين يصوّبون القنابل ويلقونها، إذا لم ينجز المدفعي عمله فإن جهود رجال الطاقم التسعة ستذهب هباءً.

شرح فيلم تدريب عسكري يعود إلى زمن الحرب أهمية مصوّب قنابل نوردن بعرض صور جوية لأهداف العدو:

> قد يكون أحدها هدفك، وهو سبب وجودك هنا، وسبب وجود كل هذه المعدات المجموعة هنا من مدارس المدفعيين، وسبب وجود المدربين هنا لتدريبك، وسبب تحليق الطيارين بك في مهامك. على الأرجح فإن أحد الجالسين منكم هنا سيرى أحد هذه الأهداف، إنها ليست معروضة على شاشة إنما متحركة تحت الخطوط المتصالبة لمصوّب القنابل خاصتك. وأين ستسقط قنابلك؟... أبعد بمئة قدم عن الهدف؟ خمسمئة قدم؟ سيعتمد ذلك على درجة تدريب أصابعك وعينيك على مطابقة الدقة المصممة في مصوّب قنابل نوردن.

كان اسمه الرسمي "العلامة 15". لقّبه الطيارون الذين استخدموه بكرة القدم، وكان يزن خمسة وخمسين رطلًا، واستقر على نوع من المنصة - صندوق نقل بضائع مثبّت بواسطة جيروسكوب - أبقته متوازنًا في جميع الأوقات، حتى عندما كانت الطائرة تتقافز في الأجواء. كان مصوّب القنابل بشكل رئيسي حاسوبًا تناظريًا، بدعةً صلبة، ومؤلّلة بدقة مكونة من مرايا، وتيليسكوب، وحاملات كرات، وشواقيل، وعقارب. في الوقت الذي تتحرك فيه الطائرة، كان المدفعي ينعم النظر إلى الهدف عبر التيليسكوب، ويجري سلسلة من التعديلات المعقدّة بشكل خيالي. أوجد نوردن أربعًا وستين خوارزمية أعتقد أنها تجيب عن كل الأسئلة المتعلقة بمشكلة إلقاء القنابل، وتضمنت: ما مقدار تأثير سرعة واتجاه الرياح في مسار القنبلة؟ ما مقدار تأثير حرارة الهواء فيها؟ أو سرعة الطائرة؟ استغرق التدريب بشكل لائق على مصوّب قنابل نوردن ستة شهور.

إن مشاهدة فيلم التدريب العسكري كفيلة وحدها بإصابتك بالصداع. يقول المعلّق:

> انظر الآن إلى الخط على الأرض. كان ذلك خط تصويبك عندما بدأت، وهو يذهب مباشرة إلى الهدف. اعلم أنه عندما تكون في الهواء لا توجد أي خطوط ملائمة لطيفة مرسومة على الأرض لمساعدتك، غير أن مصوّب قنابلك يمنحك ما يكافئها. هل تتذكر أن المصوّب مكون من جزءين؟ إلى الأسفل، يوجد المثبّت. وبداخله يوجد جيروسكوب آخر، غير أنه يملك محورًا أفقيًا.

يقبع المصوّب أعلاه. يثبّت المثبّت في المحور الطولي للطائرة، غير أنه يمكن الاستمرار بتدوير المصوّب بحيث يبقى دائمًا مصوبًا نحو الهدف، إلا أن المصوّب متصل بالمثبّت أيضًا بواسطة حبال. بواسطتها، يتحكم الجيروسكوب بموقع المصوّب بحيث يشير إلى الاتجاه نفسه دائمًا مهما تحركت الطائرة.

كل هذا حتى يتمكن المدفعي من تحديد الوقت المناسب تمامًا ليصرخ: "أطلق القنابل!".

شرح مكفارلاند إحدى النقاط الدقيقة من عمل نوردن:

عوّضت إحدى خوارزميات نوردن الأربع والستين عن حقيقة أن القنبلة تستغرق عندما يُلقى بها ثلاثين ثانية حتى تضرب الهدف. خلال الثواني الثلاثين تلك، تتحرك الأرض في الحقيقة إذ إنها تدور حول محورها.

حسنًا، لقد أوجد في الواقع صيغة. إذا استغرقت القنبلة عشرين ثانية لتضرب الهدف فإن الأرض ستتحرك-سأفترض رقمًا- اثنتي عشرة قدمًا. سيكون عليك أن تعدّل الحاسوب وفق حقيقة أن الهدف قد تحرك الآن اثنتي عشرة قدمًا. إذا كنت على ارتفاع عشرين ألف قدم فإنه قد يتحرك خمسًا وعشرين قدمًا، وعلى كل هذا أن يُدخل إلى الحاسوب.

اشترى الجيش الآلاف من مصوّبات قنابل نوردن. قبل كل مهمة، كان المدفعي، يصحبه مرافق مسلح، يستردّ جهازه من أحد المخازن.

كان يحمله إلى الطائرة داخل صندوق معدني، وفي حال تحطم الطائرة أثناء هبوطها، كان على المدفعي تدمير مصوّب القنابل مباشرةً خشية وقوعه في أيدي العدو. تفيد الأنباء المتداولة أن المدفعيين مُنِحوا جهاز تفجير بطول ثمانية عشر إنشًا للقيام بتلك الحيلة. وكاحتياط أخير، كان عليهم أداء قسم خاص: "أقسم على المواظبة على عدم انتهاك سرية أي معلومة وكل المعلومات السرية المعلنة لي، وبمعرفتي التامة بكوني وصيًا على أحد ممتلكات وطني الأكثر أهمية، أقسم على حماية سرية مصوّب القنابل الأميركي بحياتي إذا تطلّب الأمر".

وسط كل هذه الدراما والسرية كان كارل نوردن. قبل دخول الولايات المتحدة الحرب، وفي الوقت الذي أخذ يصقل فيه اختراعه، كان يغادر مانهاتن أحيانًا ويعود إلى منزل والدته في زيوريخ. قال مكفارلاند إن ذلك كان يجعل المسؤولين الأميركيين "يستشيطون غضبًا":

> أرسل مكتب التحقيقات الفيدرالي عملاء لمرافقته وحمايته. وُضع افتراض يقوم على اعتقاد البريطانيين بكونه جاسوسًا لصالح الألمان، وخشي الجيش محاولة البريطانيين إلقاء القبض عليه. غير أنه أصرّ تمامًا. قال: *أنا ذاهب إلى سويسرا. ليس بمقدوركم القيام بشيء لإيقافي.* ولم تكن قوانين زمن الحرب مطبقة بعد لأن الولايات المتحدة لم تكن قد دخلت الحرب. لذلك لم يكن بمقدورهم إيقافه قانونيًا.

لماذا تساهل الجيش معه؟ لأن مصوّب القنابل كان الكأس المقدسة.

كان لنوردن شريك عمل يُدعى تيد بارث.

ادّعى تيد قبل عام من انضمام الولايات المتحدة إلى الحرب، أنه "لا نعدّ مربعًا بمساحة خمس عشرة قدمًا... هدفًا يصعب ضربه من ارتفاع ثلاثين ألف قدم". النسخة المختصرة من ذلك- التي ستخدم كأساس لأسطورة نوردن- يمكن لمصوّب القنابل إلقاء قنبلة داخل برميل مخللات من ارتفاع ستة أميال.

بالنسبة إلى الجيل الأول من الطيارين العسكريين، كان مثل هذا الادّعاء يدعوهم إلى الانتشاء. كان المشروع الأكثر تكلفة خلال الحرب العالمية الثانية هو قاذفة القنابل بي-29، القلعة الخارقة. واحتل المرتبة الثانية من حيث الكلفة، مشروع مانهاتن، المجهود العملاق وغير المسبوق لابتكار وبناء القنبلة الذرية الأولى في العالم. ماذا عن ثالث أكثر مشاريع الحرب تكلفة؟ لم يكن قنبلة، أو طائرة، أو دبابة، أو بندقية، أو سفينة. كان مصوّب قنابل نوردن، الحاسوب التناظري بوزن خمسة وخمسين رطلًا الذي تصورته مخيلة كارل. أل. نوردن المتطلبة. ولماذا يُنفَق كل هذا على مصوّب قنابل؟ لأنه مثّل حلمًا، أحد أهم الأحلام في تاريخ الحروب: إذا كان بإمكاننا إلقاء القنابل داخل براميل المخللات من ارتفاع ثلاثين ألف قدم فلن نحتاج إلى الجيوش بعد الآن، لن نحتاج إلى ترك الشباب يموتون على أرض المعارك أو تسوية مدن كاملة بالأرض. يمكننا إعادة اختراع الحرب، وجعلها دقيقة وسريعة ومن دون إراقة دماء!

الفصل الثاني

"تحقق التقدم من دون أن تعيقنا الأعراف".

.1

كلُّ الثورات كانت أنشطة جماعية، وهنا يكمن اختلاف كارل نوردن. يندر أن يبدأ شخص ما ثورة بمفرده، وهو يجلس إلى طاولة مطبخ والدته. لم تبدأ الحركة الانطباعية لأن عبقريًا ما أخذ يرسمُ رسمًا انطباعيًا جاذبًا إليه صفوف المعجبين، مثلما حدث في أسطورة عازف المزمار ذي الثياب الملونة. بدلًا من ذلك، التحق بيسارو وديغاس بمدرسة الفنون الجميلة في الوقت نفسه؛ ثم التقى بيسارو مونيه، ولاحقًا، سيزان في الأكاديمية السويسرية، والتقى مونيه ديغاس في متحف اللوفر، وصادقَ مونيه رينوار في استديو شارل غلير؛ والتقى رينوار بدوره بيسارو وسيزان، وبعد وقت قصير أخذ الجميع يمضون أوقاتهم في مقهى غيربوا، حيث تبادلوا الأفكار، وحثّوا بعضهم بعضًا على ارتكاب الحماقات. لقد تنافسوا وتشاركوا وحلموا معًا، إلى أن ظهر شيء راديكالي وجديد بالكامل.

هذا ما كان يحدث دائمًا؛ كانت غلوريا ستاينم الوجه الأشهر في الحركة النسوية في أوائل السبعينيات، لكن ما الذي أدى إلى تضاعف عدد النساء المنتخبات في مناصب حكومية في الولايات المتحدة؟ تضافرت جهود كل من غلوريا ستاينم، وشيرلي تشيشولم، وبيللا أبزوغ، وتانيا ميليتش وأسسن تكتل النساء السياسي الوطني. تولد الثورات من رحم المحادثات، والنقاشات، والتأييد، والقرب، والنظرة إلى عيون من يستمعون إليك، والتي تخبرك، إنك في الطريق نحو تحقيق إنجازٍ ما.

بالنسبة إلى أولئك العالقين في حلم تغيير الحروب الحديثة، كان المكان الذي يقضي فيه الأصدقاء أوقاتهم معًا ويتجادلون مطولًا حتى الليل، ويرون تلك النظرة في عيون رفاقهم، هو قاعدة جوية تُدعى ماكسويل فيلد. تقع ماكسويل فيلد في مونتغمري، ألاباما. كانت مزرعة قطن حوّلها الأخوان أورفيل وويلبور رايت إلى قاعدة جوية. في الثلاثينيات، وأصبحت مقرًا لما عُرف بالمدرسة التكتيكية في الفيلق الجوي، وهي النسخة الخاصة بالملاحة من الكلية الحربية الخاصة بالقوات البرية في كارلايل، بنسيلفانيا، أو الكلية الحربية البحرية في نيوبورت، رود آيلاند. بقي جزء كبير من القاعدة على حاله منذ أن بُنيت في الثلاثينيات: بُني كل شي من الخرسانة، مع سقوف من القرميد الأحمر. توجد المئات من المنازل الأنيقة المخصصة للضباط، مبنية على الطراز الريفي الفرنسي، وتصطف أشجار البلوط على جانبي الشوارع المتعرجة، حيث يكون الهواء كثيفًا ورطبًا في الصيف، إذ إنها تقع عميقًا داخل ألاباما. تقع الأبنية الضخمة العائدة إلى القرن التاسع

عشر التي تكوّن المجلس التشريعي في ألاباما على بعد أميال قليلة. لا يبدو أن المكان يصلح لأن يكون مهدًا لثورة.

لكنه كان كذلك بالفعل.

في تلك السنوات، لم تكن القوات الجوية فرعًا مستقلًا من القوات العسكرية. كانت كتيبة مقاتلة في الجيش (القوات البرية)، وُجدت لتخدم مصالح الجيش؛ بمعنى أنها كانت تدعمه، وتساعده، وترافقه. ذات مرة، كتب الجنرال الأسطوري في الجيش جون *بلاك جاك* برشينغ، قائد القوات الأميركية خلال الحرب العالمية الأولى، إن القوات الجوية "لا تستطيع بمفردها الانتصار في الحرب، لا في الوقت الحاضر، ولا، وفق ما نعرفه، في أي وقت في المستقبل"[1]. كان هذا اعتقاد المؤسسة العسكرية حول الطائرات.

يشرح ريتشارد كون، المؤرخ الرئيسي للقوات الجوية الأميركية طوال عقد من الزمن، أنه في الأيام المبكرة لم يفهم الناس القوة الجوية:

> أتذكر عندما اقتُبِس عن أحد أعضاء مجلس الشيوخ قوله: "لماذا كل هذا الجدل حول الطائرات؟ لِمَ لا نكتفي بشراء واحدة منها والسماح للأجهزة بتشاركها؟".

---

(1) يرد هذا الاقتباس في رسالة أرسلها برشينغ عام 1920 إلى مدير الجهاز الجوي، جادل فيها أن على الجهاز الجوي *البقاء جزءًا من الجيش*. اعتقد أن القوات الجوية، وجدت لتساعد الجيش، وعليها أن تبقى تحت قيادته: "إذا كنا نتوقع النجاح، فيجب أن تكون القوات الجوية خاضعة للسيطرة، تفهم الانضباط نفسه، وتتصرف بما يتوافق مع قيادة الجيش تحت الظروف نفسها تمامًا التي يخضع لها غيرها من الوحدات المقاتلة".

لم يكن الموقع الأول للمدرسة التكتيكية في الفيلق الجوي في ألاباما إنما في لانغلي، فيرجينيا. كانت توجد إسطبلات إلى جانب حظائر الطائرات، وكان يتوقع من الطيارين تعلم امتطاء الأحصنة كأنهم كانوا لا يزالون في القرن التاسع عشر. أيمكنك تخيل كيف شعر طيارو الجيش- ولم يكن هناك سوى بضع مئات منهم- حيال ذلك؟ توصّلوا إلى الاعتقاد بأنهم طالما كانوا جزءًا من الجيش، فإنهم سيكونون تحت سلطة أشخاص لا يستطيعون قيادة الطائرات، لا يفهمون الطائرات، ويريدون منهم التمسيد على الأحصنة كل صباح. أراد الطيارون أن يكونوا مستقلين، وكانت الخطوة الأولى على طريق الاستقلال إبعاد مدرسة التدريب الخاصة بهم أبعد ما يمكن عن تأثير الجيش؛ ثقافيًا وفيزيائيًا. كانت حقيقة أن ماكسويل فيلد مزرعة قطن قديمة في ناحية نائية من الجنوب، ميزة لا إزعاجًا.

لأن القوات الجوية كانت فتية، فإن هيئة التدريس في المدرسة التكتيكية كانت فتية أيضًا، في العشرينات والثلاثينات من أعمارهم، يملأهم طموح الشباب. كانوا يشربون حتى الثمالة في عطلات نهاية الأسبوع، يقودون الطائرات بغرض المرح، ويتسابقون بسياراتهم. كان شعارهم: "نحقق التقدم من دون أن تعيقنا الأعراف"، باللاتينية. لُقّب قادة المدرسة التكتيكية في الفيلق الجوي بـ "مافيا قاذفات القنابل"، ولم يقصد به المديح - كانت تلك أيام آل كابون ولاكي لوسيانو والاشتباكات في الشوارع. غير أن اللقب المنبوذ راقَ لهيئة التدريس في الفيلق الجوي، واستمر.

صاغ هارولد جورج، أحد القادة الروحيين لمافيا قاذفات القنابل، الأمر على النحو التالي: "كنا متحمسين للغاية؛ كنا نطلق ما كان أشبه بحملة صليبية... كنا نعرف أن عددنا قليل وأن المعارضة الوحيدة التي كنا نواجهها تمثلت بعشرة آلاف ضابط وبقية الجيش، وبقية القوات البحرية".

انضم جورج من بوسطن إلى الجيش خلال الحرب العالمية الأولى، وأصبح مأخوذًا بالطائرات، وبدأ التدريس في المدرسة التكتيكية في الثلاثينيات، وترقى إلى رتبة جنرال خلال الحرب العالمية الثانية. بعد الحرب، عمل لصالح هوارد هيوز مؤسسًا قطاع الإلكترونيات الخاص بهيوز، ثم غادر جورج للمساعدة في بناء شركة إلكترونيات أخرى أصبحت متعاقدًا عملاقًا مع وزارة الدفاع. وهذا هو الجزء المفضل عندي: انتُخب جورج مرتين عمدةً لبيفرلي هيلز.

إنه رجل واحد، وخلال حياة واحدة، إلا أنك إذا ما سألت هارولد جورج عن المحطة الأبرز خلال مسيرته المهنية، كان سيقول على الأرجح إنها كانت تلك الأيام المتهورة في الثلاثينيات التي أمضاها معلّمًا في ماكسويل فيلد.

وفق رواية شفهية قدمها عام 1970: "بدا أن أحدًا لم يفهم ما كنا نفعله، لذا لم تصلنا أي أوامر بإيقاف هذا النوع من التعليم الذي كنا نقدمه".

كانت المدرسة التكتيكية مدرسة أكاديمية. إلا أن عددًا قليلًا من أعضاء هيئة التدريس كان لديهم خبرة في التعليم، وكانت الأشياء التي يعلّمونها جديدة وراديكالية للغاية لدرجة أنه لم تكن هناك كتب مدرسية

لدراستها أو مقالات لقراءتها، لذا اختلقوا الأشياء. تحولت المحاضرات سريعًا إلى ندوات، والتي تحولت بدورها إلى نقاشات مفتوحة، والتي تخللتها دعوات عشاء. هذا ما يحدث دائمًا: تبدأ محادثة بزرع بذور الثورة. تبدأ الجماعة التجول في اتجاهات لم يخيّل لفرد أن يسيرها بمفرده أو بمفردها.

كان دونالد ويلسون عضوًا في الحلقة الداخلية لمافيا قاذفات القنابل، وهو الشخص الذي كتب لاحقًا في سيرته الذاتية أنه حَلِم بنوع آخر من الحروب، وبناء على ما يتذكره من تلك الأيام:

> أنا واثق تمامًا أنه لو علم المشرف على الأركان العامة في وزارة الدفاع بما كنا نفعله في ماكسويل فيلد، فإنه كان سيضعنا جميعًا في السجن. لأنه كان مناقضًا للغاية لعقيدتهم المؤسَّسة، لدرجة أنني لا أتخيل علمهم بعملنا والسماح لنا بفعله.

.2

عندما فكّر الناس بالطائرات الحربية خلال الجزء الأول من القرن العشرين، فكّروا بالطائرات المقاتلة: طائرات صغيرة ذات قدرة كبيرة على المناورة، ويمكنها الاشتباك مع العدو في الجو، إلا أن هذا التفكير لم ينطبق على المتمردين في ماكسويل فيلد، والذين كانوا يتحدثون خفية عن التطورات التكنولوجية في الملاحة التي حدثت خلال الثلاثينيات. استُبدِل الخشب الرقائقي بالألمنيوم والفولاذ، وأصبحت المحركات

أكثر قوة، وغدت الطائرات أكبر وقيادتها أسهل، وصار لها معدات هبوط قابلة للسحب وأجسام مضغوطة. أتاحت هذه التطورات لمافيا قاذفات القنابل تخيل صنف جديد من الطائرات؛ شيء كبير مثل طائرات الخطوط الجوية التجارية التي بدأت لتوها بنقل الركاب عبر الولايات المتحدة. وبناء عليه لن تكون طائرة كبيرة وقوية إلى هذه الدرجة، محدودة بقتال طائرات أخرى في السماء، بل يمكنها حمل القنابل: متفجرات ثقيلة وقوية، يمكنها أن تُلحق دمارًا كبيرًا بتحصينات العدو ومواقعه على الأرض.

الآن، لماذا سيكون ذلك مدمرًا للغاية؟ لأنك إذا ما وضعت أحد هذه المحركات الجديدة القوية داخل إحدى هذه الطائرات الجديدة العملاقة، سيكون بإمكان هذه الطائرة أن تحلّق بعيدًا للغاية، وسريعًا للغاية، ولمدة طويلة للغاية، لدرجة أن أحدًا لن يستطيع إيقافها. ستكون الرشاشات المضادة للطائرات أشبه بالألعاب، وستكون مقاتلات العدو أشبه بالبرغش المزعج الذي يطنّ دون إحداث أي أذية. يمكن تصفيح هذه الطائرات بالدروع، وتزويدها بالرشاشات من الخلف والأمام للدفاع عن نفسها. وبهذا نصل إلى المبدأ الأول في عقيدة مافيا قاذفات القنابل: ستتخطى قاذفة القنابل الصعاب دائمًا.

العقيدة الثانية: حتى ذلك الوقت، افتُرِض أن لا سبيل لإلقاء القنابل على عدو إلا تحت جنح الظلام. لكن ما دام من المتعذر إيقاف قاذفة القنابل، فما أهمية التسلل؟ أرادت مافيا قاذفات القنابل الهجوم في وضح النهار.

العقيدة الثالثة: إذا كنت قادرًا على إلقاء القنابل في وضح النهار، ستكون قادرًا على *رؤية* ما تحاول ضربه. لم تعد أعمى بعد الآن، وإذا كنت قادرًا على الرؤية ستكون قادرًا على استخدام مصوّب القنابل؛ حدّد الهدف، أدخِل المتغيرات الضرورية، دع الجهاز يؤدي عمله.

العقيدة الرابعة والأخيرة: أفادت الحكمة التقليدية أنه عندما تقترب قاذفة قنابل من هدفها، فعليها أن تنخفض ما أمكن نحو الأرض حتى تتمكن من التصويب بشكل دقيق. لكن إذا كان مصوّب القنابل بحوزتك يمكنك الإلقاء بقنبلتك من علوّ مرتفع؛ خارج مدى الرشاشات المضادة للطائرات. *بإمكاننا إلقاء قنبلة داخل برميل مخللات من ارتفاع ثلاثين ألف قدم.*

علوّ شاهق، ضوء النهار، وإلقاء القنابل بدقة. ذلك ما أعدّته مافيا قاذفات القنابل في مخبئها وسط ألاباما.

وصف المؤرخ ريتشارد كون مافيا قاذفات القنابل على النحو التالي:

> كانت رابطة، تقريبًا إلى الحد الكفيل بدعوتها "عصبة من الأخوة". غير أنك إذا لم تقتنع بعقيدتهم، وكثيرون هم الذين لم يعتقدوا، فأنت لن تُطرد من الرابطة فحسب بل ستكون مشبوهًا وملاحقًا.

تجرأ طيار من طاقم المدرسة التكتيكية يدعى كلير شينو على تحدي عقيدة مافيا قاذفات القنابل، فطاردوه حتى خارج البلدة. واصل كون: "كانوا مجموعة متمردة، خاضوا حملات علاقات عامة، وكتب بعضهم تحت أسماء مستعارة للترويج للقوة الجوية".

لم أفهم حقًا الرؤية الجريئة لمافيا قاذفات القنابل تمامًا حتى ذهبت إلى ماكسويل، التي تُعرف الآن بقاعدة ماكسويل للقوات الجوية وليس ماكسويل فيلد. مقر الجامعة الجوية، خليفة المدرسة التكتيكية في الفيلق الجوي. يأتي الناس من مختلف أنحاء العالم للدراسة فيها، وتتألف هيئة التدريس من أهم المؤرخين العسكريين، والتكتيكيين والاستراتيجيين في البلاد.

بعد ظهر أحد الأيام، جلست مع مجموعة من أعضاء هيئة التدريس في ماكسويل في قاعة مؤتمرات تبعد رمية حجر عن مكان محادثات مافيا قاذفات القنابل المطوّلة التي حصلت قبل قرن تقريبًا. لا تزال كل الوثائق العائدة إلى المدرسة التكتيكية الأصلية موجودة في أرشيف ماكسويل، وقد راجع المؤرخون الذين تحدثت إليهم الملاحظات الميدانية والمحاضرات القديمة الخاصة بمافيا قاذفات القنابل. تحدثوا عن دونالد ويلسون، وهارولد جورج كما لو أنهم عاصروهما. كانوا *يعرفونهما*. غير أنني صدمت باختلاف واحد؛ كان عدد من المؤرخين الذين التقيت بهم طيارين سابقين في القوات الجوية. قادوا نفاثات مقاتلة متقدمة، وقاذفات قنابل قادرة على التسلل، وطائرات نقل كلفة الواحدة منها ملايين الدولارات، لذلك عندما تحدثوا عن القوة الجوية، كانوا يتحدثون عن أمر ملموس، أمر اختبروه بأنفسهم.

لكن في الثلاثينيات، كانت مافيا قاذفات القنابل تتحدث عن أمرٍ نظري، أمرٍ *أُمِلت* أن يتحقق.

كان حلمًا.

صاغ ريتشارد موللر، بروفيسور تاريخ القوة الجوية في الجامعة الجوية، الأمر على النحو التالي:

لم يكن هناك شيء يشبه ما كانوا يفكّرون به، بدوا وكأنهم يتعاطون الكوكايين. يمكنك نوعًا ما التساؤل إذا ما ذهبت إلى متحف ملاحة- اذهب إلى بنساكولا أو المتحف الجوي والفضائي الوطني أو قاعدة رايت-باترسن الجوية- وانظر إلى الطائرات التي كانت في الخدمة في أوائل الثلاثينيات عندما ظهرت هذه الفكرة للمرة الأولى، ستقول: ما هذا بحق الجحيم؟ ما مقدار الكوكايين الذي يتعاطاه هؤلاء؟

إحدى المتع غير المتوقعة للتحدث إلى مؤرخين عسكريين هي عدم توقير مؤسساتهم. واصل موللر:

كان لديهم إيمان بأنهم سيصلون، لم يعرفوا كيف، ولا إلى أين، كل ما عرفوه أنهم سيصلون، وهذا لم يكن غير منطقي في زمانهم ومكانهم. ليس من غير المنطقي أن يكون لديهم مثل هذا الإيمان. غير أن أحد الأمور المركزية داخل هذه المجموعة هو الاعتقاد بالتقدم التكنولوجي والتطور المادي، وأن بمقدورهم الحصول على الطائرة الصحيحة. انتقلوا من بي-9 إلى بي-10 إلى بي-12 إلى نموذج بي-15 الأولي إلى بي-17 إلى بي-29 خلال فترة عشر سنوات، وهذا مذهل إذا ما فكرت في الأمر.

.3

أخشى أنني لم أشرح بشكل كامل مدى راديكالية تفكير *مافيا قاذفات القنابل* في ذلك الوقت. لذا اسمحوا لي بتقديم استطراد من كتاب لطالما أحببته عنوانه *أقنعة الحرب*، لباحث سياسي يدعى كارل بيلدر.

عمل بيلدر لصالح مؤسسة راند، وهي مؤسسة استشارية مقرها سانتا مونيكا أُسِّست بعد الحرب العالمية الثانية لتخدم ذراع البنتاغون للأبحاث الخارجية.

جادل بيلدر بأنك لا تستطيع فهم طريقة السلوك واتخاذ القرارات من قبل الفروع الرئيسة الثلاثة للجيش الأميركي ما لم تفهم مقدار *اختلاف* ثقافاتها. وقال إنه لإثبات هذه النقطة، ما عليك سوى النظر إلى الكنائس الصغيرة في حرم أكاديمية كل منها.

تقف الكنيسة الصغيرة في أكاديمية ويست بوينت العسكرية، المقر التاريخي لتدريب ضباط الجيش الأميركي، على منحدر يطل على نهر هدسون، مغطيةً خط الأفق في الحرم. أُكمِل بناؤها عام 1910، على الطراز الإحيائي القوطي الكبير. بنيت بالكامل من الغرانيت الرمادي الكئيب، أما نوافذها فهي ضيقة وطويلة. تدفع على الكآبة مثل قلعة من العصور الوسطى؛ صلبة، وبسيطة، وغير قابلة للتحريك. كتب بيلدر: "يا له من مكان لإجراء مراسيم بسيطة مع أشخاص مقربين بعضهم من بعض ومن الأرض التي ربتهم".

هذا هو الجيش: عميق الوطنية، ومتجذر في خدمة الوطن.

ثم هناك الكنيسة الصغيرة في الكلية البحرية، في أنابوليس. بُنيت في الوقت نفسه تقريبًا مع نظيرتها في ويست بوينت، إلا أنها أكبر بكثير، وأضخم. بنيت على طراز الفنون الجميلة الأميركية، مع قبة عملاقة مبنية وفق تصميم الكنيسة الصغيرة العسكرية في ليزانفاليد، في باريس. نوافذ الزجاج المغشى هائلة، وتتيح للضوء الإشراق على الجزء الداخلي المزخرف كثير التفاصيل. هذا شبيه للغاية بالقوات البحرية: متعجرفة، ومستقلة، ومطمئنة للمدى العالمي لطموحاتها.

قارنهما بكنيسة تلامذة الضباط الصغيرة في أكاديمية القوات الجوية في كولورادو سبرينغز. إنها كنيسة صغيرة من عالم آخر. اكتمل بناؤها عام 1962، إلا أنني إذا أخبرتك بأنه قد اكتمل بناؤها الشهر الفائت فإنك ستقول: "يا له من مبنى مستقبلي". إنها تبدو مثل سرب من النفاثات المقاتلة المصطفة كقطع الدومينو فيما تتجه مقدماتها نحو السماء، مستعدة للتحليق بصوت عظيم مسبّب للصمم. يوجد داخل الكاتدرائية أكثر من أربعة وعشرين ألف قطعة من الزجاج المغشى بأربعة وعشرين لونًا مختلفًا، وفي المقدمة، صليب بطول أربعة وستين قدمًا وعرض اثنتي عشرة قدمًا، بعوارض تبدو كالمراوح. في الخارج، هناك أربع نفاثات مقاتلة متوقفة برشاقة كما لو أن بعض الطيارين قرروا التوقف لأداء قداس صباح الأحد.

كان المهندس المعماري للكنيسة الصغيرة حداثيًا ألمعيًا من شيكاغو يدعى والتر نيتش. مُنِح الحرية الإبداعية والميزانية غير المحدودة نفسيهما اللتين تمنحهما القوات الجوية عادةً إلى الأشخاص الذين يبتكرون المقاتلات القادرة على التسلل.

في لقاء أجراه عام 1995، تذكر نيتش المهمة على النحو التالي:

عدت إلى منزلي يرافقني هذا الشعور العظيم بأنه: كيف يمكنني في عصر التكنولوجيا الحديث هذا ابتكار شيء جيد كفاية ليكون ملهِمًا وطموحًا مثل كاتدرائية شارتر...؟ في تلك الأثناء، وبينما كنت أعمل مع مهندسي هنا في شيكاغو، راودتني هذه الفكرة حول رباعيات الوجوه وتجميعها معًا.

ما رأيك في بناء كاتدرائية من الألمنيوم والفولاذ، في شكل نفاثة مقاتلة متجهة نحو الأعلى، وسط تلال كولورادو؟ ماذا سيخبر هذا عن القوات الجوية؟ هذا ما سأله كارل بيلدر في كتابه. وكانت خلاصته: هؤلاء جماعة من الناس ترغب بشدة في التمايز قدر الإمكان عن الفرعين القديمين للجهاز العسكري، الجيش والبحرية. وأبعد من ذلك، إن القوات الجوية غير مبالية مطلقًا بالإرث والتقليد. على العكس من ذلك، فإنها ترغب في أن تكون عصرية.

صمم نيتش الكنيسة الصغيرة في أكاديمية القوات الجوية بكاملها من وحدات هرمية الشكل بطول سبعة أقدام. رباعيات وجوه! هذا فرع من الجهاز العسكري للأشخاص الراغبين في البدء من جديد، الراغبين في شن الحروب بطرائق جديدة، وفي إعداد أنفسهم لمعارك اليوم.

إنهم لا يقضون أوقاتهم في دراسة الحرب البيلوبونيزية أو معركة ترافالغار. القوات الجوية تهمس بالغد، وكيف ستجعلها التكنولوجيا مستعدة للغد؟ وماذا يحدث لكنيسة نيتش الصغيرة بعد بنائها؟ إنها تعاني من مختلف أنواع المشاكل البنيوية. بالطبع تعاني! ومثل قطعة رائعة من

شيفرة حاسوبية حققت تطورًا مهمًا ومفاجئًا، لا بد من تحديد الأخطاء فيها وإزالتها.

شرح نيتش:

عندما تدخل مجال التكنولوجيا، تواجه بعض المشاكل... وما حدث أنه، وبشكل مفاجئ، بدأت هذه التسريبات. كنا نذهب إلى كولورادو سبرينغز لتفقد حركة بسيطة للرياح. الجو عاصف هناك، وكانت العواصف تستمر مدة طويلة، ويمكن أن تُحدِث شيئًا ما للزجاج. كنا نقيم في أحد الفنادق الرخيصة وننتظر الأمطار. وعندما تمطر، كنا نسارع إلى الكنيسة الصغيرة - إنها مبنى كبير - ونحاول العثور على مكان التسريب في الداخل... كان عليّ كتابة تقرير، وكنت متألمًا للغاية بسبب هذه التسريبات، لذلك أسميته "تقرير عن هجرة الماء في الكنيسة الصغيرة في أكاديمية القوات الجوية". لا حاجة للقول إنني تلقيت ملاحظات ساخرة على الكناية التي استخدمتها، غير أن ما وجدناه أنه يمكن لكل مجموعة من رباعيات الوجوه تلقي الرياح من مستويات عديدة.

لذا قررنا في النهاية أن علينا تطوير غطاء بلاستيكي كبير فوق النوافذ الزجاجية، والذي أزال العديد من مصادر المشكلة، إذ يسهل على الماء أن يمر بين قطع الزجاج الصغيرة المستقرة في إطار النافذة ذلك. وُضِعت ألواح طويلة من الخشب وحلّ ذلك جزءًا كبيرًا من المشكلة الرئيسة.

هذا يشبه القوات الجوية للغاية. تبني كنيسة صغيرة تعود إلى القرن الحادي والعشرين في منتصف القرن العشرين، إنها تسبق زمنها لدرجة أن عليك الإتيان بحل هندسي مبني على إعادة تحليل أنماط الأرصاد الجوية. ما أريد قوله هو من أين جاءت هذه العقلية الجديدة الراديكالية؟ جاءت من المدرسة التكتيكية في الفيلق الجوي، خلال تلك الدوامة الفكرية بين عامي 1931 و1941. في قاعات الندوات والجدالات المستمرة حتى وقت متأخر من الليل تلك، ولدت ثقافة القوات الجوية الحديثة.

سيأخذون الحرب إلى الجو، وسيتركون كل فرع آخر من الجهاز العسكري وراءهم. وإذا ما وقفت داخل حرم الكنيسة الصغيرة في أكاديمية القوات الجوية وتأملت أضلاع السقف العالية المصنوعة من الألمنيوم، فإنك ستفهم ذلك.

في تلك الأثناء، ما الذي يحدث في الأكاديمية البحرية؟ إنهم يلمّعون القضبان النحاسية في كنيستهم الصغيرة بأيديهم.

.4

تملك مافيا قاذفات، مثل جميع الجماعات الثورية، القنابل أسطورة معرفة، قصة أصول. ومثل جميع الأساطير، قد لا تكون دقيقة تمامًا إلا أن مضمونها هو التالي:

في عيد القديس باتريك عام 1936، حدث فيضان في بيتسبورغ، وكان حدثًا مدمرًا. ما يجعل بيتسبورغ غير عادية هو وقوعها عند منبع

نهر رئيسي، نهر أوهايو، المتشكل من التقاء نهرين آخرين، المونوغاهيلا والأليغيني.

في ذلك اليوم، تسبب التقاء النهرين بفيضان عملاق. في العادة، لا يقلق الطيارون من الكوارث الأرضية، فهم يقلقون من الأعاصير، والعواصف الرعدية، أما الفيضان فهو أمر يقلق الجيش. غير أنه كان لفيضان بيتسبورغ عاقبة غريبة سيكون لها تأثير دراماتيكي على الثورة التي يُخطَط لها في ماكسويل فيلد؛ كان للفيضان علاقة بحقيقة أن من بين مئات المنازل الواقعة على ضفاف النهر، والمدمرة بفعل المستويات المرتفعة من المياه، مصنعًا يعود إلى شركة تُدعى هاملتون ستاندرد. كانت هاملتون ستاندرد المصنّع الرئيسي في البلاد لنابض يُستخدم في صنع المراوح متنوعة الاهتزازات، والتي كانت إحدى المعدات الرئيسة في معظم طائرات ذلك الوقت. وعندما لا تتمكن هاملتون ستاندرد من صنع نوابض المراوح متنوعة الاهتزازات، لن يتمكن أحد من صنعها، وبالنتيجة فإن أحدًا لم يتمكن من صنع الطائرات. أوقف فيضان بيتسبرغ صناعة الطيران عام 1936 برمتها: بسبب نابض، أُصيب صناعة الطائرات.

في ألاباما جنوبًا، نظر أعضاء مافيا قاذفات القنابل إلى ما حدث لهاملتون ستاندرد، وأشرقت عيونهم. كان دونالد ويلسون أكثر الأعضاء تفكيرًا بمصنع النوابض ذلك، وما حدث في بيتسبورغ دفعه إلى إدراك أمر ما. الحرب، وفق تعريفها الكلاسيكي، هي تطبيق الثقل الكامل للقوات العسكرية ضد العدو إلى أن تستسلم قيادته. لم يكن لديهم أي قاذفات قنابل حقيقية، أو أي عدو حقيقي، أو أي موارد حقيقية. غير أن

ويلسون قال في سره، هل ذلك ضروري حقًا؟ إذا عطّلنا مصنع نوابض المراوح في بيتسبورغ فإننا نشلّ قوتهم الجوية. وإذا تمكنا من إيجاد نحو دزينة أخرى من الأهداف شديدة الأهمية المشابهة - "نقاط خنق" كانت العبارة التي استخدمها - فبإمكان إلقاء القنابل أن يشلّ البلاد برمتها. عندها، ابتكر ويلسون إحدى أشهر تجارب مافيا قاذفات القنابل الفكرية، وعليك أن تتذكر أن كل ما كان بإمكانهم *فعله* هو التجارب الفكرية السياسية.

في التجربة الفكرية، اتخذ ويلسون من مركز التصنيع في الشمال الشرقي هدفًا:

الآن، عندما بدأنا التنظير حول الأمر... لم يكن بحوزتنا أي معلومات استخبارية جوية عن أي عدو محتمل، لذلك كان لدينا شيء ما... وحدة يُحتمل أن يصل إليها عدو ما، ولأجل توضيح هذا المفهوم، نفترض أن عدوًا سيغرس نفسه في كندا وسيكون قادرًا على الوصول إلى هذه المنطقة الصناعية الشمالية الشرقية.

حسنًا، العدو في هذه التجربة الفكرية في كندا، لنقل في تورونتو. تبعد تورونتو 340 ميلًا عن مدينة نيويورك، ضمن مدى الطائرات التي كانت مافيا قاذفات القنابل تحلم بها. ما مقدار الضرر الذي يمكن أن يحدثه أسطول من قاذفات القنابل يتجه جنوبًا من تورونتو في جولة واحدة من إلقاء القنابل؟

حاولوا معرفة الإجابة خلال عرض توضيحي استمر يومين في نيسان عام 1939.

تحدثت بشأن التجربة الفكرية مع المؤرخ روبرت بيب، الذي ألّف كتابًا عنوانه *تحقيق الانتصار عبر إلقاء القنابل*، يتناول أصول العديد من الأفكار التي كانت تدرّس في المدرسة التكتيكية في الفيلق الجوي. وصف بيب العرض التوضيحي على النحو التالي:

> كانت الجسور الهدف الأول لإلقاء القنابل. الهدف الثاني، تفجير القنوات المائية. تفجير قنوات المياه مهم لأنهم أرادوا التسبب بعطش جماعي لسكان نيويورك، أرادوا خلق وضع تكاد لا توجد فيه أي مياه صالحة للشرب لسكان نيويورك. ثم، الهدف الثالث، استهداف الطاقة الكهربائية.
>
> لم يحققوا بشأن سيكولوجيا أو سوسيولوجيا إلقاء القنابل. لم يحققوا حتى بشأن سياسات إلقاء القنابل؛ أي تداعيات إلقاء القنابل على السكان، والمجتمعات والحكومات. جلّ ما فعلوه هو التركيز على تكنولوجيا إلقاء القنابل المتوفرة في ذلك الوقت، ما هي مجموعات الأهداف التي سيسمح لقاذفات القنابل بضربها.

قدم العرض التوضيحي زميل رئيسي في مافيا قاذفات القنابل هو موير فيرتشايلد. جادل فيرتشايلد بأن قنوات المياه هي الأهداف الأوضح. نظام قنوات المياه الذي يخدم نيويورك بطول اثنتين وتسعين قدمًا. ثم هناك الشبكة الكهربائية. وجّه فيرتشايلد تلاميذه نحو رسم بياني بعنوان "القنبلة الجوية ضد الطاقة الكهربائية بالجرّ في منطقة مدينة نيويورك".

خلُص فيرتشايلد إلى أنه "حسنًا، إننا نرى أنه يمكن لسبع عشرة قنبلة، إذا ما ألقيت على النقاط الصحيحة، ليس فقط تعطيل الطاقة الكهربائية للمنطقة المدينية برمتها إنما أيضًا منع توزيع الطاقة الكهربائية".

سبع عشرة قنبلة! كانت الحكمة التقليدية تقول إن سيكون عليك إلقاء القنابل على المدينة برمتها؛ تحويلها إلى ركام عبر موجات متتابعة من هجمات إلقاء القنابل الخطيرة والمكلفة. قضت فكرة فيرتشايلد أنه، لماذا تفعل ذلك إذا كنت تستطيع استخدام ذكائك وسحر مصوّب قنابل نوردن لشلّ مدينة بضربة واحدة؟ وفق ما أخبرني به بيب:

> من المؤكد أنهم كانوا يعتقدون بقدرة قاذفات القنابل بمفردها أو القوات الجوية بمفردها على الانتصار في الحرب، واعتقدوا بأنها ستنتصر في الحرب، وستمنع حدوث مجزرة جماعية مثل التي حدثت خلال الحرب العالمية الأولى، عندما اشتبكت الجيوش عامًا إثر آخر ومات الملايين في مطحنة الخنادق.

يمكنك فهم سبب قول دونالد ويلسون، نصف مازحًا، بأنه لو علم الجيش بما كان يحدث في ماكسويل كان سيزج بأعضاء مافيا قاذفات القنابل جميعًا في السجن. ذلك لأن هؤلاء الرجال كانوا *جزءًا* من الجيش، غير أنهم كانوا يقولون إن باقي الجيش لم يكن ذا صلة وكان منسيًا. يمكن حشد مئات آلاف الجنود على طول الحدود الكندية، وتجهيزهم بالمدفعية والدبابات وكل سلاح آخر يمكن تخيله، غير أن

قاذفي القنابل كانوا ببساطة سيحلقون فوقهم متجاوزين جميع الدفاعات التقليدية، وسيشلّون العدو من خلال عدة ضربات جوية مختارة بعناية على بعد مئات الأميال خلف الخطوط الأمامية.

شرح تامي بيدل، البروفيسور في الأمن القومي في الكلية الحربية في الجيش الأميركي، سيكولوجيا مافيا قاذفات القنابل على النحو التالي:

> أعتقد بوجود انبهار بالتكنولوجيا الأميركية، وأعتقد بوجود مكوّن أخلاقي في هذا كله، رغبة في إيجاد طريقة لخوض حرب نظيفة لا تلوث سمعة أميركا كأمة أخلاقية؛ أمة أفكار، وأيديولوجيا، والتزام بحقوق الأفراد، واحترام للإنسان.

لم تكن مافيا قاذفات القنابل - على الرغم من اسمها المشؤوم - كبيرة للغاية. كانت مؤلفة من دزينة من الرجال على الأكثر، يقطنون جميعًا متقاربين في تلك الشوارع الظليلة الهادئة في ماكسويل فيلد. كما لم تكن المدرسة التكتيكية إحدى المنشآت العملاقة، لم تكن أبدًا مثل ويست بوينت، تتمخض عن جيل إثر آخر من ضباط الجيش. لم تخرّج خلال عشرين سنة من العمل سوى ألف ونيف من الخريجين. لولا اندلاع الحرب العالمية الثانية، كان من المحتمل للغاية أن يطوي التاريخ نظريات وأحلام هذه المجموعة الصغيرة.

لكن عندما هاجم هتلر بولندا، وأعلنت بريطانيا العظمى وفرنسا الحرب على ألمانيا، وبحلول صيف عام 1941 كان جليًا للجميع أن الولايات المتحدة توشك بدورها على دخول الحرب، وإذا كانت البلاد ستدخل الحرب، كان جليًا أنها ستحتاج إلى أسطول جوي قوي، لكن ما

الذي يعنيه أسطول جوي قوي؟ كم طائرة يحتاج؟ للإجابة عن هذا السؤال، توجهّت القيادة العليا للجيش في واشنطن يائسةً إلى المجموعة الوحيدة من الخبراء التي قد تحوز إجابةً: المعلمون في المدرسة التكتيكية في ماكسويل فيلد في ألاباما جنوبًا.

ذهبت مافيا قاذفات القنابل إلى واشنطن، وأعدّت وثيقة مدهشة ستكون نموذجًا لكل ما أنجزته الولايات المتحدة في الحرب الجوية. عُنوِنت الوثيقة بـ "خطط الحرب الجوية- القسم الأول"، ووضّحت بالتفصيل الدقيق عدد الطائرات- مقاتلات، وقاذفات قنابل، وطائرات نقل- التي ستحتاج إليها الولايات المتحدة، بالإضافة إلى عدد الطيارين، وكمية المتفجرات بالأطنان، والأهداف الألمانية التي ستستهدفها تلك القنابل، والتي حُددت وفقًا لنظرية نقاط الخنق بالتالي: خمسون محطة طاقة كهربائية، أربع وسبعون شبكة نقل، سبع وعشرون مصفاة نفط، ثمانية عشر مصنع تجميع طائرات، ستة مصانع ألمنيوم، وستة مناجم للمغنيزيوم. لقد أعدت هذه الوثيقة وتقديراتها المدهشة خلال تسعة أيام فقط؛ وهو إنجاز يتجاوز القدرة البشرية ولا يمكن تحقيقه إلا إذا أمضيت الأعوام العشرة الفائتة في عزلة وسط ألاباما في انتظار فرصتك.

كانت مافيا قاذفات القنابل مستعدة للحرب.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الثالث

"كان يفتقر إلى رابطة التعاطف الإنساني".

قاد ساعي بريد بريطاني دراجته البخارية إلى مقر إقامتي في كاسل كومب، لندن. أفادت الرسالة التي أوصلها إليّ من الجنرال [هاب] آرنولد عند فك شيفرتها: "قابلني مساء الغد في الدار البيضاء".

الجنرال القائد آيرا إيكر.

.1

كانت الدار البيضاء، في ما كان يُعرف يومها بالمغرب الفرنسي، موقع مؤتمر سري عُقِد في كانون الثاني عام 1943 بين وينستون تشرشل وفرانكلن روزفلت. كانت الحرب تميل إلى صالح الحلفاء، وقد اجتمع القائدان للتخطيط لما أملا أن يكون الفصل الأخير الذي يحقق النصر. وكان برفقة الرجلين ضباط من ذوي المناصب العسكرية العليا في جيش كل منهما. بالنسبة إلى روزفلت، فإن ذلك تضمن الجنرال هاب آرنولد الذي قاد القوة الجوية الأميركية برمتها. والآن، في منتصف المؤتمر، كان

آرنولد يقرع جرس الإنذار بإرساله برقية إلى أهم نوابه.

كان آيرا إيكر خريجًا متميزًا من المدرسة التكتيكية في الفيلق الجوي في ماكسويل فيلد. وهو عضو في مافيا قاذفات القنابل، ومؤمن حقيقي بأهمية القصف الدقيق من علوّ مرتفع في وضح النهار. وكان رئيس القوة الجوية الثامنة، أسطول قاذفات القنابل المتمركز في إنكلترا الموكلة إليه مهمة ضرب الأهداف المحددة في وثيقة التخطيط للحرب شديدة الأهمية "قسم خطط الحرب الجوية الأولى".

تعال إلى الدار البيضاء. قالت الرسالة الموجهة إلى إيكر. *الآن*.

وفق ما تذكّره إيكر:

لقد أحيط مؤتمر الدار البيضاء بكثير من السرية لدرجة أنني لم أعرف حتى ما الذي عناه ذلك. غير أنني علمت أنه سيكون من الأفضل أن أذعن للأمر. لذلك اتصلت بالجنرال [فريدريك لويس] أندرسون، الذي كان قائد قاذفات القنابل، وقلت: "فليقلّني أحد طواقمك منتصف هذه الليلة في طائرة بي-17 من بوفينغتون إلى الدار البيضاء، بحيث أصل هناك بعد وقت قصير من شروق الشمس صباح الغد".

وصل إيكر وذهب مباشرةً إلى فيلا الجنرال آرنولد.

قال الجنرال آرنولد: "لديّ أخبار سيئة لك يا بني. وافق رئيسنا للتو، إثر إلحاح رئيس الوزراء، على إيقاف القصف النهاري والانضمام إلى ق. ج. م في القصف الليلي".

كانت ق ج م هي القوات الجوية الملكية. لم يكن للأفكار التي فتنت إيكر وزملاء صفه في ماكسويل فيلد التأثير نفسه على الجانب الآخر من المحيط الأطلسي. فقد شكك البريطانيون بشأن فعالية القصف الدقيق، ولم يقعوا أبدًا في حب مصوّب قنابل نوردن. لم يثرهم احتمال إلقاء قنبلة في برميل مخللات من ارتفاع ثلاثين ألف قدم. قالت مافيا قاذفات القنابل إنك تحطم إرادة عدوك بشلّه اقتصاديًا من خلال تعطيل القنوات المائية ومصانع نوابض المرواح بمهارة وحذر بحيث يعجز العدو عن المواصلة. اعتقدوا أن تكنولوجيا القصف الحديثة تسمح بتضييق مدى الحرب. وقد عارض البريطانيون ذلك، إذ إنهم اعتقدوا بأن الميزة التي يوفرها امتلاك أسطول من قاذفات القنابل تمثلت *بتوسيع* مدى الحرب.

أسموها "قصف المنطقة"، وهي كناية عن استراتيجية قصف لا تصوّب فيها على أي شيء بالتحديد، تضرب فقط كل شيء يمكنك ضربه قبل التحليق عائدًا إلى الوطن.

لا يُنجَز *قصف المنطقة* نهارًا، لأنك إن كنت لا تصوب على شيء محدد، فما حاجتك للرؤية؟ لقد كان قصف المنطقة موجهًا ضد المدنيين بشكل صريح. يجب عليك ضرب المناطق السكنية، ومواصلة القدوم ليلة إثر أخرى، في موجة إثر أخرى، إلى أن تتحول مدن عدوك إلى ركام. عندها ستضعف إرادة العدو إلى درجة تحمله على الاستسلام. عندما أراد البريطانيون اسمًا أفضل لما كانوا يفعلونه، أسموه *قصف المعنويات*.. القصف بنيّة تدمير منازل العدو ومدنه، ودفع السكان إلى حالة من اليأس.

اعتقد البريطانيون بجنون مافيا قاذفات القنابل الأميركية، وتساءلوا لماذا كانوا يخاطرون بالتحليق نهارًا ضد أهداف يصعب ضربها؟ كان البريطانيون يحاولون الانتصار في حربٍ، وبدا لهم كما لو أن الأميركيين يعقدون ندوة فلسفية لطلاب الجامعة.

لذا، قال تشرشل لروزفلت في الدار البيضاء: *كفى. ستفعلها الآن على طريقتنا*. وخلال نوبة ذعر، استدعى الجنرال آرنولد قائده في أوروبا، آيرا إيكر، ليعلمه بالأنباء السيئة: فاز *قصف المنطقة* في الجدال.

غير أن آيرا إيكر كان عضوًا في مافيا قاذفات القنابل، وما كان ليستسلم بسهولة.

وفق وصف إيكر:

> قلت: "أيها الجنرال، هذا غير منطقي أبدًا. طائراتنا غير مجهزة للقصف الليلي، حتى أن طواقمنا غير مدربة للقصف الليلي. سنفقد عددًا أكبر من الطواقم في طريق عودتنا في الظلام إلى هذه الجزيرة المغلفة بالضباب مما سنفقده خلال مهاجمتنا الأهداف الألمانية في وضح النهار... إذا كانوا سيرتكبون هذا النوع من الأخطاء، اعتبرني منسحبًا". قال: "توقعت أن يكون هذا ردّ فعلك... أعرف الأسباب التي عدّدتها مثلما تعرفها. ولكن... بما أنك منزعج للغاية من ذلك، سأرى إذا كان بمقدوري الترتيب لموعد تتحدث فيه إلى رئيس الوزراء صباح الغد".

عاد إيكر إلى مقره حيث ظل مستيقظًا طوال نصف الليل يحضّر ردًا على تشرشل. كان الجميع يعرفون أن تشرشل لن يقرأ وثيقة يتجاوز طولها صفحة واحدة. لذلك كان على الإحاطة أن تكون قصيرة ومقنعة.

عندما أُعلِم بحضوري، نزل رئيس الوزراء العجوز درجات السلم -كان يمكن رؤية إشراق ضوء الشمس عبر بساتين البرتقال من خلال النوافذ الزجاجية المرتفعة - متألقًا ببذلة الكومودور الجوي خاصته. كان لديه ميل كنت على علم به -عندما كان يلتقي بشخص من البحرية، كان يرتدي بذلته البحرية؛ وهكذا. قال: "أيها الجنرال، أخبرني الجنرال آرنولد بأنك غير سعيد للغاية بطلبي من رئيسك إيقاف مجهود القصف النهاري الذي تنفذونه والانضمام إلى المارشال [آرثر] هاريس والقوات الجوية الملكية في المجهود الليلي". قلت: "هذا صحيح يا سيدي. وقد حددت هنا وفي صفحة واحدة أسباب عدم سعادتي. وقد خدمت في إنكلترا مدة كافية لمعرفة أنك ستنصت إلى طرفيّ أي جدل قبل اتخاذك قرارًا بشأنه". جلس على الأريكة، وأخذ ورقتي، ودعاني إلى الجلوس إلى جانبه، وبدأ بالقراءة. وراح يقرأ مثل العجائز، بتحريك شفتيه وبصوت مسموع تقريبًا.

حسنًا، ما الذي كتبه إيكر؟ الحجة الأبسط التي استطاع الإتيان بها. "قلت إنه إذا ما قصف البريطانيون ليلًا وقصف الأميركيون نهارًا، سيتواصل القصف على مدار الساعة، وبالتالي لن يتوفر وقت للشياطين للراحة".

عندما وصل إلى تلك النقطة من المذكرة، كرر تشرشل السطر لنفسه. كما لو أنه يحاول فهم المنطق وراءه.

ثم توجه إلى إيكر.

قال: "لم تقنعني الآن بأنك على حق، غير أنك أقنعتني بمنحك فرصة ثانية لإثبات صحة ما تقوله. لذلك عندما سألتقي برئيسك اليوم على الغداء، سأخبره بأنني أسحب اعتراضي وطلبي بانضمامكم إلى ق. ج. م في القصف الليلي، وسأقترح السماح لكم بالمواصلة لمدة من الزمن".

بالكاد نال الأميركيون تأجيلًا.

.2

ضع نفسك مكان مافيا قاذفات القنابل في تلك اللحظة: آيرا إيكر، هيوود هانسل، هارولد جورج، دونالد ويلسون والآخرين جميعًا في المدرسة التكتيكية في الفيلق الجوي. كانوا يعملون جنبًا إلى جنب مع أقرب حلفائهم بهدف هزيمة النازيين. وعلى الرغم من ذلك بدا أن حليفهم عاجز عن فهم التقدم المفاهيمي الذي حققوه حيال خوض الحروب.

عندما وصل إيكر للمرة الأولى إلى إنكلترا، أقام في منزل نظيره في القوات الجوية الملكية، آرثر هاريس، المعروف بهاريس قاذفات القنابل. كانا يذهبان معًا كل صباح إلى مقر قيادة قاذفات القنابل في هاي وايكومب.

وفق شرح المؤرخ تامي بيدل:

إنه أمر غريب للغاية. لآيرا إيكر وآرثر هاريس عقيدتا قصف مختلفتان بالكامل إحداهما عن الأخرى، وعلى الرغم من ذلك، أصبحا صديقين سريعًا. أعجب أحدهما بالآخر بصدق. في الواقع، في لحظة ما، أخبر هاريس إيكر: إذا حدث مكروه لي ولـ [زوجتي] جيل... نريدك أن تتولى أمر [ابنتنا] جاكي. نريدك أن تكون عرّابها. يا لها من علاقة مثيرة للاهتمام، غير أنهما يعملان بطرائق مختلفة تمامًا.

لا بد أن اعتقاد المارشال هاريس الراسخ بـ *قصف المعنويات* قد أهان إيكر، أو أربكه على أقل تقدير. حسنًا ما الذي مرّ البريطانيون به للتو؟ حملة البليتز. كانت البليتز مثالًا مدرسيًا على قصف المنطقة. في الرابع من أيلول عام 1940، أعلن هتلر: "ستأتي الساعة عندما ينكسر أحدنا، وذلك لن يكون ألمانيا الاشتراكية الوطنية!". وفي خريف العام 1940، أرسل قاذفات القنابل الألمانية لتدوّي في سماء لندن، ملقيةً بخمسين ألف طن من القنابل شديدة الانفجار وأكثر من مليون من أجهزة الاحتراق.

اعتقد هتلر بأن قصف النازيين أحياء الطبقة العاملة شرق لندن كفيل بكسر إرادة السكان البريطانيين. ولأن البريطانيين اعتقدوا بالنظرية نفسها فإنهم كانوا مذعورين من أن يخسروا الحرب بسبب البليتز. قدّرت الحكومة البريطانية أن بين ثلاثة وأربعة ملايين من اللندنيين سيفرون من المدينة، حتى أن السلطات سيطرت على حلقة من

مستشفيات العلاج النفسي خارج لندن للتعامل مع ما توقعت أن يكون طوفانًا من الذعر والخسائر النفسية.

لكن ما الذي حدث فعلًا؟ لم يحدث الكثير! لم يحلّ الذعر أبدًا.

وفق وصف أحد الأفلام الحكومية البريطانية للأمر: "رفعت لندن رأسها، ونفضت حطام الليل عن شعرها، وقيمت الضرر الناتج. تألمت لندن خلال الليل. إن العلامة الدالة على المقاتل العظيم في الحلبة هي، هل بإمكانه النهوض بعدما أوقِع أرضًا؟ تفعل لندن ذلك كل صباح".

حُوِّلت مستشفيات العلاج النفسي إلى الاستخدام العسكري لأن أحدًا لم يأتِ. أُجلِي بعض النساء والأطفال إلى الريف عندما بدأ القصف، غير أنه وبشكل عام بقي الناس في المدينة. ومع استمرار البليتز وتزايد ثقل الاعتداءات الألمانية، دهشت السلطات البريطانية بملاحظة، ليس الشجاعة في مواجهة القصف فحسب، وإنما أيضًا شيء أقرب إلى اللامبالاة.مكتبة .. سُر مَن قرأ

التقت المتاحف الحربية الإمبراطورية لاحقًا بالعديد من الناجين من البليتز، من بينهم امرأة تدعى إلسي إليزابيث فورمان. وفق وصفها:

> اعتدنا دخول الملجأ طوال الوقت، وعندما أخذت الهجمات تخبو قليلًا، أصبحنا غير مبالين بعض الشيء. وكنا نلازم أسرّتنا بعض الوقت، غير أننا ظللنا نذهب إلى نوادي الرقص. إذا كانت هناك غارة جوية وأراد أحدهم المغادرة، كان بمقدوره فعل ذلك. الأمر نفسه إذا ما ذهبنا إلى دور

عرض الأفلام... كنا فقط نجلس هناك. لم نعتد أبدًا على الحركة والخروج حتى ذلك الوقت الذي تعرضنا فيه للقصف مرتين، على ما أعتقد. لم نتعرض للقصف حقًا في المرة الأولى، تحطم الزجاج... إحدى أخواتي عادت إلى المنزل وأخذت تكنس الزجاج، إذ إن كل النوافذ تحطمت. وخرجت أختي الكبرى أثناء غارة جوية مستمرة وخاضت شجارًا مريعًا لأن أختي الصغرى كانت قد انتعلت أفضل أحذيتها ذات الكعب العالي، والتي كانت صعبة المنال في تلك الأيام، مثلما كانت الجوارب الحريرية... كانت القنابل تسقط في كل مكان، وكانت هاتان تتشاجران بسبب حذاء.

تبيّن أن الناس كانوا أقوى وأكثر مرونة مما توقّع أي شخص. وتبيّن أيضًا أن قصف دولة أخرى يوميًا قد لا يدفع الناس المعرضين للقصف إلى الاستسلام والتخلي عن إيمانهم، وكل ما يفعله القصف اليومي هو دفعهم إلى كره عدوهم أكثر. استخدم مناصرو قصف المنطقة تعبيرًا مخادعًا بذكاء لوصف تأثير قصفهم: *الانتزاع من المنزل*. وكأنه بمقدورك تدمير أحد المنازل دون إزعاج قاطنيه، لكن إذا ما دُمِّر منزلي، ألا يجعلني ذلك أكثر اعتمادًا على حكومتي وليس أكثر ميلًا لانتقادها؟

يلقي المؤرخ تامي بيدل نظرة مطولة على قصف المنطقة: "أعتقد أننا رأينا ذلك مرارًا وتكرارًا في تاريخ القصف. رأينا أن الدولة المستهدَفة - إذا كنا نتحدث عن القصف القسري طويل المدى - تجد طرقًا لامتصاص العقاب إذا ما كانت مصممة حقًا على فعل ذلك".

عندما سئلت سيلفيا جون كلارك الناجية من البليتز إذا ما اعتقدت باحتمال انتصار الألمان في الحرب، أجابت:

لا. لم أعتقد ذلك أبدًا. أنا فخورة للغاية بكوني إنكليزية، واعتقدت أنهم لن يهزمونا أبدًا. آمنت بأنني إذا ما عملت وساعدت الجميع فإننا سنحقق النصر في النهاية... كنت أقول هذا للناس: لا فائدة من الاكتئاب. كان لديّ منزلk كان لديّ والدان، وقد خسرت كل شيء، غير أنني قررت أن أحدًا لن يدفعني إلى الاكتئاب. سأنجو، وسأعمل جاهدة، وسأفتخر بأن إنكلترا ستعود إلى ما كانت عليه مجددًا.

عندما قدّروا الأضرار، حدّد البريطانيون أن أكثر من ثلاثة وأربعين ألفًا قتلوا وعشرات الآلاف جرحوا، وتضرر أو دُمِّر أكثر من مليون مبنى، ولم يجدِ ذلك نفعًا! ليس مع لندن أو اللندنيين، لم يحطم معنوياتهم. وعلى الرغم من ذلك الدرس، وبعد عامين فقط، كانت القوات الجوية الملكية تقترح فعل الأمر نفسه تمامًا بالألمان.

قال آيرا إيكر أنه عندما كان يقيم مع المارشال في ق. ج. م هاريس فإنهما كانا يخوضان نقاشات؛ غير أنني أعتقد أن *جدالات* ستكون تعبيرًا أفضل. كانا يتحدثان حتى وقت متأخر من الليل، وذات مرة، توجه إيكر نحو هاريس وأشار إلى أهمية النقطة التالية: "سألت هاريس عما إذا كان قصف لندن قد أثر في معنويات البريطانيين. قال إنه دفعهم إلى العمل بجهد أكبر، لكن في ما يتعلق بالألمان، فإنه اعتقد بأن رد الفعل كان مختلفًا لأنهم كانوا سلالة مختلفة عن البريطانيين".

بالنسبة إلى إيكر وبقية أعضاء مافيا قاذفات القنابل، لم يكن الموقف البريطاني مفهومًا، ولم يفهموا السبب إلا في وقت لاحق. كان لدى البريطانيين النسخة الخاصة بهم من مافيا قاذفات القنابل، لها وجهات نظر دوغمائية حول كيف يجب أن تُستخدم القوة الجوية. في الواقع، إن كلمة *مافيا* ليست صحيحة تمامًا - كان الأمر أقرب إلى مافياوي قاذفات قنابل واحد، إلى عرّاب. وكان اسمه فريدريك ليندیمان.

.3

في العقود التالية للحرب العالمية الثانية، حاول باحثون من مختلف الأطراف فهم ما الذي عنته الحرب، وكان بينهم عالم بريطاني بارز يدعى سي بي سنو. خدم سنو في الحكومة البريطانية خلال الحرب. كان محاضرًا في كامبردج، وروائيًا ناجحًا وصديقًا لجميع من كانوا ذوي أهمية في النخبة الفكرية البريطانية. في العام 1960، جاء إلى هارفرد لتقديم محاضرة، كان جزء كبير منها مكرّسًا لقصة فريدريك ليندیمان.[1] اعتقد سنو أن ليندیمان أدى دورًا لم يقدّر حق قدره في الطريقة التي اختارها البريطانيون لاستخدام قوتهم الجوية. قال سنو: إذا أردت فهم موقف البريطانيين المحيّر حيال القصف، فعليك فهم ليندیمان.

---

(1) استكشف المزيد عن ليندیمان في "رئيس الوزراء والبروفيسور"، إحدى حلقات الموسم الثاني من مدونتي الصوتية، *التاريخ المراجَع*.

وفق ما صاغ سنو الأمر في محاضرته في هارفرد:

كان ليندیمان رجلًا لافتًا للغاية وغريبًا للغاية. كان شخصية وازنة حقًا... ومختلفًا عن الإنكليز. لطالما اعتقدت أنك إذا ما التقيت به في منتصف عمره، كنت ستعتقد بأنه ذلك النوع من رجال الأعمال القادمين من وسط أوروبا، والذين اعتاد المرء مصادفتهم في الفنادق الفخمة في إيطاليا...

أعني، كان يمكنه أن يكون من دسلدورف. كان ذا ملامح بارزة، شاحبًا، يرتدي الزي المناسب دائمًا. تحدث الألمانية بالمهارة نفسها التي تحدث بها الإنكليزية، وفي الواقع كانت إنكليزيته مطعمة بنبرة ألمانية إذا تمكنت من سماعه أصلًا، إذ إنه لطالما كان يتمتم بطريقة مذهلة.

ولِد فريدريك ليندیمان - المعروف لاحقًا باللورد تشيرويل - في ألمانيا عام 1886. كان والده مهندسًا ألمانيًا ثريًا وكانت والدته أميركية. عمل ليندیمان فيزيائيًا، ونال درجة الدكتوراه في برلين قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى تمامًا؛ في ذلك الوقت كانت ألمانيا مركز العالم في الفيزياء. قارن زملاؤه عقله بعقل إسحق نيوتن، فقد تمتع ليندیمان بذاكرة مذهلة للأرقام: في طفولته، كان فريدريك يقرأ الصحف، ويعيد تلاوة الإحصاءات فورًا عن ظهر قلب. كان بإمكانه هزيمة أي شخص في النقاش، كما أنه قضى وقتًا طويلًا بصحبة ألبرت آينشتاين. ذات مرة، وبينما كانا يتناولان العشاء، ذكر آينشتاين إحدى الفرضيات الرياضية التي لم يستطع أبدًا الإتيان بإثبات لها. في اليوم

التالي، ذكر ليندیمان وعلى نحو عابر أن لديه الإجابة؛ توصّل إليها في حوض الاستحمام.

تحدث الجميع عن ليندیمان، وبالنسبة إلى كاتب مثل سنو، كان من الصعب مقاومة الشائعات.

كانت الأمور التي شغف بها أكبر بكثير من الحياة... ذكّرتني... بنوع الشغف المبالغ فيه في روايات بلزاك. كان شخصية بلزاكية رائعة، تصيب أصابع الروائيين بالحكة.

لم يستمتع بأي من المتع الحسية. كان أكثر النباتيين من ناحية غرابة الأطوار؛ لم يكن نباتيًا فحسب، إنما كان يأكل أجزاء دقيقة للغاية مما يعدّ حمية نباتية. عاش بشكل رئيسي على تناول جبنة بور سالو، وبياض البيض- إذ إن الصفار حيواني للغاية على ما يبدو- وزيت الزيتون، والأرز.

كان ليندیمان غريب الأطوار وألمعيًا. غير أن سبب شهرته الأهم أنه صديق وينستون تشرشل المفضّل. تعارف الرجلان عام 1921 خلال عشاء نظّمه دوق ودوقة ويستمنستر. كان تشرشل أرستقراطيًا، وكان ليندیمان ثريًا حقًا، لذلك تحرك ضمن الحلقات نفسها، وانسجما معًا. من أتيحت له فرصة الاطلاع على الرسائل التي كتبها تشرشل إلى ليندیمان، يدرك أنه كاد يعبده.

لدى عالم النفس دانييل ويغنر هذا المفهوم الجميل المعروف بالذاكرة العابرة الفعالية، وهو الملاحظة بأننا لا نخزّن المعلومات في عقولنا أو في أماكن محددة فحسب، بل نخزّن الذكريات والفهم في

الأشخاص الذين نحبهم أيضًا. بمعنى أنك لست بحاجة إلى تذكر علاقة طفلتك العاطفية بمعلمتها لأنك تعلم أن زوجتك ستتذكر؛ لست بحاجة إلى تذكّر كيفية استخدام جهاز التحكّم عن بعد لأنك تعلم أن طفلتك ستتذكر. هذه هي الذاكرة العابرة الفعالية. أجزاء صغيرة منا مستقرة في عقول أشخاص آخرين. لدى ويغنر لازمة تحطم القلب عما يقوله في العادة أحد الزوجين عندما يموت شريكه- أن جزءًا منه قد مات مع الشريك. يقول ويغنر إن هذا صحيح حرفيًا. عندما يموت شريكك، فإن كل ما خزّنته في عقل ذلك الشخص يُفقَد.

لشخصية تشرشل أهمية هنا. كان رجلًا يرى الصورة الكاملة، كان ذو رؤيا. يتمتع بفهم فطري عميق للسيكولوجيا والتاريخ البشريين، غير أنه عانى من الاكتئاب وتقلبات المزاج. كان متهورًا، ومقامرًا، ولم يكن يفهم الأرقام. لقد خسر طوال حياته مبالغ مالية كبيرة في استثمارات حمقاء. عام 1935، أنفق تشرشل ما قيمته اليوم أكثر من ستين ألف دولار على الكحول- خلال عام واحد. خلال شهر من تبوئه رئاسة الوزراء، كان مفلسًا.

لدينا هنا رجل يتمتع بالقليل من الحس السليم، ويعجز عن التعامل مع الأرقام، ولا سبيل إلى إدخال النظام إلى حياته. لذلك من الذي سيصبح صديقه المفضّل؟ شخص منضبط، متّسق بتعصّب، شخص تناول الأشياء الثلاثة نفسها في كل وجبة، يوميًا. شخص مرتاح فطريًا مع عالم الأرقام، والذي كان في طفولته يقرأ الصحف ويعيد تلاوة الإحصاءات عن ظهر قلب.

خزّن تشرشل كل التفكير المتصل بعالم الأرقام في عقل ليندیمان. وعندما أصبح تشرشل رئيسًا للوزراء، عام 1940، عقب اندلاع الحرب تمامًا، اصطحب ليندیمان معه. خدم ليندیمان في مجلس وزراء تشرشل بمنزلة حارس بوابة عقل تشرشل. رافقه إلى المؤتمرات، وتناول العشاء معه. لم يشرب لينيدمان الكحول أبدًا إلا إذا كان يتناول الطعام مع تشرشل، الذي كان كثير الشرب، وكان يذهب إلى منزل تشرشل الريفي في نهايات الأسابيع. شاهدهما الناس يجلسان الساعة الثالثة بعد منتصف الليل قرب النار، يقرآن الصحيفة معًا.

وفق وصف سنو: "كانت صداقة حقيقية تمامًا وعميقة للغاية، وقد دفع الرجلان ثمنها. وعلى الرغم من أن ليندیمان كان مكروهًا للغاية من قبل زملاء تشرشل الحميمين الآخرين، الذين حاولوا التخلص من ليندیمان، إلا أن تشرشل لم يسمح بذلك".

كان ليندیمان الأكثر إقناعًا لتشرشل في ما يتعلق بالقصف، من بين مواضيع أخرى. كان ليندیمان مؤمنًا كبيرًا بفكرة أن السبيل المؤكد لكسر إرادة العدو كان بقصف مدنه دون تمييز.

الآن، هل كان لدى لينيدمان أي دليل يدعم فكرته؟ لا. في الواقع، كان ذلك فكرة محاضرة سي بي سنو برمتها؛ إظهار أن هذا العالِم، هذا المفكر الألمعي، اختلق وشوّه الحقائق لدعم قضيته:

لم يكن أحد قد فكر بكيفية استخدام قوات قاذفات القنابل.

كان عملًا إيمانيًا فحسب: كان هذا طريقة لخوض حربٍ.

وأعتقد أنه من العادل القول إن ليندیمان، بحدته المتطرفة

المعهودة، كان ملتزمًا بهذا الإيمان بدرجة التزام أي رجل آخر في إنكلترا. في وقت مبكر من العام 1942، كان مصممًا على وضعه في حيز التنفيذ.

في أميركا، في المدرسة التكتيكية للفيلق الجوي، كانت مافيا قاذفات القنابل تحلم بعالم تُستخدَم فيه القنابل بدقة متناهية. بذل ليندیمان جهدًا كبيرًا للترويج للمقاربة المعاكسة، والتفسير الوحيد الذي استطاع سنو الإتيان به كان شخصيًا. كان ليندیمان ساديًا فحسب. وجد أنه من المُرضي تحويل مدن العدو إلى أنقاض: "كان جو من عدم الارتياح غير القابل للتعريف يحيط به. يشعر المرء بأنه لم يفهم حياته جيدًا، ولم يتكيف مع الأمور الكبيرة. كان حقودًا؛ سليط اللسان؛ يتمتع بحس فكاهي سادي خبيث، وبالرغم من ذلك يشعر المرء بأنه كان ضائعًا".

كتب أحد مترجمي سيرة ليندیمان عنه: "لن ينقبض إذا ما استخدم حجة يعرف أنها خاطئة طالما أنه يستطيع باستخدامها هزيمة أحد خصومه المهنيين".

هذا ما قاله أحد أصدقائه عنه: "كان يفتقر حقًا إلى رابطة التعاطف الإنساني تجاه كل شخص يصادفه ولم تجمعه به علاقة شخصية". ذات مرة، سئل ليندیمان عن تعريفه للأخلاق، أجاب: "أعرّف الفعل الأخلاقي بأنه الفعل الذي يأتي بالمنفعة لأصدقائي".

حسنًا، إليك هذا. *أعرّف القصف الأخلاقي بأنه القصف الذي يأتي بالمنفعة لصديقي ونستون تشرشل.* كتب ليندیمان لتشرشل إحدى أشهر مذكراته. وفق وصف ليندیمان للوثيقة:

كانت ورقة تقترح استخدام جميع موارد إنكلترا لصنع قاذفات القنابل، ولتدريب طواقم القصف، ولاستخدام القاذفات والطواقم كلها لقصف منازل الطبقة العاملة الألمانية. وصفت بتعابير كميةٍ نتائجَ حملة القصف... قضى الحساب بأنك إذا ما بذلت مجهودك كاملًا، فإنه سيكون بإمكانك تدمير نصف منازل الطبقة العاملة في البلدات الكبيرة جميعها في ألمانيا. هذا يعني خمسين في المئة من البلدات. بتعداد سكاني يتجاوز الخمسين ألفًا خلال ثمانية عشر شهرًا. وفق لينيدمان فإن خمسين في المئة من المنازل لن يعود لها وجود.

حسنًا، أقنع لينديمان تشرشل، وعيّن تشرشل آرثر هاريس الرجل الذي أقام آيرا إيكر في منزله عندما قدِم إلى إنكلترا للمرة الأولى ليترأس قيادة قاذفات القنابل البريطانية. وكان آرثر هاريس سايكوبائيًا. لقّبه رجاله بهاريس السفاح.

في أحد تصريحاته المهمة الأولى عقب تبوّئه المنصب، اقتبس هاريس عن يوشع، أحد أكثر أنبياء العهد القديم كآبة: "دخل النازيون هذه الحرب تحت توهم طفولي بأنهم كانوا سيقصفون الآخرين جميعًا، وأن أحدًا ما كان سيقصفهم... لقد زرعوا الريح، والآن سيحصدون العاصفة".

عقب وقت قصير من سيطرته على عمليات القصف البريطانية، أطلق هاريس هجومًا عملاقًا على مدينة كولون. قصف ليلي، لأنهم لم

يحتاجوا بالطبع إلى رؤية أهدافهم. أرسل هاريس ألف قاذفة قنابل إلى ألمانيا ألقت بقنابلها في كل مكان. في النهاية، سوّت حملة ق. ج. م تسعين في المئة من وسط كولون بالأرض، ما مجموعه ستمئة فدان. كانت النتيجة دمار أكثر من ثلاثة آلاف منزل.

تفيد إحدى القصص أن هاريس أوقِف ذات مرة خلال الحرب بسبب تجاوزه السرعة المسموح بها بسيارته. قال الشرطي: "إنك تتجاوز حدود السرعة كثيرًا؛ قد تقتل أحدهم". أجاب هاريس: "بما أنك ذكرت الموضوع، تتمثل مهنتي بقتل الناس: الألمان".

بعد أعوام، وفي عام 1977، التقت خدمة البث الإذاعي الخاصة بالقوات البريطانية بهاريس. كان لديه أكثر من ثلاثين عامًا للتفكير في أفعاله.[1]

غير أنه عندما تحدث عن إحدى أسوأ مهماته صيتًا، عندما حوّلت قاذفات قنابله دريسدن إلى ركام، لم يظهِر أي ندم:

> حسنًا، يميل الناس طبعًا للقول: "يا لدريسدن المسكينة، تلك المدينة الجميلة، التي لا تنتج إلا تماثيل راعيات الأغنام السيراميكية الصغيرة الجميلة بتنانيرهن المزخرفة". غير أنها كانت في حقيقة الأمر المركز الحاكم القابل للحياة الأخير في ألمانيا. كما كانت المعبر الأخير للاحتياطيين الألمان

(1) عام 1969، نشر كورت فونغَت روايته *المسلخ رقم خمسة*. على الرغم من أنها صيغت كرواية خيال علمي، إلا أنها مبنية بجزء كبير منها على تجربة فونغَت كأسير حرب أميركي في دريسدن خلال حملة قصف ق. ج. م. بقيت الرواية ضمن قائمة *النيويورك تايمز* للكتب الأفضل مبيعًا طوال ستة عشر أسبوعًا.

المتجهين من الشمال إلى الجنوب، متحركين أمام الروس وتقدّم جيشنا.

ظاهريًا، ولمنع تحرك الجنود عبر دريسدن، جعل هاريس قاذفات قنابله تدمّر 1600 فدان في مركز المدينة وتقتل خمسة وعشرين ألف مدني خلال ثلاثة أيام. عندما سئل لماذا استهدف المدنيين بدلًا من المواقع العسكرية، عارض هاريس السؤال:

> لم نكن نستهدف السكان المدنيين بالتحديد. كنا نستهدف إنتاج كل ما يتيح للجيوش الألمانية مواصلة الحرب. كان ذلك هو الهدف من حملة القصف. متضمنًا، مثلما قلت، تدمير منشآت بناء الغواصات، وصناعات التسليح في كامل ألمانيا، والناس الذين عملوا فيها. بالنسبة إليّ، كانوا جميعًا جنودًا. على الناس العاملين في إنتاج الذخائر توقع التعامل معهم كجنود. وإلا، كيف تميز بينهم؟

بالنسبة إليّ، كانوا جميعًا جنودًا: الأطفال، والأمهات، والعجائز، الممرضون في المستشفيات، القساوسة في الكنائس. عندما تتجرأ على القول إننا لم نعد نستهدف شيئًا محددًا، فإنك تكون قد تجاوزت خطًا أحمر. سيكون عليك عندها إقناع نفسك بعدم وجود اختلاف بين الجنود من جهة والأطفال، والأمهات، والممرضين في المستشفيات من جهة أخرى.

كان منطق مافيا قاذفات القنابل، وسبب وجودهم، هو عدم رغبتهم في تجاوز ذلك الخط الأحمر. لم يتقدموا بقضية تكنولوجية فحسب، إنما بقضية أخلاقية حول كيفية شن الحروب. الحقيقة الأهم حول كارل

نوردن، عرّاب القصف الدقيق، ليست أنه مهندس ألمعي أو غريب أطوار يائس، بل أنه كان مسيحيًا مخلصًا للغاية.

وفق صياغة المؤرخ ستيفن مكفارلاند:

لعلك تتساءل، إذا كان يعتقد أنه في خدمة البشرية، فلماذا يطوّر إذًا مصوّبات تساعد الناس على إلقاء القنابل؟ السبب أنه كان مؤمنًا حقيقيًا بأنه، بتحسينه دقة القصف، يمكنه إنقاذ حياة كثير من الناس.

صدّق حقًا ما كان الجيش والبحرية يخبرانه به. وهو أننا سندمّر آلات الحرب وليس أشخاص الحرب. لن نفعل ما فعلناه خلال الحرب العالمية الأولى، عندما ذبحنا الملايين من الجنود، لن نحاول ذبح الملايين من المدنيين. سنحاول فقط تفجير المصانع وآلات الحرب، وقد اقتنع بذلك. كانت مسيحيته جزءًا من فلسفته الرئيسة في الحياة.

لذا، بالنسبة إلى الجنرال القائد آيرا إيكر، كانت رحلة منتصف الليل تلك إلى الدار البيضاء بهدف إنقاذ القصف الدقيق، العمل الأخلاقي الأهم في حياته. وعندما عاد إلى قاعدته الجوية في إنكلترا قال: *نحتاج خطة جديدة للحرب في أوروبا، خطة ستظهِر للبريطانيين وجود طريقة أفضل لشن حرب جوية*. ومن الذي اختاره للإتيان بتلك الخطة؟ هيوود هانسل، الجنرال هانسل الآن، أحد ألمع الأنوار الشابة في القوات الجوية في الجيش الأميركي. هانسل نفسه الذي سيفقد في أحد الأيام عمله لصالح كورتس لوماي على جزيرة غوام.

الفصل الرابع

"كان أكثر المؤمنين إيماناً".

.1

تحدّر هيوود هانسل من عائلة عسكرية جنوبية أرستقراطية. شارك جده الرابع جون و. هانسل في الثورة الأميركية، وكان جده الثالث ويليام يونغ هانسل ضابطًا في الجيش خلال حرب عام 1812، وجده الثاني جنرالًا في جيش الكونفدرالية، وجدّه الأول ضابطًا كونفدراليًا. أما والده فعمل جراحًا في الجيش، وكان يأتي إلى العشاء مرتديًا بذلة بيضاء من الكتان وقبعة باناما. أحب هيو أن يحمل عصا والده، مثلما يفعل ضباط الجيش البريطاني، وفي طفولته كان الجميع يدعونه بحيوان البوسوم.

كان هانسل نحيلًا وقصيرًا، وراقصًا بارعًا، وشاعرًا، وهاويًا لأوبريتات غلبرت وسَليفان. وكان *دون كيشوت* كتابه المفضل. وضع التحليق في المرتبة الأولى، ورياضة البولو في الثانية، والعائلة في المرتبة ثالثة وكانت بعيدة جدًا عن المرتبتين الأوليين السابقتين. تقول إحدى القصص إنه ذات مرة، وفي مرحلة مبكرة من زواجه، سمع صوت بكاء

طفل، فتوجّه إلى زوجته: "ما هذا بحق السماء؟". أجابته: "هذا صوت طفلك". خلال مهمته القتالية الأخيرة كطيار والمتمثلة بقصف بلجيكا، روّح هانسل عن طاقمه المنهك بغنائه أغنية قاعات الموسيقى الشهيرة "الرجل على الأرجوحة الطائرة". كما كان سي بي سنو سيصيغ الأمر، فإن هانسل من نوع الشخصيات التي تصيب أصابع الروائيين بالحكّة.

في زمن الحرب، يتوجّب على الوحدات المقاتلة إعلام الصحافة بإنجازاتها، بحيث يعرف الناس في الوطن عن تقدّم الحرب. غير أن إصدارات الصحافة العسكرية تميل إلى أن تعجّ بالكنايات، والتفصيل، والتحسينات الشديدة للحقيقة بحيث إنها إذا ما وضعت في أي جسم مائي فإنها ستغرق مباشرةً نحو القاع. على النقيض من ذلك، تأمّل إصدارًا صحفيًا يعود إلى كانون الأول عام 1944، أملاه هانسل شخصيًا من مقره في غوام.

كتب: "لم نسقط جميع قنابلنا حيث أردنا إسقاطها تمامًا، ولذلك لسنا راضين أبدًا عما أنجزناه حتى الآن. لا نزال في مراحلنا التجريبية الأولى، وعلينا تعلّم الكثير وحلّ العديد من المشاكل العملياتية والتقنية".

علينا تعلّم الكثير؛ هذا هو هانسل: صادق من دون تردد، ساذج قليلًا، لكنه وبشكل رئيسي رومانسي، مع كل ما يوحيه ذلك. ذات مرة، عندما كان معيّنًا في لانغلي فيلد في فيرجينيا، مرّ إلى جانب امرأة في بهو أحد الفنادق؛ الآنسة دوروثي روجرز من واكو، تكساس. أوصل هانسل الفتاة التي كان يواعدها إلى منزلها مباشرةً، وعاد إلى الفندق، ودعا نفسه

للانضمام إلى المرأة الشابة وعمتها على العشاء. وجدته دوروثي روجرز مضجِرًا أما هو فوجدها جذابة، عندما عادت إلى تكساس، راسلها يوميًا طوال عام تقريبًا. أجابت على اثنتين، وربما ثلاث من رسائله. وانتهى بهما المطاف عام 1932 زوجًا وزوجة.

من المنطقي أن يكون كتاب هانسل المفضل هو *دون كيشوت*. الدون كيشوت هو الفارس النبيل المتميز بحملته الشجاعة المتواصلة لإحياء الشهامة. مال دون كيشوت إلى الطواحين، وعانى من حرمان لا نهاية له، وعارك أعداءً متخيلين. كان هانسل يراسل امرأة بالكاد عرفها مئات المرات، على الرغم من أنها تجاهلته بالكامل تقريبًا. إن دون كيشوت اختيار غريب بالنسبة إلى رجل عسكري، أليس كذلك؟ يتمسك الدون بهدف، غير أنه لم يتحقق أبدًا، إذ إنه مستند إلى وهم. يعتقد بأنه يجعل العالم مكانًا أفضل، غير أنه لم يكن يفعل ذلك حقًا. تأمّل المقطع التالي من *دون كيشوت*، الذي لا بد أن يكون هيوود هانسل قد قرأه خلال سنوات تقاعده الطويلة عقب إذلاله في غوام، وأجفل عندما أدرك التشابه بينهما:

> باختصار، غدا [دون كيشوت] مأخوذًا بكتبه حتى أنه قضى لياليه من غروب الشمس إلى شروقها، وأيامه من الفجر إلى حلول الظلام، مستغرقًا في قراءتها: ومع القليل من النوم والكثير من القراءة فإن دماغه جفّ لدرجة أنه فقد دهاءه. امتلأت مخيلته بما كان يقرأ عنه في كتبه: مباهج، وشجارات، ومعارك، وتحديات، وجروح، وتوددات، وعلاقات حب،

وعذابات، وجميع أشكال الهراء المستحيل، فاستحوذت على عقله بشدة لدرجة أن كل نسيج الابتكار والخيال الذي كان يقرأ عنه كان حقيقيًا، بحيث لم يكن في تاريخ في العالم ما هو أكثر واقعية منه بالنسبة إليه.

في ذلك كثير من الشبه مع هيوود هانسل.

عام 1931، عندما كان ملازمًا شابًا في الجيش، عُيّن هانسل في ماكسويل فيلد. عُيّن مدرّسًا في المدرسة التكتيكية في الفيلق الجوي عام 1935 وميّز نفسه سريعًا كأحد أكثر العقول حدة في المدرسة برمتها. عندما كان آيرا إيكر يبحث عمن يدافع عن عقيدة القصف النهاري الدقيق من علوّ مرتفع أمام تشكك البريطانيين لم يجد صعوبة في من سيختار، كانت هذه وظيفة مناسبة لهيوود هانسل، أكثر المؤمنين إيمانًا.

.2

في خطاب ألقاه عام 1967، وصف هانسل المشكلة الأولى التي واجهها: "كان اختيار الأهداف شأنًا معقدًا للغاية، مجهودًا لقياس مدى تأثير تدمير صناعة محددة على قدرة الألمان على شن الحروب".

احتاج هانسل لهدف يمكن لقاذفات القنابل الأميركية في إنكلترا الوصول إليه وتدميره بسهولة. شيء شديد الأهمية بالنسبة إلى المجهود الحربي النازي بحيث أن الألمان *سيعانون* إذا ما خسروه، وكان عليه أن يكون شيئًا محددًا. لن يكون من المنطقي استهداف جسور السكك الحديدية فوق نهر الراين، المجرى المائي المركزي في ألمانيا. هناك

دزينات من جسور السكك الحديدية فوق الراين، تمتد على مئات الأميال. وستكون محاولة استهدافها جميعًا كابوسًا لوجستيًا.

ثم سمع هانسل بما حدث عندما قصف الألمان مصنع رولز-رويس لمحركات الطائرات في مدينة كوفنتري الإنكليزية. كان الهجوم ناجحًا جزئيًا، غير أنه فجر الكوّات في سقف المبنى، معرّضًا أرض المصنع للعوامل الجوية. وفق وصفه: "كانت تمطر، وصدأت عشرات الصواني من حاملات الكرات ولم يعد بالإمكان استخدامها. توقف إنتاج المحركات في وقت كانت فيه الحاجة ماسة إليها. أصبح واضحًا للغاية أن الآليات الدوّارة كانت حساسة للغاية لصناعة حاملات الكرات".

تساءل هانسل عما إذا كانت حاملات الكرات نقطة ضعف ألمانيا.

لماذا حاملات الكرات تحديدًا؟ لأنها في صميم أي جهاز ميكانيكي. كرات معدنية ضئيلة مغطاة بالشحم ومغلفة بحلقة من الفولاذ. على سبيل المثال، يوجد داخل محور عجلة الدراجة نحو دزينة من حاملات الكرات، تعمل كبكرات فولاذية مصغرة تسمح للعجلة بالدوران بحرية. يمكن لدراجة طرق جيدة أن تكلف آلافًا من الدولارات وأن تتضمن بعض المواد مذهلة التعقيد العائدة إلى عصر الفضاء، إلا أن الدراجة لن تعمل دون حاملات كرات بقطر ربع إنش وتكلفة دولارين أو ثلاثة دولارات. لن تتحرك، بكل ما في الكلمة من معنى. وذلك ينطبق أيضًا على المحرك في سيارتك. أو افتراضيًا على أي غرض ميكانيكي يتضمن جزءًا دوّارًا.

كانت حاملات الكرات شأنًا مهمًا بالنسبة إلى كارل نوردن عندما كان يبني نموذجه الأولي. كان مصوّب القنابل حاسوبًا ميكانيكيًا مكونًا من دزينات من الأجزاء المتحركة، وكان على كل منها الدوران بدقة في الاتجاه الصحيح حتى تكون حسابات مصوّب القنابل دقيقة، لذلك إذا لم تكن حاملات الكرات متساوية الأحجام أو ناعمة تمامًا فإن مصوّب القنابل برمته لن يعمل.

شرح المؤرخ ستيفن مكفارلاند كيفية تعامل نوردن مع القضية: "دفع الأموال لعشرات الأشخاص ليقضوا يومًا- أو يومين أو ثلاثة أيام- يصقلون حامل كرة. كانوا يقيسونه كل عشرين ثانية للتأكد من كونه دائريًا تمامًا".

لذلك أتى شريكه بارث، والذي كان رجل الإنتاج، بفكرة مثيرة للاهتمام للغاية. كان يأتي إلى إحدى الشركات ويقول: "أريد منكم إنتاج مئات الآلاف من حاملات الكرات". ثم يدفع المال للناس لقياس كل حامل كرة.

عندما يجدون حامل كرة مثاليًا أو مطابقًا للتفاوتات المسموح بها ميكانيكيًا، فإنه سيكون حامل الكرة الذي سيُدخل في مصوّب القنابل. وكان عليهم أن يبحثوا بين خمسين، ستين أو مئة من حاملات الكرات الأخرى، التي كانوا يتخلصون منها، إذ إن ذلك كان أقل كلفة.

كانت حاملات الكرات شديدة الأهمية بالنسبة إلى كل شيء في الحرب الحديثة. وأين كان موقع صناعة حاملات الكرات الألمانية؟

تبيّن أنها كانت متمركزة بكاملها تقريبًا في بلدة بافارية تعود إلى العصور الوسطى تدعى شواينفورت. زوّدت خمسة مصانع منفصلة، تعمل على مدار الساعة موظّفةً آلاف الأشخاص، آلةَ الحرب الألمانية بملايين حاملات الكرات شهريًا.

كانت شواينفورت أحد أحلام مافيا قاذفات القنابل. وفق وصف تامي بيدل،

> إذا دُمِّر ذلك الهدف فمن المحتمل أن يُدمّر اقتصاد الحرب الألماني برمته. هذا ما كان الأميركيون يبحثون عنه، واعتقدوا أن حاملات الكرات قد تكون ذلك الهدف.
>
> إن الأمر بمنزلة سحب الورقة الرئيسة من منزل مصنوع من الورق وتداعيه بالكامل، أو سحب خيط من شبكة عنكبوت وحلّه بالكامل. ذلك ما اعتقد الأميركيون أنهم سيفعلون. مجددًا، إنه أمر طَموح للغاية، مستند إلى افتراضات غير مثبتة، غير أنه مفيد للغاية.

رسم استراتيجيو قوات الجيش الجوية إحدى خطط الحرب الأكثر حذاقة: غارة مكونة من جزئين. سيتضمن الحدث الرئيسي إرسال 230 طائرة بي-17 ضد مصانع حاملات الكرات في شواينفورت.

وبغرض جعل الحدث الرئيسي ممكنًا، كان ينبغي تنفيذ هجوم مضلل. قبل أن تقلع طائرات بي-17 باتجاه شواينفورت مباشرةً، فإن أسطولًا آخر من طائرات بي-17 سيقلع باتجاه ريغنسبورغ، وهي مدينة صغيرة إلى الجنوب من شواينفورت، حيث تمركزت طائرات

ميسرشميت المقاتلة الألمانية. قضت الفكرة بأن يشغِل هجوم ريغنسبورغ الألمان ويشتت انتباههم، تاركًا طريق مجموعة القاذفات المتجهة إلى شواينفورت سالكًا. ستكون القاذفات المتجهة نحو ريغنسبورغ طعمًا.

من الذي اختاروه لقيادة هذه الذراع الثانية الغادرة شديدة الأهمية لغارة شواينفورت؟ أفضل قائد معارك يمكنهم إيجاده: عقيد شاب في قوات الجيش الجوية يدعى كورتس إيمرسون لوماي.

.3

تحدّر كورتس لوماي، - أكبر أبناء عائلة كبيرة عانت ماليًا من حي فقير في كولومبوس، أوهايو. تسجّل في كلية الهندسة في جامعة ولاية أوهايو، وعمل ليلًا في مسبك. انضم إلى الجيش عقب تخرجه- وكان صعوده في الفيلق الجوي حابسًا للأنفاس. نقيب في الثالثة والثلاثين من عمره، ثم رائد، عقيد، عميد، وفي السابعة والثلاثين من عمره غدا لواءً.

كان لوماي أشبه بكلب البولدوغ. رأسه مربع كبير الحجم، مع شعر يفترق قليلًا عند المنتصف. كان لاعب بوكر ألمعيًا، وبارعًا في استخدام السلاح. كان عقله يتحرك إلى الأمام فقط، وليس إلى الجانب أبدًا. كان عقلانيًا، ورابط الجأش، وشديد الثقة بنفسه.

تأمّل هذه النسخة المكتوبة من لقاء أجراه عام 1943. كان لوماي في إنكلترا، يترأس مجموعة القصف 305. وكان قد عاد للتو عقب أخذه رجاله في جولة قصف.

السؤال: كيف كانت الرحلة اليوم أيها العقيد لوماي؟

لوماي: كانت جيدة للغاية، باستثناء أنها كانت مملة مقارنة مع بعض رحلاتنا السابقة. لم توجد أي مقاتِلات، وكانت نيران المدفعية معتدلة وغير دقيقة للغاية.

كان طاقم تصوير قد قدِم للّقاء رجاله عقب المهمة، وكان بقية الرجال يضحكون متحمسين. بوجود طاقم التصوير ستتاح لهم فرصة ليلمعوا. ينظر لوماي- القصير، مدوّر الصدر كالبرميل، المولع بالقتال دون أي تعابير إلى الكاميرا. تلك الرحلة عميقًا داخل أراضي العدو؟ *كانت مملة.*

السؤال: حسنًا، هل التزمت في رحلتك بالتشكيل الذي كشفته لنا البارحة؟

لوماي: نعم، طرنا بالتشكيل نفسه الذي تخيلناه البارحة.

السؤال: ماذا عن المدفعي الخاص بك، هل كان يعمل طوال الليل؟

لوماي: عمل كالمعتاد مئة في المئة. [ضحك]

السؤال: الرائد برستون هنا، هل أدى واجباته بشكل لائق؟

لوماي: نعم، كان مطلعًا تمامًا على المستجدات، كعادته دائمًا.

يتحدث لوماي من دون أي تغيير في نبرة صوته، من دون تفصيل. من الآمن القول إن العقيد لوماي لم يروّح عن رجاله بغنائه "الرجل على الأرجوحة الطائرة".

السؤال: ماذا عن الرجال، هل أدوا واجباتهم بشكل لائق؟

لوماي: الطاقم بمستواه المعهود.

السؤال: بتعبير آخر، ليس لديك أي شكوى.

لوماي: لا شكاوى أبدًا.

لا شكاوى أبدًا. لم يكن كورتس لوماي من النوع الذي يشتكي، على الأقل ليس لشخص غريب، على أي حال. لو أن طاقم التصوير كان قد التقى هيوود هانسل، لوجده طليق اللسان، يلقي ببعض الملاحظات الذكية، ثم يدعو الجميع إلى مقر ضباطه لاحتساء أحد المشروبات. كان هانسل نقيض لوماي.

عندما كان هانسل في ماكسويل فيلد، قبل الحرب، كان جزءًا من مجموعة من الطيارين المتهورين بقيادة الطيار البارع كلير شينو. كانوا يؤدون أعمالًا بهلوانية خطيرة للغاية بطائرات لم تكن مصممة لمثل ذلك النوع من المغامرات. كما كان هانسل سيعترف بنفسه بأن نجاته كانت أعجوبة. *أراد* هانسل الانضمام إلى مجموعة متهورة، إذ كان ذلك ملائمًا لذوقه الرومانسي.

لوماي؟ كان نقيض الرومانسي.

أحب رَسِل دوغرتي، أحد زملاء لوماي من جنرالات القوات الجوية، رواية قصة جرت لاحقًا عندما قُدِّمت للوماي إحاطة حول طائرة جديدة تدعى أف بي-111:

> استمرت الإحاطات نحو يومين ونصف اليوم... أخيرًا، أنهوا الإحاطة، ولم ينبس لوماي ببنت شفة طوال الوقت. كان

جالسًا هناك فحسب... بعدما انتهوا، قال الجنرال لوماي:

"أهذا كل شي؟".

"نعم، سيدي! هذا كل شيء".

نهض وقال: "ليست كبيرة بما يكفي"، وغادر. كان هذا تعليقه الوحيد.

رُفِضت إحاطة استمرت يومين ونصف اليوم بأربع كلمات.

في خريف عام 1942، قدِم لوماي إلى إنكلترا مع القوة الجوية الثامنة. قاد سربًا من قاذفات بي-17 متمركزًا خارج شيلفستون، وأظهر تأثيره مباشرةً.

إليك أحد الأمثلة: إذا حلقت بسرب من قاذفات بي-17 بعيدًا داخل أراضي العدو بغرض القصف الدقيق من ارتفاع عشرين ألف قدم، كيف تحمي نفسك من طائرات العدو المقاتلة؟ كان للقاذفات بنادق ودروع، غير أنه ومع بدء إطلاق النيران توضّح سريعًا أن ذلك لم يكن كافيًا. لذلك أتى لوماي بما عُرف بتشكيل المربع القتالي، وهوطريقة تتيح لمجموعة من القاذفات التحليق معًا بحيث تستطيع الدفاع عن نفسها بسهولة ضد هجوم العدو. كانت فكرة تبنّتها القوة الجوية الثامنة برمتها. ثم وجه لوماي انتباهه إلى مشكلة أكبر: طياريه.

وفق تعبير لوماي في رواية شفهية قدّمها بعد تقاعده بمدة طويلة: "كان أحد الأشياء شديدة الوضوح أن القصف لم يكن جيدًا للغاية".

كان للقاذفات كاميرات تلتقط صورًا للمنطقة عندما تسقط قنابلها، تُعرف بصور الضربة. عندما نظر لوماي إلى صور الضربة عقب عودة

الطواقم إلى القاعدة، كان بإمكانه رؤية أن القنابل كانت تحطّ في كل مكان *باستثناء* الهدف. "لم تكن الأهداف تنجو وحسب، بل لم نملك أي تقارير عن مكان سقوط معظم القنابل في الواقع. كانوا بالطبع يلتقطون صور الضربة، غير أنه لم يكن بإمكانك تحديد موقع نصف القنابل التي أُسقطت على أوروبا".

تمثلت المشكلة بعدم تحليق الطيارين مباشرة نحو الأهداف. اعتقدوا أن ذلك سيجعلهم أهدافًا سهلة لنيران مضادات الطائرات، لأن مدفعية العدو على الأرض ستقدر ببساطة سرعة الطائرات وارتفاعها وتطلق وفقًا لذلك. لذلك كان الطيارون يراوغون بعدم تحليقهم مباشرةً نحو الهدف حتى الثواني الأخيرة من جولة القصف، وهذا سبب سقوط القنابل بعيدًا عن أهدافها. كيف يمكن للمدفعي المشغّل لمصوّب القنابل أن يؤدي عمله إذا كانت الطائرة تقف فوق الهدف في اللحظة الأخيرة فقط؟

شرح لوماي: "كان ينبغي فعل شيء ما لمنح المدفعي فرصة لضرب الهدف، وهذا يعني جولة قصف أطول مدة لمنحه وقتًا وافرًا لتصويب مصوّب القنابل".

رأى لوماي حلًا وحيدًا. كان على الطيارين *التوقف* عن المراوغة، كان عليهم التحليق مباشرةً فوق الهدف. تعارض هذا مباشرةً مع النصائح المقدّمة؛ قال: "كان رأي جميع من تحدثت إليهم ممن شاركوا سابقًا في المعارك بأنك إذا ما فعلت ذلك فإن مضادات الطائرات ستسقط طائرتك".

غير أن ذلك كان مجرد رأي. كان لوماي مؤمنًا بالتجريب. عاد ودرس كتيّبات تشغيل المدفعية القديمة الخاصة به وأجرى بعض الحسابات. ما عدد طلقات المدفعية المضادة للطائرات الكفيل بإسقاط قاذفة بي-17؟ وفق ما تذكّره: "أعتقد أن ذلك تطلّب 377 طلقة لإصابتها. لم يبدُ ذلك سيئًا للغاية بالنسبة إليّ".

كان على المدفعية المضادة للطائرات أن تطلق 377 طلقة ليكون لديها أمل بتعطيل قاذفة بي-17 تحلق مباشرة باتجاه الهدف. إن 377 طلقة كمية كبيرة من الذخائر، لذلك فإن التحليق المباشر خطير، غير أنه ليس خطيرًا على نحو جنوني.

لذلك قال لوماي: *لنجرّب ذلك. لنحلّق مباشرةً. اقتراب ثابت ومباشر يستغرق سبع دقائق.* وإذا ما بدا ذلك عملًا انتحاريًا- لقد بدا كذلك بالنسبة إلى طياريه جميعًا- أضاف: *سأكون أول من يجرّبه.* في جولة قصف عام 1942 فوق سان نازير في فرنسا، قاد لوماي مجموعته، ولم يراوغ. ما الذي حدث؟ أسقطت مجموعته ضعف عدد القنابل الذي أسقطته أي مجموعة من قبل على الهدف. ولم يفقدوا أي قاذفة.

كان روبرت مكنمارا، الذي أصبح لاحقًا وزير الدفاع خلال حرب فيتنام، يجري التحليلات لصالح القوات الجوية خلال الحرب العالمية الثانية. في وثائقي إيرول كوريس الرائع *ضباب الحرب*، وصف مكنمارا لوماي بعدما سمع أن عددًا كبيرًا من الطيارين أخذ بالفرار:

> كان أفضل قائد معارك في أي جهاز عسكري صادفته خلال الحرب، إلا أنه كان عدائيًا بشكل استثنائي، واعتقد العديدون

أنه كان وحشيًا. أصدر أمرًا مفاده: "سأكون في الطائرة القائدة في جميع المهمات، على كل الطائرات التحليق فوق الهدف، وإلا سيخضع الطاقم لمحاكمة عسكرية". كان من هذا النوع من القادة.

كانت مافيا قاذفات القنابل مكونة من منظّرين، مفكرين أتوا بخططهم الكبيرة خلال الأعوام السابقة للحرب، آمنين في مونتغمري، ألاباما. غير أن كورتس لوماي كان الشخص الذي توصّل إلى كيفية تطبيق تلك النظريات.

وفق ما قاله لوماي عن مهمة القصف التي أنهت الإجراءات المراوغة: "أعترف بشعوري وبعض العسكريين الآخرين ببعض القلق عندما أنجزنا جولة القصف المباشر الأولى، غير أنها نجحت".

قال: *أعترف ببعض القلق*، وهذا كل شيء!

.4

قصة أخرى عن لوماي، لأن افتتان الناس - حسنًا، افتتاني- بلوماي لا يتعلق بكون لوماي قائد معارك استثنائيًا. كان هناك عدد وافر من هؤلاء خلال الحرب العالمية الثانية، بل ينبع من الأعماق المتعذّر فهمها لشخصيته؛ الإحساس بأنه لم يكن لديه حدود مثل الناس الطبيعيين، الأمر الذي كان مبهِجًا أن قدرة لوماي على إنجاز أشياء لا يمكن للآخرين تخيلها. غير أنه وفي الوقت نفسه جعل الناس يتوقفون عن التفكير. فكِّر بالكلمة التي استخدمها مكنمارا لوصف لوماي: وحشي.

ذلك لا يعني أن مكنمارا كان دافئًا ومريحًا، إذ إنه سيدير لاحقًا القصف الهادف إلى تدمير منطقة الهدف برمتها في شمال فيتنام. وعلى الرغم من ذلك، فإن لوماي *جعله* يتوقف ليفكر.

حدثت القصة التي بدأ الهمس بها في الأوساط العسكرية عام 1937، عندما كان احتمال الحرب في أوروبا آخذ في الازدياد. أراد فيلق الجيش الجوي فرصة للتدرّب على تقنية القصف الخاصة بهم. تدريب حقيقي باستخدام قنابل دمى: قنابل مائية تزن كل منها خمسين رطلًا. سيتحدث لوماي عن هذا التدريب بعد أعوام: "كانت القوات الجوية منذ كنت فيها تبذل جهدها محاولةً الإسهام في الدفاع عن البلاد. لم يعرها أحد كثيرًا من الاهتمام... أردنا تدريبًا نلقي فيه القنابل على بارجة حربية، وكان علينا إيجاد البارجة الحربية".

حتى ينجح التدريب، احتاج فيلق الجيش الجوي مشاركة البحرية في التدريب. فلتخفوا سفينة حربية في البحار، اكشفوا عن إحداثياتها في اللحظة الأخيرة، وتحدوا قاذفي القنابل لإيجادها. كان هذا قبل الرادار المتطور والمُعِينات الملاحية. كان عليك لإيجاد سفينة حربية رؤيتها بعينيك، ثم ضرب سطحها الضيق بقنبلة من ارتفاع آلاف الأقدام، كل ذلك وأنت تحلق بسرعة مئات الأميال في الساعة.

لم تكن البحرية متحمسة.

قال لوماي: "أخيرًا، وافقوا على إجراء التدريب. وتقرر إجراؤه في آب قبالة الساحل الغربي. حين لا يوجد غير الضباب على امتداد ألف ميل. وإنني متأكد من انتقائهم ذلك التوقيت عمدًا".

كيف يمكنك رؤية سفينة حربية في ضباب ممتد لألف ميل؟ ولجعل الأمور أسوأ، فإن البحرية لم تلتزم بالقواعد. قضى الاتفاق بإجراء لعبة الحرب لمدة أربع وعشرين ساعة، من ظهر اليوم الأول إلى ظهر اليوم التالي. غير أن البحرية لم تكشف إحداثيات سفينتها الحربية- سفينة *يوتاه*- حتى وقت متأخر من بعد ظهر اليوم الأول، وكانت الإحداثيات التي أعطتها خاطئة. كانت السفينة تبعد ستين ميلًا عن الهدف، وكان هناك ألف ميل من الضباب، وتوجيهات متأخرة، وتوجيهات زائفة. كان إيجاد إبرة في كومة قش أسهل من إيجادها.

وجد لوماي السفينة قبل عشر دقائق من حلول الظهر- في اللحظة الأخيرة- وألقى بقنابله. وجد السفينة بالطبع، إذ لم يكن يوجد ما لا يمكن للوماي فعله إذا ما صمّم على ذلك. هذه ليست الغاية من القصة؛ تتمثل الغاية بما كان يحدث قبل إلقائه بقنابله تمامًا.

كانت البحرية متيقنة من عدم إمكانية إيجاد السفينة، لذلك لم تتخذ أي احتياطات. كان البحارة يؤدون أعمالهم المعهودة، وكان يفترض بهم الاحتماء خلال تدريب على القصف غير أنهم لم يفعلوا ذلك.

ما الذي فعله لوماي؟ قصف *اليوتاه*، ممطرًا البحارة بقنابل مائية يزن كل منها خمسين رطلًا.

وفق ما تذكره لوماي: "كان الجميع يغوصون باتجاه السلالم والبوابات. وسمعنا إشاعات عن تأذي بعض الأشخاص قليلًا".

في سيرته الذاتية، يقول لوماي إنه سمع بأن بعض البحارة قد قتلوا خلال تدريب القصف، ثم يكتب: "أتذكر مشاهدة القنبلة الأولى، التي

اصطدمت بسطح السفينة بقوة. راحت شظايا من الخشب تتطاير في جميع الاتجاهات. لم أكن مدركًا أن بإمكان الخشب أن يتطاير على هذا النحو".

يتجاهل الأمر. تمثلت مهمته على أي حال في إيجاد السفينة، وقد وجدها. وبالمناسبة، فإن معرفة فيزياء اصطدام قنبلة بسطح سفينة خشبي أمر جيد.

كونراد كرين، رئيس الخدمات التاريخية في مركز الجيش للإرث والتعليم، في ثكنات كارلايل، ومدير سابق لمعهد التاريخ العسكري للجيش الأميركي، يعتبر لوماي أفضل قائد جوي في التاريخ:

> كان قائدًا ديناميكيًا: تشارك الصعوبات مع طياريه. كان أفضل ملّاح في القوات الجوية؛ طيارًا عظيمًا؛ وكان بإمكانه القيام بأشياء ميكانيكية. كان يعرف الجوانب التقنية والقيادية لما كان يفعله، وكان حلّال المشاكل المطلَق في القوات الجوية.
>
> غير أنه كان من نوع الرجال الذين إذا ما طلبت منهم حل مشكلة، فإنك لا تطرح الكثير من الأسئلة عن كيفية فعلهم ذلك.

تخيّل إذًا تفكير مافيا قاذفات القنابل في صيف عام 1943. احتاج الرجال إلى التأكد من صحة النظريات التي صيغت في المدرسة التكتيكية في الفيلق الجوي؛ احتاجوا تدمير آلة الحرب الألمانية، واحتاجوا إثبات أن حاملات الكرات كانت نقطة الخنق الحاسمة

بالنسبة إلى البنية التحتية العسكرية الألمانية. كانت غارة شواينفورت فرصتهم الأفضل لإظهار أن طريقتهم في شن الحرب الجوية تتفوق على طريقة البريطانيين. من ستختار *للتخطيط* للمهمة؟ هيوود هانسل، بالطبع، كاهن ماكسويل فيلد الأكبر، أحد أفضل رجالك. لكن، من الذي ستختاره *لقيادة* الجزء الأصعب من المهمة؛ الغارة الطُعم على ريغنسبورغ؟ لم يوجد في الواقع أي خيار آخر.

في فيلم عنوانه *قصة القوة الجوية*، يصف المعلّق المشهد: "فجر السابع عشر من آب عام 1943. في إنكلترا... أعدّت قيادة القاذفات الثامنة 376 طائرة بي-17 للهدفين الأكثر أهمية على قائمتها: مصانع حاملات الكرات في شواينفورت ومصنع طائرات ميسرشميت في ريغنسبورغ، وكلاهما يوجدان داخل العمق الألماني".

تُروى قصة الطيارين أيضًا بصيغة المتكلم:

> بحلول الوقت الذي سلمنا فيه أغراضنا الشخصية، كان من المفهوم جيدًا أن الضربة المزدوجة المقدّرة ستتسبب بمعركة جوية واسعة ومكلفة. في دور العبادة في عموم إنكلترا، توجه معظم الرجال نحو كهنتهم، حاخاماتهم أو قساوستهم... وتضمنت مهمتنا المزدوجة اليوم أعمق اختراق تمت محاولته داخل ألمانيا. وأكبر قوة قاذفات قنابل أرسِلت حتى هذا التاريخ.

الفصل الخامس

"كان الجنرال هانسل مذعوراً".

1.

قضت الأوامر المعطاة لكورتس لوماي عشية غارة شواينفورت بأن يقود مهمة طُعم مدروسة. سيقلع أولًا مع جناح القصف الرابع؛ أسطول قاذفات بي-7، وسيتجهون نحو مصانع طائرات ميسرشميت في ريغنسبورغ.

قضت الفكرة بأن تشغِل مجموعة لوماي الألمان بالدفاع عن مصانع ميسرشميت. ثم يواصلون عبر جبال الألب نحو شمال إفريقيا آملين في إبعاد الطائرات المقاتلة الألمانية، ما أمكن، عن الزاوية البافارية حيث كانت مصانع حاملات الكرات.

وفق ما تذكّره لوماي لاحقًا: "سندخل ونضرب ريغنسبورغ ونخرج عبر ممر برينر، ولن نضطر للقتال ونحن في طريق الخروج، سنتحمّل وطأة القوة المقاتلة الألمانية في طريقنا نحو الداخل".

ثم ستصل قوة القصف الحقيقية إلى جناح القصف الأول.

وفق صياغة لوماي: "عمليًا سيدخلون من دون أي مقاومة لأن قوة المقاتلات الألمانية ستعمل ضد جناح القصف الرابع... ثم ستهبط إلى الأرض ليعاد تحميلها بالذخيرة، لكن سيكون عليهم القتال في طريق دخولهم وخروجهم".

كعادته، وقبل يوم الهجوم بمدة طويلة، كان لوماي قلقًا من الطقس، كان سيقلع من القاعدة في إنكلترا، أرض الغشاوة والضباب، لذلك جعل طواقمه تتدرب على الإقلاع الأعمى يوميًا خلال الأسابيع السابقة للغارة.

صباح يوم المهمة، في السابع عشر من آب، كان الضباب مريعًا. تذكّر قائلًا: "كان الضباب يغطي إنكلترا. في الواقع، عندما خرجنا ذلك الصباح كان عليهم استخدام الفوانيس والمصابيح اليدوية وتوجيه الطائرات نحو الخارج من المنصات في نهاية المدرّج".

قاد لوماي رجاله عبر الظلام، وعندما دخلوا فرنسا المحتلة، بدأت المقاتلات الألمانية تظهر من خلف الغيوم، وعرف جناح القصف الرابع بقيادة لوماي ما عناه التحليق في المقدمة في صميم الدفاعات الجوية الألمانية.

كتب أحد طياري لوماي؛ بيرن لاي، مقالًا في *ساتردي إيفنينغ بوست* بعد بضعة شهور، واصفًا غارة ريغنسبورغ. وكان وصفه مروّعًا:

> تجاوزَنا مربعٌ معدني فضي لامع محلقًا فوق جناحنا الأيمن، ميّزت أنه باب المخرج الرئيسي. بعد ثوانٍ، اندفعت كتلة سوداء بعنف عبر التشكيل، كادت تصطدم بعدة مراوح. كان

رجلًا، يضم ركبتيه نحو رأسه، يدور مثل غواص في حركة شقلبة ثلاثية، مندفعًا على مقربة منا لدرجة أني تمكنت من رؤية قطعة ورق تخرج من سترته الجلدية... بدا مؤكدًا الآن، ونحن تحت هجوم متواصل لمدة تتجاوز الساعة، أن مجموعتنا في طريقها نحو التدمير. كانت السماء مرقّشة بالمقاتلات الصاعدة. وكانت هناك خمس وثلاثون دقيقة على الموعد المستهدف. أشك أن أحدًا من رجال المجموعة قد تصوّر احتمال أن نذهب أبعد من ذلك دون خسارة حتمية.

يصف لاي طائرة أخرى في مجموعته: أصيبت ست مرات. اخترقت طلقة من عيار عشرين ميلليمتر الجانب الأيمن من الطائرة، وانفجرت أسفل الطيار وبترت ساق أحد أخصائيي البنادق. أصابت طلقة حجرة الراديو وبترت ساقيّ مشغّل الراديو عند الركبتين، فنزف حتى الموت. أصابت طلقة ثالثة رأس المدفعي وكتفه، أصابت رابعة مقصورة الطيار، معطلةً نظام الطائرة الهيدروليكي. وقطعت خامسة أسلاك الموجّه، بعدها استقرت طلقة سادسة في المحرك رقم ثلاثة وأشعلت النار فيه. حدث هذا كله في طائرة واحدة، ومع ذلك واصل الطيار التحليق.

استمرت الهجمات لساعات قبل وصولهم إلى ريغنسبورغ. كان عزاؤهم الوحيد تفكيرهم بأنهم يجعلون الأمر أسهل بالنسبة إلى الهجوم الحقيقي، الهجوم المحضّر لشلّ آلة الحرب النازية.

باستثناء التأكد من أن المهمة الطعم المبنية بعناية لم تكن طعمًا أبدًا، استطاع طيارو لوماي الإقلاع في ضباب ذلك الصباح في آب لأنه كان قد درّبهم على ذلك التحدي بالتحديد. كان قد دربهم، إقلاعًا إثر آخر. *استخدم أدواتك فقط. تصرّف كما لو أنك لا تستطيع رؤية أي شيء* في الخارج. لم يفعل أي قائد مجموعة آخر ما فعله لوماي. كان أعضاء طواقم الطيران منهكين من جولاتهم الطويلة داخل ألمانيا، محطمين إثر فقدهم رفاقهم. كانوا دون نوم، قلقين، مستنزفين. هل تعرف كم يصعب على قائد التوجه نحو طواقمه ليقول: "هذا الصباح، تمام الساعة السادسة، سنتدرب على الإقلاع الأعمى بسبب *احتمالية* الضباب في إحدى المهمات المستقبلية؟".

كان بمقدور لوماي وحده فعل ذلك. كان مثابرًا، ومتمسكًا، ولم يهتم إذا ما تبرّم رجاله من دفعه إياهم لخوض ما لا بد أنه بدا تدريبًا عبثيًا. في تلك الأثناء، هل كان هيوود هانسل يعير هذا التفصيل اهتمامه؟ لا. كان في واشنطن، تراوده أفكار أسمى.

ذلك الصباح، كانت قاذفات جناح القصف الأول عالقة على مدرّج الإقلاع حتى يصفو الجو، وكان يفترض بها الإقلاع بفارق عشر دقائق عن لوماي. في الواقع، أقلعت بفارق *ساعات* عن لوماي، وهذا ما وفّر للمدافعين الألمان الوقت لإعادة تجميع أنفسهم، وإطلاق الهجوم الشرس نفسه على غارة شواينفورت مثلما فعلوا قبل ساعات قليلة على غارة ريغنسبورغ.

في النهاية، كان هناك حمّاما دم *في* ذلك اليوم.

وفق ما تذكر لوماي: "كان لديّ 125 طائرة، وأعتقد أنني فقدت أربعًا وعشرين منها، وهذا ليس أمرًا سيئًا. غير أن رحلتنا كانت باتجاه واحد. أعتقد أنه بوصول جناح القصف الأول متأخرًا ساعة؛ كانت المقاتلات الألمانية قد هبطت وعادت مجددًا بقوة إلى السماء، وكان عليهم القتال في طريق الدخول والخروج أيضًا. لقد فقدوا نحو خمسين أو ستين طائرة".

هذه خسائر *صاعقة*. إن قوة جوية تطلق مثل هذه الغارات على نحو منتظم سرعان ما ستخرِج نفسها من الخدمة.

حتى في تواريخها الرسمية، لم تستطع القوة الجوية إخفاء الكارثة، صاغ المعلّق في فيلم *قصة القوة الجوية* الأمر على النحو التالي:

> أطلقت القوات الجوية الألمانية بقيادة غورنغ العنان لجميع الحيل. عانت طائرات بي-17 من الضربات الأكثر وحشية منذ بدأت الحرب... أفقدتنا المعارك عددًا أكبر من الرجال والطائرات خلال يوم واحد مما كانت قيادة القاذفات الثامنة قد فقدت خلال الشهور الستة الأولى من عملياتنا فوق أوروبا. نحن الذين حملنا الحرب مسافة خمسمئة ميل نحو صميم العدو الصناعي عرفنا أكثر من أي شخص كم كان ذلك مكلفًا.
>
> عندما بدأنا بمواجهة نيران المدفعية، كان بإمكان أخصائيي البنادق الشعور بقيام القوة الجوية الألمانية برمتها بالإحماء. عندما كنا حلق في أراضي العدو، شعرنا أننا نشبه اسماك زينة

في حوض، منتظرين الهجوم.

التزم جميع قاذفي القنابل الآن، لا مزيد من الإجراءات المراوغة حتى يُلقى بالقنابل. في هذا الوقت، كانت التشكيلات هي الأكثر عرضة للهجوم. لم يكن ذلك مهمًا. كان لدينا مهمة علينا إنجازها ضد شواينفورت، كان علينا إلقاء أربعمئة طن من المتفجرات.

غير أن المهمة دمرت مصانع حاملات الكرات في شواينفورت على أقل تقدير، وبذلك شلّت اقتصاد الحرب الألماني؛ أليس كذلك؟ حسنًا، لم يحدث ذلك حقًا.

في الفيلم، يمعن المدفعيون النظر عبر مصوّبات قنابلهم؛ تفتح أبواب حجرة القنابل، تسقط القنابل بموجات متتالية، ثم نرى ألمانيا، بعيدًا نحو الأسفل، تنفجر مرة إثر أخرى. يواصل المعلّق: "بعد إصابة مصنعي حاملات الكرات الرئيسين ثمانين مرة، كان بإمكاننا الدفاع عن أنفسنا مجددًا، إلى حد اتخاذ إجراء مراوغ ضد نيران المدفعية وهجوم المقاتِلات على أقل تقدير. غير أن الفكرة الرئيسة تمثلت الآن بالعودة سالمين إلى الوطن".

مئتان وثلاث قاذفات قنابل، تحمل كل منها بين ثماني وتسع قنابل، لنقُل إن ما مجموعه ألفا قنبلة قد ألقي، وحققت ثمانين إصابة، لا يبدو هذا قصفًا دقيقًا، أليس كذلك؟

.2

لم تكن المشكلة الرئيسة في شواينفورت التطبيق الفاشل للخطة، على أي حال. كان ذلك عرَضًا فحسب. كانت المشكلة *الحقيقية* متصلة بحجر الزاوية الميكانيكي في أيديولوجيا مافيا قاذفات القنابل: مصوّب قنابل نوردن.

كما تبيّن، فإن مصوّب القنابل لم يؤدِ عمله في العالم الحقيقي كما أدّاه في مختبر كارل نوردن أو في أفلام التدريب العسكري. سألت المؤرخ ستيفن مكفارلاند عما إذا كان مصوّب القنابل يعمل إذا كانت الظروف مثالية، فأجاب:

> حسنًا، نظريًا، نعم، إذا كنت تتحدث عن مشكلة رياضية تحديدًا. لكن عليك أن تتذكر أنه عندما تتحرك المعدّات والبكرات فإنها تحدِث احتكاكًا، ولا يعنيني كم تصقل حاملات الكرات، لا تعنيني مثالية التفاوتات المسموحة ميكانيكيًا، فإنك لا تزال ستواجه مشكلة الاحتكاك. وإن أقل احتكاك يعني أن المكافئ التناظري لتلك الصيغة الرياضية غدا خاطئًا. لم يعد يعمل بتلك الطريقة بعد الآن.

كان مصوّب قنابل نوردن شيئًا ميكانيكيًا، إذا ما بنيته يدويًا، بإمكانك التأكد من أن كل مكوّن ملائم على نحو مثالي، وأن كل تفاوت مسموح ميكانيكيًا دقيق. لكن عندما بدأت الحرب، احتاج الجيش عشرات الآلاف من الآلات.

وفق شرح مكفارلاند: "حالما يخرج من المصنع، تصبح الزيوت أكثر سماكة. على ارتفاع خمسة وعشرين ألف قدم، قد

تكون درجة الحرارة ستين درجة تحت الصفر، وستصبح الزيوت التي تزلّق المعدّات والبكرات أكثر سماكة وبذلك تسبّب قليلًا من الاحتكاك".

تخيّل الآن ذلك الجهاز متقلّب المزاج بين يدي مدفعي- طفل ما، تخرّج للتو من مدرسة التدريب- خلال جولة قصف حقيقية.

واصل مكفارلاند:

تطلَق النيران عليك، وتُحلق طائرات العدو نحوك بسرعة خمسمئة أو ستمئة ميل في الساعة، وكل هذا الصياح والصراخ المريع والقنابل، الانفجارات وكل شيء آخر، كان يميل القاذفون إلى الانكماش، إذا كان بإمكاني استخدام هذه العبارة.

كانوا ينحنون نحو الأمام فيما يصرّون على التأكد من بقاء السلكين المتقاطعين على الهدف، وعندما كانوا يفعلون ذلك كانوا في الواقع يغيرون زاوية النظر عبر التيليسكوب... كان ذلك مستحيلًا.

لم أذكر العامل الأهم: الطقس. اعتمد مصوّب القنابل على الرؤية البصرية للهدف. تنظر عبر التيليسكوب، ترى ما تريد ضربه، ثم تدخِل المعلومات جميعًا: اتجاه الرياح، وسرعة الهواء، ودرجة الحرارة، وانحناء الأرض، وهكذا. ولكن بالطبع إذا ما وجِدت غيوم فوق الهدف، لن ينجح أي من ذلك. في الأيام السابقة للرادار المتطور، لم توجد طريقة للالتفاف حول هذه المشكلة. كان عليك الصلاة ليكون اليوم مشمسًا، فإذا كان غائمًا

كان في بعض الأحيان نلغي المهمة.[1] لكن وباحتمال مساوٍ، كنت ستذهب على أي حال وتنتهز فرصك، هذا ما كان عليك القيام به، إذا تباطأت أكثر من اللازم على مدرّج الإقلاع ستخسر عنصر المفاجأة. أقلعت القوة الجوية الثامنة في الضباب للنيل من مصانع حاملات الكرات في شواينفورت، ألقت بألفي قنبلة، أصابت ثمانون منها أهدافها، لا تكفي ثمانون قنبلة لتدمير مصنع متطور مترامي الأطراف. عندما تجوّل أحد موظفي مصنع كوجِلفيشر لحاملات الكرات - أحد أكبر مصانع البلاد - في المصنع عقب الهجوم، وجد أن الطابق العلوي قد انهار بالكامل. كان يوجد حطام في كل مكان. غير أن نصف الآليات المهمة على أقل تقدير قد بقي سليمًا، وهذا يعني قدرته على إعادته إلى العمل قريبًا. اعتقد هيوود هانسل أنه قد وجد نقطة الخنق الكلاسيكية، المكافئة لمصنع نوابض المراوح ذاك في بيتسبورغ. غير أن مصنعًا قادرًا على العودة إلى العمل في غضون أسابيع قليلة ليس نقطة خنق. وفق أفضل التقديرات، خفّض الهجوم الإنتاج الألماني من حاملات الكرات بنحو الثلث.

ستون طائرة و552 رجلًا بين أسير وقتيل من أجل هذا؟ خلُصت الدراسة الرسمية التي أجراها الجيش لمهمات القصف- استطلاع قصف الولايات المتحدة الاستراتيجي - إلى أنه "لا يوجد دليل على أنه كان للهجمات على صناعة حاملات الكرات أي تأثير قابل للقياس على الإنتاج الحربي الأساسي".

---

(1) بالمناسبة، لا يزال هذا ينطبق اليوم على العديد من أنواع الطائرات العسكرية المسيّرة عن بعد. تحتاج إلى رؤية الهدف حتى تستطيع التصويب عليه.

إذا كانت هذه محاولة مافيا قاذفات القنابل لإثبات فعالية عقيدتها، فإنها كانت كارثة. يقول المؤرخ تامي بيدل:

> كان الأميركيون صريحين للغاية حول تفوق منهجهم وطريقتهم وعقيدتهم، حتى عندما لم تكن لديهم مبرّرات ليكونوا بتلك الجرأة والثقة، إذ إنهم لم يثبتوا أي شيء، ولم يفعلوا شيئًا ذا قيمة. غير أنهم وبشكل رئيسي كانوا أميركيين متبجحين، ذهبوا إلى مسرح العمليات معتقدين أن القواعد ستكون مختلفة بالنسبة إليهم، وسيكون بمقدورهم فعل أشياء لم يستطع البريطانيون تحقيقها.

ما الذي فعله رجال مافيا قاذفات القنابل عقب كارثة شواينفورت؟ أعادوا المحاولة. في خريف عام 1943، ضربت القوة الجوية الثامنة شواينفورت مجددًا.

عقب الحرب بأعوام قليلة، أنتج فيلم عنوانه *على ارتفاع الساعة الثانية عشرة*. استندت قصة الفيلم إلى كتاب ألفه بيرن لاي، الطيار تحت قيادة لوماي، وقد أدّى غريغوري بِك دور البطولة بصفته قائدًا للهجوم على مصنع لحاملات الكرات. يستحق الفيلم المشاهدة لأنه يظهر على نحو مثالي إصرار رؤيا مافيا قاذفات القنابل. فشل الرجال في المرة الأولى، غير أن ذلك لم يكن مهمًا، إنهم سيعيدون المحاولة. أيًا كان الدليل الآخذ في التجمّع ببطء على محدودية مصوّب قنابل نوردن فإنه لم يرعبهم. كان الحلم حيًا.

وكما تفيد شخصية الجنرال بريتشارد، المستوحاة من آيرا إيكر، في الفيلم:

يوجد أمل وحيد في تقصير مدة هذه الحرب، القصف النهاري الدقيق. إذا تراجعنا، سينتهي أمر القصف النهاري، ولا أعلم، قد يعني ذلك انتهاء العرْض برمته. قد نخسر الحرب إذا لم ندمر الصناعة الألمانية.

يمكنك أن تشعر بما هو قادم، يا فرانك. لا أعدك إلا بعمل لا ينبغي لرجل نال أكبر من حصته في القتال القيام به. عليّ أن أطلب منك أخذ أطفال لطفاء والتحليق بهم حتى لا يعود بمقدورهم تحمّل المزيد، ثم العودة بهم والتحليق بهم أكثر.

لا يتابع الفيلم التسلسل الحقيقي لغارتي شواينفورت الأولى والثانية، وذلك لأسباب هوليوودية واضحة. لأن غارة شواينفورت الثانية كانت أنجح من الأولى من الناحية الهامشية فحسب، وألحقت ضررًا أكبر، غير أن صناعة الطيران الألمانية، لم تتوقف تلك المرة أيضًا، وبقي أمر إيقافها بعيدًا عن التحقق، وكم طائرة خسرت القوة الجوية الثامنة خلال الغارة الثانية تلك؟ ستون طائرة؛ سبع عشرة تضررت بشكل كبير لدرجة أنهم اضطروا إلى إيقافها عن العمل؛ و650 رجلًا بين قتيل وأسير. لم يعد نحو ربع طواقم تلك المهمة إلى منازلهم. بعد ذلك بمدة قصيرة، عُين آيرا إيكر قائدًا للقوة الجوية الثامنة. دفع به إلى مسرح عمليات البحر الأبيض المتوسط، وهو المكافئ العسكري لإرسالك إلى غرفتك دون تناول العشاء.

كان عام 1943 فترة عصيبة بالنسبة إلى مافيا قاذفات القنابل، انهارت جميع أفكارها في مواجهة الواقع. كان يفترض أن يكون بمقدور الفريق

إسقاط قنبلة داخل برميل مخللات من ارتفاع ثلاثين ألف قدم. الآن بدا ذلك بمثابة مزحة، وكان يفترض بالقاذفة أن تحلق عاليًا للغاية وسريعًا للغاية بحيث لا يستطيع أحد المساس بها. *هل تمازحني؟* كان على الطيارين الأميركيين في القوة الجوية الثامنة التحليق في خمس وعشرين مهمة لإتمام جولات خدمتهم. وإذا كنت جزءًا من مهمة شواينفورت الثانية تلك، عندما لم يعد ربع الطواقم، أجرِ حسابك. حلّق في خمس وعشرين مهمة مشابهة، واحسب احتمالات نجاتك من الحرب؟

هناك عشرات اللقاءات التي أجراها رجال الجو خلال الحرب العالمية الثانية وتذكروا تلك الشهور العصيبة، يتذكر أحدهم ويدعى جورج روبرتس، وكان مشغّل راديو طائرة بي-17 في القوة الجوية الثامنة:

> تم تعييننا في سرب القنابل367، ولاحظت لافتة كبيرة هناك تقول: موطن قوة حمامات الطين الجوية 367. وجدت أنه من المضحك تسمية أحد المعدّات بـ "حمامات الطين". غير أنني... أدركت لاحقًا أن "حمامات الطين" كانت تسمية جيدة للغاية لذلك السرب.

حمامة الطين هي التسمية التي تُعطى للأهداف المستخدمة في منافسات الرماية: أطباق مصنوعة من الطين بحيث تتهشم بتأثير الاصطدام، بلون برتقالي مشع بحيث يصعب تفويتها. ليست تلك تسمية مشجعة لسرب قصف.

في الوقت الذي طالت فيه الحرب في أوروبا، ازداد الضغط على مافيا قاذفات القنابل. غدا البريطانيون أكثر ازدراءً لقيادة القاذفات الثامنة.

في تلك الأثناء، حاول ذوو المناصب العليا في واشنطن دفع الحرب الجوية في اتجاه جديد. دعوا إلى غارة مختلفة على ألمانيا، هجوم على مدينة مونستر الألمانية. باستثناء أن مونستر لم تكن مركزًا صناعيًا. لم تملك مصنع طائرات أو مصنع حاملات كرات أو مصفاة نفط؛ إنها بلدة ساحرة تعود إلى العصور الوسطى تعجّ بالمدنيين الألمان.

تذكّر كيث هاريس أحد الطيارين الذين قادوا المهمة:

أقلعنا قبل القوة الجوية 390 في مهمة نحو مونستر في ألمانيا. كان ذلك يوم أحد، وكان يومًا خريفيًا مشمسًا لطيفًا. وكان الهدف هو القسم المعمور من مونستر. وجدت أنه من غير اللائق أن تُنتقى هذه المجموعات الكبيرة من الدرجات في مبنى كبير واحد كنقطة للتصويب؛ إنه يتحدث عن كاتدرائية مونستر. وُجِّهت القوة الجوية الثامنة لقصف الكنيسة منتصف يوم أحد، فيما كان الناس يخرجون من القداس.

خلال الإحاطة المقدَّمة قبل التحليق، بدا الطيارون مصدومين. لم يكن هذا ما تسجّلوا لفعله، لم يكن ما مثلته القوة الجوية الثامنة. توجه أحد الملّاحين - الذي نشأ في منزل ميثودي صارم - إلى ضابطه القائد وأخبره أنه لا يستطع فعل ذلك. كان هذا قصف منطقة بالأسلوب البريطاني، وليس قصفًا أميركيًا. قيل للملّاح أنه سيخضع لمحاكمة عسكرية إذا لم يحلّق في المهمة. وخضع لها. أتعلم من كان أيضًا في غرفة الإحاطة تلك، محاولًا فهم ما كان يحدث؟ هيوود هانسل. كتب أحد رجاله لاحقًا ببساطة: "كان الجنرال هانسل مذعورًا".

.3

خلال الحرب، عمل إحصائي شاب يدعى ليوم فستنغر على مشروع لصالح قوات الجيش الجوية. كانت وظيفته وضع طرق أفضل لاختيار الأشخاص المناسبين للخضوع لتدريب الطيارين، والذي بدا وكأنه تدريب أكاديمي جاف، حتى تتذكر كم كانت الأمور عصيبة بالنسبة إلى القوات الجوية خلال شهور عام 1943 الطويلة. كانت وظيفة فستنغر بشكل أساسي اكتشاف مَن مِن الشباب سيرسل إلى ما كان يُعتبر موتًا محتمًا تقريبًا من الزاوية الإحصائية.

أصبح ليوم فستنغر لاحقًا أحد أشهر علماء النفس الاجتماعيين في البلاد. ولطالما تساءلت إذا ما كانت تجربته مع القوات الجوية الدافع لدراسته الأشهر والتي أُجريت بعد الحرب، وهي تحليل لطائفة دينية خارج شيكاغو دُعيت "الساعون". طرح فستنغر على الساعين سؤالًا لا بد أنه قد راوده قبل أعوام، خلال تلك الفترة العصيبة عندما ثبت خطأ كل ما اعتقدت به مافيا قاذفات القنابل: ما الذي يحدث للمؤمنين الحقيقيين عندما تواجَه قناعاتهم بالواقع؟

وفق ما تذكّره فستنغر: "فكرة أن عليك تقديم إدراك يبرر ما تشعر به أو تفعله، جعلت هذا مباشرةً أول ما فكرنا فيه: حسنًا، إذا نجح هذا فلا بد أن يكون شيئًا منتشرًا للغاية".

كان قائد الساعين امرأة تُدعى دوروثي مارتن، زعمت أنها على اتصال مع مجموعة من الفضائيين دعتهم الحراس. قالت إن الحراس أخبروها أن طوفانًا سيدمر العالم في الحادي والعشرين من كانون الأول،

عام 1954. وقبل أيام قليلة من نهاية العالم، ستنقَذ وأتباعها من قِبَل صحن طائر، سيحطّ في باحتها الخلفية. تحضيرًا لهذه اللحظة، استقال الساعون من وظائفهم، تركوا عائلاتهم، وتبرّعوا بممتلكاتهم. اجتمعوا في منزل دوروثي مارتن في أوك بارك، إحدى ضواحي شيكاغو. في البداية، قالت مارتن إنه يفترض بالصحن الطائر الوصول تمام الرابعة صباحًا في السابع عشر من كانون الأول، ولم يأتِ الفضائيون. ثم عند منتصف الليل، قالت مارتن إنها تلقت رسالة جديدة بأن الصحن الطائر في طريقه إليهم، ولم يصل أبدًا. ثم قالت إن الفضائيين قد حددوا لها موعدًا جديدًا: منتصف ليل الحادي والعشرين من كانون الأول، تمامًا قبل نهاية العالم. لذا اجتمع الساعون مجددًا في غرفة معيشة مارتن وانتظروا.. وانتظروا.

وفق ما تذكّره فستنغر: "كنا متأكدين بشكل منطقي من أن توقعاتهم لم تكن ستتحقق، وهكذا كان لدينا مجموعة من الأشخاص الملتزمين بتوقع محدد، وكانوا ملتزمين بالفعل، كانوا قد استقالوا من وظائفهم، وباعوا أغراضهم، وكانوا يتحضّرون لكارثة، لخلاصهم الشخصي".

من الجدير أن نقتبس من الصفحات الافتتاحية من رواية *عندما تفشل النبوءة*، رواية فستنغر لليلة الأخيرة تلك في منزل دوروثي مارتن:

> افترض اعتقاد أحد الأفراد بشيء ما بكل جوارحه؛ افترض أكثر من ذلك التزامه بهذا المعتقد، واتخاذه إجراءات غير قابلة للعكس بسببه؛ أخيرًا، افترض تقديم دليل إليه، دليل جليّ وغير قابل للإنكار بأن معتقده خاطئ: ما الذي سيحدث؟

سأل فستنغر واثنان من زملائه دوروثي مارتن إن كان بإمكانهم دراسة الساعين خلال انتظارهم. يصف فستنغر ما حدث لحظة بلحظة:

عندما... أظهرت الساعة على الرف أنه بقيت دقيقة واحدة فقط على موعد وصول الصحن، هتفت [دوروثي مارتن] بصوت منهك عالي النبرة: "ولم تضلّ خطةٌ طريقها!". أعلنت دقات الساعة الثانيةَ عشرة، كل دقة واضحة بشكل مؤلم وسط السكون المترقّب، جلس المؤمنون بلا حراك.

قد يتوقع المرء رد فعل مرئيًا ما، تجاوز الوقت منتصف الليل ولم يحدث شيء... غير أنه كان هناك القليل مما يمكن رؤيته في ردود أفعال الناس في تلك الغرفة، لم يكن هناك حديث أو صوت، جلس الناس ساكنين كجذع شجرة، بدت وجوههم جامدة وخالية من التعابير.

بقي الساعون متجذرين في مقاعدهم لساعات، وتصالحوا ببطء مع حقيقة ألا زائرًا من الفضاء الخارجي سيأتي لإنقاذهم. لكن هل تسبّب "عدم تأكيد" معتقدهم بهجرهم جميعًا له؟ لا. الساعة 4:45 من ذلك الصباح، أعلنت مارتن تلقيها رسالة أخرى. قالت إنه بسبب إيمان الساعين غير المتزعزع، تخلّى الله عن تدمير العالم.

ما الذي استنتجه فستنغر من ذلك كله؟ كلما استثمرت أكثر في مجموعة من المعتقدات - كلما كانت التضحية التي تقدّمها خدمةً لتلك القناعة أكبر - ستكون أكثر مقاومة للدليل الذي يعتبر أنك على خطأ. لا تستسلم إنما تقوّي التزامك.

وفق ما تذكره فستنغر في رواية شفهية: "كان أحد الأشياء التي توقعنا حدوثها بعد عدم تأكيد هذا التوقع... أنه سيكون عليهم نبذ معتقدهم، إلا أنه وبقدر اعتقادهم به، سيكون من الصعب فعل هذا".

بالعودة إلى كارثة غارات شواينفورت وصيف وخريف عام 1943 الطويلين المثبّطين للعزيمة. هل قادت هذه الأحداث هيوود هانسل ومافيا قاذفات القنابل إلى الاستسلام؟ بالطبع لا. إليك ما كتبه هانسل إلى آيرا إيكر عقب الهجوم الأول على شواينفورت، في السابع عشر من آب: "لا حاجة بي إلى التعبير عن فخري الهائل بعملية ريغنسبورغ-شواينفورت. على الرغم من الخسائر الفادحة، أعتقد أنها كانت مبرّرة بالكامل، وأنها تمثل إحدى النقاط الفارقة في الحرب".

بالطبع، هذا وهم، لم تكن شواينفورت إحدى نقاط الحرب الفارقة. إلا أنك إذا سألت هانسل عن سبب اعتقاده بذلك، كان سيقدم إليك أسبابه: إنهم لا يزالون يتعلمون. كانوا عاثري الحظ بالنسبة إلى الطقس، وكان يجدر بهم العودة في الأسبوع التالي وضربها مجددًا، ومجددًا، حتى يدمر كل مصنع بالكامل.[1] أو أن حاملات الكرات ربما لم تكن أفضل الأهداف، إلّا أنه توجد أهداف أخرى، أليس كذلك؟ ماذا عن مصافي النفط؟ هكذا يعمل عقل المؤمن الحقيقي.

---

(1) يقدّم ألبرت سبير، وزير هتلر للتسليح والإنتاج الحربي، في سيرته الذاتية رواية مفصلة لمهمات شواينفورت وما يدعوه "خطأ العدو". يلاحظ: "توقفت الهجمات على صناعة حاملات الكرات بشكل مفاجئ. وبذلك، رمى الحلفاء بالنجاح عندما كان بحوزتهم بالفعل. لو أنهم واصلوا الهجمات... بالطاقة نفسها، فإننا كنا سنحبس سريعًا آخر أنفاسنا".

لكن خارج تلك الحلقة المحكمة يوجد رجل آخر: كورتس لوماي. مثل الآخرين جميعًا، كان في المدرسة التكتيكية في الفيلق الجوي في ماكسويل جنوبًا للخضوع للتدريب الواجب. إلا أنه لم يكن جزءًا من حلقة مافيا قاذفات القنابل أبدًا. كان هناك شيء في تكوين لوماي - في وسواسه بكيف وماذا - قاومَ أي حماسة فكرية.

كان بإمكانه التأكد من تحليق الطيارين مطولًا ومباشرةً نحو الهدف، وكان بإمكانه أيضًا أن يغرس فيهم الانضباط للامتناع عن قذف أنفسهم بالمظلة بدافع الذعر خلال ذلك، وكان بإمكانه تدريبهم على الإقلاع في الضباب. كان منجذبًا إلى التحديات العملية، إلا أنه كان باردًا تجاه العقائد.

في لقاء أجراه عام 1971، كان لوماي أكثر فظاظة حيث قال إنه لم يقتنع أبدًا بالمنطق المدروس وراء غارات شواينفورت: "وجدوا مصانع حاملات الكرات هناك - بعض محللي الأهداف ذوي الكراسي الدوّارة في البنتاغون - وقضت الفكرة بأننا إذا دمّرنا تلك المصانع التي كان يفترض أنها تقدم الجزء الأكبر من إنتاج حاملات الكرات في البلاد، فإن الحرب ستتوقف لأنه لا يوجد المزيد من الحاملات".

بعض محللي الأهداف ذوي الكراسي الدوّارة في البنتاغون!.. إنه يتحدث عن هيوود هانسل ومافيا قاذفات القنابل، بتخمينهم الخيالي حول كيفية شلّ العدو.

واصل لوماي: "كان لا بأس بالخطة - لا بأس بها أساسًا - لكن ها نحن ذا نحاول إيجاد شيء ما للانتصار في الحرب بالطريقة السهلة، ولا وجود لمثل هذا الشيء".

كانت الحصيلة النهائية كل ما كان يهم لوماي. خسر أربعًا وعشرين طائرة في المهمة الطعم لضرب ريغنسبورغ، وكان لكل من قاذفات القنابل تلك طاقم من عشرة أشخاص، ما يعني أن 240 رجلًا لم يعودوا إلى القاعدة؛ أي 240 رسالة كان على لوماي وقادة سربه كتابتها. *السيد والسيدة سميث العزيزان. ابنكما... السيد والسيدة جونز العزيزان. ابنكما* – 240 مرة. ولأجل ماذا؟

عرف ضابط في القوات الجوية يدعى كِن إزرايل الجنرال لوماي في أعوامه الأخيرة، فقد اعتادا الصيد معًا.[1] ذات مرة، ذهب إزرايل إلى منزل لوماي جنوب كاليفورنيا لإيصال بعض طيور الزيال التي اصطادوها في قاعدة بيل للقوات الجوية شمال ساكرامنتو. وفق ما تذكره إزرايل:

> قرعت جرس الباب، أجاب ودعاني إلى الدخول. قلت: "إليك طيور الزيال خاصتك يا سيدي". دخلت ردهته، وكانت كلها من الرخام. هناك على الحائط إلى اليسار منك جدارية لريغنسبورغ... على الحائط المقابل جدارية لشاينفورت.
>
> سألته: "هل هاتان الصورتان لريغنسبورغ وشواينفورت يا سيدي؟".
>
> أجابني: "نعم يا بني". ثم أردف: "نعم، لقد فقدنا كثيرًا من الرجال الطيبين".

---

(1) كان لدى لوماي مكان مخصص للرماية في قبو منزله.

في النهاية، كانت المسيرة المهنية لـ كورتس لوماي هي المسيرة الأكثر احتفاء بها والتي يمكن لأي ضابط في القوات الجوية أن يحظى بها. خطّط أو قاد عددًا لا يُحصى من المهمات الأكبر تأثيرًا من غارة ريغنسبورغ-شواينفورت، وسيشرف عامي 1948 و1949 على جسر برلين الجوي، أحد الأحداث المحورية مع بداية الحرب الباردة. وأخيرًا، سيتحكم بالترسانة النووية الأميركية بصفته رئيس قيادة الجو الإستراتيجية. خلال الوقت الذي أمضاه في الخدمة العسكرية، التقى جميع قادة العالم، ووقف لالتقاط صور تجمعه بالأشخاص الذين نقرأ عنهم في كتب التاريخ فقط. كان بإمكانه تعليق تذكارات تعود إلى أي من هذه الأشياء في ردهته. غير أنه لم يفعل ذلك. في مدخل منزله، علّق تذكيرًا بمواجهته الحقيقية الأولى مع عقيدة مافيا قاذفات القنابل، تذكارًا بالفشل والفقد.

مكتبة
t.me/soramnqraa

القسم الثاني

الإغواء

ملاحظة المؤلّف

تدور أحداث القسم الثاني من *مافيا قاذفات القنابل* في غوام واليابان وجميع النقاط الشرقية. لكن قبل أن نصل إلى هناك، أريد إخباركم قصة تعود إلى وقت أقرب إلى الحاضر.

سافرت إلى طوكيو خلال إعدادي البحث اللازم لهذا الكتاب بصحبة منتج مدوّنتي الصوتية جيكوب سميث. وحين حطّت بنا الطائرة، طلبت وجيكوب سيارة أجرة، وتوجهنا لزيارة متحف يُدعى مركز غارات وأضرار الحرب على طوكيو. إنه نصب تذكاري للأحداث التي سأصفها في الفصول القليلة التالية؛ حصيلة الصراع بين مافيا قاذفات القنابل وكورتس لوماي.

أزور المتاحف الحربية على الدوام، مثلما أزور المتاحف الحربية الإمبراطورية في لندن. المتحف الواقع في طريق لامبث جزء من مبنى كبير، إلا أن له فرعين آخرين في لندن وفرعين آخرين في أنحاء أخرى من البلاد. بإمكانك قضاء بضعة أسابيع تتجول بين هذه المتاحف وفي

أرجائها، وتشاهد النصب التذكارية. زرت العديد من هذه المتاحف أيضًا: نصب قدامى حرب فيتنام التذكاري في حديقة المول في واشنطن العاصمة؛ ياد فاشِم في القدس. كل منها مؤثر، ومصمم من قبل معماري ذي شهرة عالمية، ولكل منها *حضوره الخاص*.

عندما ركبت وجيكوب سيارة الأجرة في طوكيو، افترضت أننا سنذهب باتجاه المنطقة حيث توجد المتاحف؛ مركز المدينة، قرب القصر الإمبراطوري، إلا أننا لم نفعل. ذهبنا في الاتجاه المعاكس، بعيدًا عن السياح ومناطق الأعمال. ذهبنا شرقًا، عبر شارع تجاري منبسط للغاية، فوق جسر كبير، وابتعدنا أكثر فأكثر، ثم التففنا يسارًا عبر شارع جانبي، وتوقف السائق. تساءلت: هل هناك سوء تفاهم ما؟ كنت قد كتبت العنوان على قطعة من الورق، فهل كتبته على نحو خاطئ؟ أريت العنوان للسائق، فأومأ وأشار بإصبعه. وعندما أغمضت عينيّ نصف إغماضة كان بإمكاني رؤية لافتة المتحف. كنا أمام ما بدا مبنى عيادات طبية. كان بارتفاع ثلاثة طوابق، ومبنيًا من الطوب.

دخلنا ورأينا متجر هدايا صغيرًا إلى جانبنا؛ في الواقع، رأينا بضعة رفوف من الكتب. تلى ذلك ما بدا لي مثل صف مدرسي، مع مجموعة من الكراسي القابلة للطي، حيث عُرض فيديو تعريفي. ثم عبرنا فناءً صغيرًا وصعدنا السلالم إلى المعرض الرئيسي. كانت الأرض من المشمّع، وكان هناك الكثير من الصور بالأبيض والأسود على الجدران. تدلى نموذج مصغّر من طائرة بي-29 -النوع الذي تشتريه من متجر دمى - من السقف. التقط جيكوب صورة لي أمام المتحف بعدما انتهينا، أحتفظ بها في هاتفي.

بدوت فيها كأنني قادم من موعد مع طبيب الأسنان.

نعرف جميعًا القنبلتين الذريتين اللتين أُلقيتا على هيروشيما وناغازاكي في آب عام 1945: الصبي الصغير والرجل البدين، ألقيتا عن متن *إينولا غاي*. توجد معالم ونصب تذكارية كبيرة *لتلك* الأحداث، وهناك أكداس من كتب التاريخ التي تغطّي الموضوع، وتتواصل الجدالات حتى اليوم. كنت في خضم إنهاء هذا الكتاب عندما تم إحياء الذكرى السنوية الخامسة والسبعين لهذه الهجمات؛ في ذلك اليوم كان هناك مئة فرصة لاستعادة الذكرى.

إلا أن مركز غارات طوكيو وأضرار الحرب لا يعرض لما حدث عقب الهجمات النووية على اليابان، بل يعرض لما حدث قبلها، بين تشرين الثاني عام 1944 ووقت متأخر من شتاء عام 1945. من قيادة هيوود هانسل إلى قيادة كورتس لوماي. جزء ضئيل من التاريخ أُبعد إلى شارع جانبي.

لماذا يقع في شارع جانبي؟ بمعنى ما، ذلك هو النص الفرعي للنصف الثاني من هذا الكتاب. حدث شيء ما عندما نقل كل من مافيا قاذفات القنابل وكورتس لوماي تركيزهما إلى الجانب الآخر من العالم، من إنكلترا وأوروبا إلى جزر الماريانا وسط المحيط الهادئ، وهو أمر وجده جميع الأشخاص المنخرطين فيه غير ملائم، أو غير محمول، أو غير قابل للوصف، أو لعله الثلاثة معًا.

هذه ليست قصة عن الحرب، إنما قصة تدور أحداثها خلال الحرب، إذ تخوننا أحيانًا آلياتنا الطبيعية لإحياء الذكرى. وما يلي هو محاولة لاكتشاف السبب.

الفصل السادس

"سيكون ذلك انتحاراً، أيها الفتيان، انتحارا".

.1

كل الحروب عبثية، طوال آلاف الأعوام، اختار البشر حل خلافاتهم بطمس بعضهم لبعض. وعندما لا نطمس بعضنا بعضًا، نصرف كمية هائلة من الوقت والتركيز على الإتيان بطرق أفضل لطمس بعضنا لبعض في المرة *القادمة*. كل هذا غريب بعض الشيء، إذا ما فكرت في الأمر.

بطبيعة الحال، حتى ضمن ذلك التصنيف العام، عبثي، هناك استمرارية. *شابهت* الحرب التي خيضت في أوروبا الحروب السابقة على أقل تقدير، وكانت عبثية على نحو مألوف: جار ضد جار. تطلّب هبوط اليوم "دال" رحلة قصيرة عبر القناة الإنكليزية. على الأرض، مشى الجنود يحملون البنادق، أطلقوا النيران باستخدام قطع كبيرة من المدفعية. أُخضِع نابليون لأسبوع من التدريب، وكان بإمكانه على الأرجح الإشراف على تقدم الحلفاء عبر أوروبا بالكفاءة نفسها لأي جنرال من القرن العشرين.

ماذا عن مسرح العمليات في المحيط الهادئ؟ كان على الطرف الآخر من الاستمرارية الخاصة بعبثية الحروب.

على الأرجح، جمع بين الولايات المتحدة واليابان الاحتكاك والمعرفة الأقل بين أي طرفي حرب في التاريخ، والأهم أنهما كانا متباعدين جغرافيًا أكثر من أي متحاربَين في التاريخ.

كانت حرب المحيط الهادئ بالتعريف حربًا بحرية، وأصبحت مع اشتداد الصراع، حربًا جوية. إلا أن حجم ساحة المعركة جعل منها نوعًا من الحرب الجوية لم يخضه أحد من قبل.

على سبيل المثال، وقت الهجوم على بيرل هاربور، كان سلاح قوات الجيش الأميركي الجوية هو قاذفة بي-17، المعروفة أيضًا بالقلعة الطائرة. ذلك ما كان لوماي وآيرا إيكر وهانسل يستخدمونه في أوروبا. وكان مدى القلعة الطائرة نحو ألفي ميل، ألف ميل ذهابًا وألف ميل إيابًا. في كانون الأول عام 1944، لم يكن بإمكانك إيجاد قاعدة جوية يسيطر عليها الحلفاء ضمن ألف ميل من طوكيو. تبعد أستراليا أكثر من أربعة آلاف ميل عن اليابان، وتبعد هاواي المسافة نفسها. كانت الفليبين المنطقة الأنسب على الورق، إلا أن اليابانيين استحوذوا عليها ولم تُستعد بالكامل حتى وقت متأخر من عام 1945. بطبيعة الحال، تبعد مانيلا 1800 ميل عن طوكيو.

إذا كنت مكان الولايات المتحدة، وأردت إلقاء القنابل على اليابان، كيف ستفعل ذلك؟ استغرق حل تلك المشكلة الجزء الأكبر من الحرب. وتمثلت الخطوة الأولى ببناء القلعة الخارقة بي-29، أعظم

قاذفة بنيت على الإطلاق، مع مدى فعال يتجاوز الثلاثة آلاف ميل.

كانت الخطوة التالية الاستحواذ على سلسلة من ثلاث جزر صغيرة وسط الجزء الغربي من المحيط الهادئ: سايبان، تينيان، وغوام؛ إنها جزر الماريانا، التي يسيطر عليها اليابانيون. تبعد الماريانا 1500 ميل عبر الماء عن طوكيو؛ أقرب بقعة ممكنة حيث بإمكانك بناء مدرّج. إذا كان بإمكانك وضع أسطول من البي-29 على الماريانا، عندها تستطيع قصف اليابان. كان اليابانيون يعرفون ذلك أيضًا، الأمر الذي قاد إلى لحظة عبثية أخرى: خيض أحد أبشع فصول الحرب برمتها من أجل ثلاث كتل ضئيلة من الصخر البركاني، لم يسبق لأحد أن سمع بها خارج الجزء الغربي من المحيط الهادئ قبل بدء الحرب.

استُدعي مشاة البحرية. تذكّر أحد قدامى الحرب، العريف ميلفن دالتون، مسار القتال:

> كانت وظيفتنا الرئيسة إلهاءهم حتى يتمكن الجنود في البوارج من الوصول إلى الشاطئ.
>
> بعد يومين أو ثلاثة أيام على هذه الحال... في اليوم التالي ومع انبجاس الفجر، عجّ المحيط بالسفن والبوارج المتجهة نحو الشاطئ، وكان هناك إطلاق نار لا يمكنك تصديقه. [يدمع] كانت الجثث في كل مكان، تطفو فحسب. لم يتسنَّ لأحد الوقت لرفعها. رُفِعت جميعًا لاحقًا. عندما ضرب مشاة البحرية مواقع العدو المحصّنة على الشاطئ، كان الأمر مريعًا أحيانًا.

خلال صيف عام 1944، سقطت الجزر، واحدة إثر الأخرى، بحوزة مشاة البحرية الأميركيين، وأرسِل هيوود هانسل من واشنطن ليترأس قيادة القاذفات الحادية والعشرين المنشأة حديثًا. كانت قوة نخبة مكونة بالكامل من السلاح الأحدث والأكثر فتكًا في تشكيلة القوات الجوية، القلعة العملاقة بي-29. وكانت مهمتها شلّ آلة الحرب اليابانية من الجو، لتمهيد الطريق لما عدّته القيادة العسكرية أمرًا مقضيًا: غزو بري لليابان.

كانت قيادة الهجوم الجوي على اليابان الوظيفة الأهم في مسيرة هانسل المهنية. في تلك المرحلة، كانت على الأرجح الوظيفة الأهم في قوات الجيش الجوية برمتها. إلا أن خطة الهجوم الجوي كانت - بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ -عبثية. بل في منتهى العبثية.

فيما يبقى العدد الدقيق للقتلى مجهولًا، يقدّر أن أكثر من أربعة عشر ألف أميركي قُتل، أو جُرح أو اعتُبر مفقودًا أثناء أدائه عمله مع نهاية حملة جزر الماريانا. مُحيت القوات اليابانية المتمركزة على الجزر، نحو ثلاثين ألف رجل، برمتها تقريبًا. ترى اليوم أسماء 5204 جندي منقوشة على نصب تذكاري على جزيرة سايبان، يطلّ على ميناء تاناباغ.

في البدء، خذ في الاعتبار البي-29. عام 1944، كانت طائرة حديثة أُدخلت إلى الخدمة بسرعة. كانت تتعطل وتندلع النيران في محركاتها، ولم يدرّب أحد على قيادتها على نحو لائق. كان لها جميع أنواع الخصوصية.[1]

---

(1) تمثلت إحدى مشكلات النسخ المبكرة من القلعة الخارقة بأن حرارة المحركات كانت ترتفع أكثر من اللازم بسرعة. إذا كنت طيار بي-29 في تلك الأيام، فإن كان أكبر مخاوفك إطلاق العدو النار عليك، كان ثاني أكبر مخاوفك أن تندلع النار في محركاتك.

كان هذا السلاح الجديد سيطلَق من المكان الأقل حسن ضيافة المتخيّل لقاعدة قوات جوية. الماريانا حارة ورطبة، مغطاة بالبعوض، وتعاني من أمطار غزيرة. لم يكن هناك مبانٍ مناسبة، أو حظائر طائرات، أو منشآت صيانة، أو طرق، إنما أكواخ كوَنسيت وخيام فحسب[1]. خيّم هيوود هانسل - الجنرال المتشح بالأوسمة، والذي رسم خطة الحرب الجوية ضد هتلر في أوروبا -في الخارج كأحد صبية الكشافة.

تذكرت فيفيان سلاوينسكي، الملازم الثاني في فيلق ممرضات الجيش، ما كان عليه الأمر على جزيرة تينيان في الأشهر المبكرة تلك، عقب سيطرة الولايات المتحدة. "كان هناك كثير من الصخور... وانتشرت الجرذان في المكان، كانت في العوارض الخشبية في الأعلى. كان ذلك أحد الأشياء التي لم أستطع تحملها، وكانت تنزل وتقرض شعر أحدهم، وقد اقتربت من يديّ بضع مرات... لم يكن لدينا مستشفى، كل ما كان لدينا هو أكواخ الكوَنسيت هذه".

عندما أشار محاورها إلى أن تلك الأكواخ معدنية ولا بد أنها كانت حارة، أجابت: "كنا نشعر بالحر في كل مكان يا عزيزي".

الأمر الوحيد ذو المنفعة بالنسبة إليهم هو أن جزر الماريانا كانت ضمن مدى اليابان. لكن حتى هذا كان مبالغًا فيه. في الحقيقة، كانت

---

(١) لا حاجة بي إلى القول إن لوماي لم يتأثر عند وصوله بهذه الظروف الأقل من مثالية. في الواقع، وصف لزوجته الملامح الكئيبة للجزيرة بتفاؤل هزلي تقريبًا: "الشاطئ هنا ليس شديد السوء، ليس هناك مزيد من الحجارة المرجانية، وما يوجد منها متعفن تقريبًا لذلك هي ليست مدعاة للانتقاد. هناك القليل من الرخويات البحرية، لكنها غير مزعجة. هبّت الرياح للتو، لذا سترين الغبار الأحمر نفسه الذي كنا نراه في هاواي".

ضمن المدى *فقط* في ظل ظروف مثالية. للوصول إلى اليابان، كان على البي-29 أن تحمّل أولًا بعشرين ألف رطل من الوقود الإضافي، ولأن ذلك جعل الطائرة زائدة الوزن على نحو خطير، فإن كل بي-29 احتاجت رياحًا خلفية شديدة للغاية لرفعها عن المدرّج. كان ذلك موقفًا بدرجة الجنون نفسها التي يمكن للمرء مواجهتها خلال الحرب كلها.

ازداد الوضع سوءًا. وبحلول أواخر خريف عام 1944، كان هانسل مستعدًا لإطلاق هجومه الكبير الأول على طوكيو. بعد الحرب وصف هذا الهجوم لطلبة القوات الجوية في كولورادو سبرينغز قائلًا: "دُعيت العملية الأولى ضد اليابان سان أنتونيو واحد. نُسِّقت مع إستراتيجية قيادة الأركان المشتركة، الذي جعل من التوقيت أمرًا في غاية الأهمية".

سينطلق أسطول هانسل في السابع عشر من تشرين الثاني، عام 1944. كان كل شيء جاهزًا، وبدا الطقس جيدًا. جهّز الجيش وسائل الإعلام بمصابيح يدوية، وكاميرات وميكروفونات، على طول المدرّج فجرًا. قدّم هانسل الإحاطة السابقة للمهمة بنفسه.

"ابقوا معًا. لا تسمحوا لهجمات المقاتِلات بخلخلة التشكيلات، *وألقوا بالقنابل على الهدف*".

اصطفّت الطائرات، مثقلةً بكل ذلك الوقود الإضافي من أجل رحلة العودة، وأوشكت على الإقلاع بمساعدة الرياح الخلفية القوية المعتادة التي تهب عبر المدرّج.

لكن في ذلك الصباح لم تكن هناك رياح خلفية.

وفق ما تذكره هانسل: "صدرت الأوامر، أُحميَت الطائرات، وسارت ببطء حتى نهاية المهبط الوحيد الذي كان لدينا. وفي ذلك الوقت، خفّت تدريجيًا شدة الرياح التي كانت قد هبت باستمرار عبر المدرّج طوال الأسابيع الستة السابقة".

لذا لم تستطع طائرات هانسل البي-29 زائدة الحمولة الإقلاع. ثم هبت الرياح مجددًا، لكن في الاتجاه المعاكس. هل كان بإمكانه الالتفاف بطائراته - 119 طائرة - وإتمام المهمة ضمن الموعد المحدد؟ لم يكن بإمكانه فعل ذلك. كل ما كان لديه هو مدرّج وحيد، نصف ممهّد. كان عليه إلغاء المهمة.

زاد الوضع جنونًا، وتغيّر الطقس مرةً *ثالثةً*.

واصل هانسل:

بعد ثلاث أو أربع ساعات، كنا وسط عاصفة مدارية شديدة؛ إعصار تيفون. استمر نحو ستة أيام، محوّلًا المخيم إلى مستنقع. وفي تلك الأثناء، كانت الأوامر قد صدرت لطائرات بي-29 المحملة بالقنابل وكانت تنتظر. كنا قلقين جديًا خشية حدوث تسريب أمني، وكان الوقت متأخرًا للغاية على تغيير الخطة. واصلت التفكير يوميًا: لعلنا سننجح. أرسلنا طائرات لتلمس حالة الطقس عبر هذا الإعصار لتتبعه فوق الساحل؛ كان يسير تمامًا فوق طريقنا نحو اليابان.

وبالنتيجة، كان علينا الانتظار أسبوعًا آخر لكي نتمكن من بدء تلك المهمة.

قدّم هانسل هذه الملاحظات عام 1967 في غرفة تعجّ بطلاب القوات الجوية. كان معظم جمهوره متجهًا نحو فيتنام - وهي بالمناسبة حرب عبثية أخرى بحقّ - لذلك كانوا متمسكين بكل كلمة يقولها هانسل. لقد قاتل هانسل في آسيا، ذلك الجزء من العالم حيث كانوا سيذهبون تاليًا على الأرجح.

ثم سأل أحدهم الجنرال العجوز: افترض أن شدة الرياح لم تخفّ ثم تغيّرَ مسارها؟ وافترض أنك تمكنت من إطلاق جميع طائرات بي-29 ذلك الصباح في السابع عشر من تشرين الثاني، عام 1944، فهل كنت ستخسر مجموعتك برمتها إذا كنت قد أقلعت في الموعد المحدد".

أجاب هانسل: "بالتأكيد".

لم يكن لدى هانسل وبقية قوات الجيش الجوية أي من إلكترونيات الملاحة المتطورة الموجودة اليوم. سيكون أسطوله كله في السماء. مئة وتسع عشرة طائرة بي-29، كل منها بطاقم مكون من اثني عشر رجلًا. أي 1309 رجال يدورون ويدورون، باحثين بيأس عن القليل من أضواء المدرّج وسط التيفون، فيما تشير إبر مقاييس الوقود أنها أوشكت على النفاد، ثم سيبتلعهم المحيط واحدًا إثر الآخر.

استمرت العاصفة ستة أيام. واصل هانسل: "ساعتان أبكر، اختلاف قدره ساعتان في وضع الطقس هذا، كفيل بخسارة قيادة القاذفات برمتها، إذ لم يكن هناك مكان آخر للذهاب إليه".

اختُبر إيمان هيوود هانسل بعقيدة القصف الدقيق مرة خلال كارثة شواينفورت، ونجا متمسكًا بإيمانه. على جزر الماريانا، ستُختبر قناعاته

مرة ثانية، وهذه المرة من قبل شيء لم يتبادر إلى أذهان مافيا قاذفات القنابل أبدًا، في غرف الندوات في ماكسويل فيلد.

.2

في الوقت نفسه من عام 1944 عندما تمركز هيوود هانسل في الماريانا، انتقل كورتس لوماي أيضًا من أوروبا إلى مسرح العمليات في المحيط الهادئ ليرأس مجموعة نخبة أخرى من قاذفات بي-29 مشكّلة حديثًا: قيادة القاذفات العشرون، متمركزة شرق الهند قرب كولكَتا (كالكوتّا سابقًا).

كولكتا هي أقرب المدن الهندية إلى اليابان. تقع في أقصى شمال شرق البلاد. ولأن الهند البريطانية كانت ملاذًا آمنًا، قضت الفكرة بأن تقلع طائرات بي-29 من هناك، ثم وتحطّ في مطار اقتُطع من منطقة مراوغة للغاية في الصين، قرب تشينغدو. هناك، ستتزوّد بالوقود ثم ستحلق نحو اليابان، تلقي بالقنابل، وتعود إلى تشينغدو، لتتزوّد بالوقود، وتحلق عائدة إلى كولكتا. أما في ما يتعلق بالمسافة، فإن تلك الرحلة كانت مثل الطيران من لوس أنجلوس إلى نيوفاوندلاند، مع التوقف في شيكاغو للتزوّد بالوقود.

وبرزت الحقيقة الحاسمة: تقع الهيمالايا، سلسلة الجبال الأطول في العالم، بين كولكتا وتشينغدو. دعا الطيارون الهيمالايا "الحدبة". إذا ما اعتقدت بأن حربًا جوية، أُطلِقت من الماريانا، عبثية، فإن هذه كانت أسوأ بكثير.

هكذا وصف لوماي التحليق فوق الهضبة. ولم يشتكِ من شيء أبدًا.

كان ذلك جحيمًا منهِكًا... كانت الجبال بحقّ "بوفيه" من الأرصاد الجوية الغادرة - تيارات هوائية عنيفة متجهة نحو الأسفل، ورياح شديدة، وعواصف ثلجية مفاجئة - تُقدّم كل أطباق هذا البوفيه بدرجة حرارة عشرين تحت الصفر. وكما لو أنهم احتاجوا إلى أي شيء يذكرهم، فإنه كان بإمكان الطواقم وعلى نحو متواتر أن يلمحوا قمة جبل إيفرست الذي يبلغ ارتفاعه 29028 قدم، تندفع عبر الغيوم على بعد 150 ميلًا فقط من مسار رحلتهم.

خلال مسار الحرب، ما عدد الطائرات الأميركية التي تظن أنها تحطّمت خلال محاولتها الملاحة فوق الهضبة؟ سبعمئة. دُعي مسار الطيران "أثر الألمنيوم" بسبب كل الحطام المبعثر فوق الجبال.

ويزداد الأمر سوءًا؛ لم تملك القاعدة الجوية في تشينغدو أي وقود طائرات. كانت القاعدة بعيدة عن كل شيء، ولم تكن أكثر من مهبط طائرات وحسب.

بعد وقت طويل، سجّل أحد رجال لوماي، ويُدعى ديفيد بريدن، لقاء مع عميد سابق في القوات الجوية يُدعى ألفريد هرلي. اشتكى كل طيار حلّق فوق الهضبة من ذلك:

بريدن: كان ذلك أمرًا جنونيًا. تمثل السبيل الوحيد لنقل الغازولين إلى تشينغدو بالتحليق فوق الهضبة. فإذا كانت

الرياح معاكسة، كان عليهم خسارة اثني عشر غالونًا من غازولين البي-29 لنقل غالون واحد فوق الهضبة.

هرلي: كان ذلك استثنائيًا.

بريدن: كان جنونيًا.

وحتى من تشينغدو، كانت معظم أراضي اليابان لا تزال خارج مدى البي-29. لم يكن بإمكان الطائرات الوصول إلى طوكيو والعودة. لذا كان أفضل ما بإمكانهم فعله هو ضرب الزاوية الأقرب من ذروة اليابان الجنوب-غربية، حيث كان هناك مصنع وحيد يستحق انتباه الحلفاء.

تذكّر بريدن: "عندما بدأوا التحليق من تشينغدو، كان بإمكانهم الوصول إلى كيوشو [اليابان]، لكن لم يوجد سوى هدف واحد في كيوشو، مصنع حديد وفولاذ... حلقوا بمهمة إلى هناك، وكان الجميع منهَكين".

لإعطائك مثالًا عما واجهه لوماي، إليك مهمة نموذجية، أُطلِقت من كولكتا في الثالث عشر من حزيران، عام 1944.

أقلعت اثنتان وتسعون طائرة بي-29 من الهند. التفّت اثنتا عشرة عائدةً قبل عبورها الهضبة، وتحطمت واحدة. حسنًا، نجحت تسع وسبعون في الوصول إلى الصين، حيث تزوّدت بالوقود وأقلعت مجددًا. تحطمت واحدة بعد الإقلاع مباشرةً. التفّت أربع أخرى عائدةً بسبب مشاكل ميكانيكية، وكان على ست طائرات التخلص من قنابلها، وأسقِطت واحدة في الطريق إلى اليابان. إضافة إلى أن الطقس كان مريعًا

فوق كيوشو، فإن سبعًا وأربعين طائرة فقط نجحت في الوصول إلى مصنع الفولاذ، وكان بإمكان خمس عشرة منها فقط رؤية الهدف. بحلول وقت إتمام المهمة، كانوا قد خسروا سبع طائرات وخمسة وخمسين رجلًا. ولم تصب الهدف سوى قنبلة واحدة.

تُرسل اثنتين وتسعين طائرة بي-29 إلى الطرف الآخر من العالم، وكل ما تناله هو إصابة قنبلة واحدة الهدف.

كان لدى اليابانيين فرصة للشعور بالإثارة على حساب قيادة القاذفات العشرين. وفق ما بثه أشهر دعائييهم، طوكيو روز، لطياري الحلفاء: "استمعوا إليّ أيها الفتيان: حلقوا عائدين فوق الهضبة إلى الهند، فأنا أكره أن أفكر في تعرضكم جميعًا للقتل، لدينا من الطائرات المقاتلة ومضادات الطيران أكثر مما يلزم لمنعكم من العبور، سيكون ذلك انتحارًا أيها الفتيان، انتحارًا".

هكذا سارت الحرب الجوية في المحيط الهادئ خريف عام 1944. موقف مَن كان أكثر عبثية: كورتس لوماي أو هيوود هانسل؟ هذا سهل. كان الوصول إلى اليابان من غوام صعبًا، إلا أن الوصول إلى اليابان من الهند كان جنونيًا.

السؤال الأفضل هو عن *تأثير* المأزق العبثي لكل من الرجلين على طريقة تفكيرهما. دعونا نبدأ بلوماي، إنه شخص تتمحور هويته برمتها حول حل المشاكل. إنه الطريقة التي فهم بها العالم. ليس رجلًا ذا سحر شخصي عظيم وكاريزما، وليس أحد المفكرين العباقرة، إنه رجل أفعال. وفق ما صاغ الأمر بعد وقت طويل: "أفضّل أن يكون لديّ

شخص غبي للغاية غير أنه يفعل شيئًا ما - حتى لو كان خاطئًا - على أن يكون لديّ شخص ذكي يتردّد ولا يفعل شيئًا".

هذا ما يقدّره لوماي. لذا، تخيّل أنه متمركز في الهند على بعد آلاف الأميال من العمليات، ويُطلب منه حل مشكلة لا يمكن حلها. لا يمكنك شن حرب جوية بأي فعالية، إذا كنت تنفق اثني عشر غالونًا من وقود الطائرات على عبور الهيمالايا لإيصال غالون واحد إلى الجانب الآخر.

لم يكن بإمكان أي قدر من البراعة أو التصميم البشريين تخطي عقبة الهيمالايا.

في الاعتبارات وإعادة الاعتبارات العديدة لإرث لوماي، طُرحت مختلف أنواع النظريات حول دافعه لما سيفعله في الربيع التالي، عندما تولى الحرب الجوية في المحيط الهادئ. أتساءل عما إذا لم يكن التفسير الأول والأبسط هكذا: عندما يغدو حلّال مشاكل ما أخيرًا حر التصرف، فلن يسمح لشيء باعتراض طريقه.

ثم هناك هيوود هانسل. كان مأزقه مختلفًا؛ كان مؤمنًا حقيقيًا.

.3

كان أول أعمال هيوود هانسل عند وصوله إلى الماريانا طرح سؤال، مثلما كان أي عضو رفيع في مافيا قاذفات القنابل سيفعل؛ ما هي نقطة الضعف الحاسمة لاقتصاد اليابان الحربي؟ ما الذي ينبغي على طائرات بي-29 الجديدة مهاجمته؟ وكانت الإجابة واضحة بالنسبة إليه: مصانع الطائرات اليابانية. لكن أين تقع هذه المصانع؟

وفق ما تذكّر هانسل: "كنا على جزيرة سايبان مع قرابة أربعين أو خمسين طائرة بي-29 وكان الموعد النهائي هو الثلاثين من تشرين الأول. لشنّ عملية ضد صناعة الطائرات اليابانية... ولم تكن بحوزتنا ملفات أهداف؛ لم نكن نعلم أين تقع مصانع الطائرات اليابانية".

لذا، حلّق طاقم من الولايات المتحدة بطائرة بي-29 عُدّلت لتصبح طائرة استطلاع جوي. التقطوا المئات من الصور التي أظهرت أن صناعة الطائرات اليابانية- وبالتحديد شركة ناكادجيما للطائرات، المعروفة اليوم بسوبارو، كانت متمركزة داخل طوكيو وحولها. وكان الحلفاء يعلمون أن ناكادجيما كانت تملك حصة كبيرة من جميع محركات الطائرات القتالية اليابانية. قال هانسل: *دعونا نبدأ بضرب ذلك المصنع، وسنشلّ القوة المقاتلة اليابانية.*

كانت سان أنتونيو واحد هي تلك المهمة الحاسمة، والتي ألغيت في آخر لحظة بعد أن كاد الإعصار تيفون يحطم طائراتها. بعد أسبوع من الانتظار، أقلعت طائرات هانسل أخيرًا.

أقلعت طائرات بي-29 من الماريانا، وحلّقت بسرعة وخفة فوق المحيط على ارتفاع عدة آلاف من الأميال. وعندما اقتربت من اليابان، زادت من ارتفاعها في الجو حتى لا تُستهدف. التفّت عند جبل فوجي ثم قدِمت من الغرب نحو طوكيو. هنا، وعلى خلفية لقطات جوية للمدينة في فيلم قوات الجيش الجوية، يصف رونالد ريغان ما حدث:

> بعد ست ساعات، وعبر الغيوم، رأوه. ها هو فودجي ياما [جبل فوجي]، رمز اليابان. ها هي بعض الرموز الحديثة،

قنابل الفوسفور ونيران المدفعية. والمقاتِلات... يقطن سبعة ملايين من اليابانيين ضمن دائرة نصف قطرها خمسة عشر ميلًا، مركزها القصر الإمبراطوري. ها هم من اعتدنا اعتبارهم صغار القامة، ورقيقين، ومهذبين، يشغلون أنفسهم بترتيب الأزهار، وتنسيق حدائق الصخور، وتربية ديدان القز فقط. إلا أن هؤلاء الرجال لم يكونوا يبحثون عن ديدان القز والقصور الإمبراطورية. يقع مصنع ناكادجيما للطائرات الضخم في ضواحي طوكيو. ما الذي تنتظره يا صاحبي؟

كانت عملية سان أنتونيو واحد رمزية للغاية. أظهرت أنه أصبح بالإمكان أخيرًا الوصول إلى اليابان. لكن هل كانت نجاحًا بوصفها عملية عسكرية؟ بعد الحرب، حاول هانسل، متحدثًا إلى طلاب أكاديمية القوات الجوية، أن يجمّل الأمور.

"لم تكن العملية جيدة كما كنا نأمل، إلا أنها كمجهود أظهرت أنها ممكنة الإنجاز. كان هذا أمرًا مشكوكًا فيه للغاية في ذلك الوقت".

لم تكن العملية جيدة كما كنا نأمل هي عبارة تبخيس لما حدث، على أقل تقدير. أحدثت الغارة الأولى ضررًا بواحد في المئة فقط من مصنع ناكادجيما. أعاد هانسل المحاولة بعد ثلاثة أيام، ولم تصب أي من القنابل المصنع في الواقع. في السابع والعشرين من كانون الأول، أعاد إرسال اثنتين وسبعين طائرة بي-29. لم تصب المصنع وانتهى بها المطاف بإشعال النار في مستشفى. في المحصلة، استهدف هانسل ذلك المصنع خمس مرات وبالكاد مسّه.

تمثّل جزء من الصعوبة بالمشكلة نفسها التي واجهتها مافيا قاذفات القنابل فوق أوروبا: الغيوم. بحث المدفعيون عن هدفهم عبر مصوّبات قنابلهم، ولم يستطيعوا إيجاده. إلا أنه كانت توجد مشكلة أخرى مرتبطة بالطقس، مشكلة أسوأ وأكبر بكثير مما كان لأحد أن يفهمه في ذلك الوقت.

التقت بي بي سي لاحقًا بأحد طياري البي-29 بقيادة هيوود هانسل، الملازم إد هَيات، لإعداد فيلم وثائقي. وصف إحدى المهمات:

> بعد التحليق ست ساعات، زدنا ارتفاعنا وصولًا إلى الارتفاع المناسب للقصف... زدنا ارتفاعنا إلى سبعة وثلاثين ألف قدم، وحالما خرجنا من العاصفة كان جبل فوجي أمامنا تمامًا. إنه حقًا منظر خلاب.

بدأ مدفعيّ هيات، وهو رجل يدعى غلين، بإجراء حساباته باستخدام مصوّب قنابلهم، مركّزًا على مصنع ناكادجيما. إلا أن تيليسكوب المصوّب لم يتجه نحو الهدف المقترب. واصل هيات:

> التفت وقال: "لا أستطيع توجيه هذا التيليسكوب اللعين نحو الهدف"... لذلك اتصلنا بمشغّل الرادار لتحرّي سرعتنا الأرضية... عاد وقال نتعرّض إلى رياح خلفية بسرعة 125 عقدة. قال إننا نسير بسرعة 480 ميلًا في الساعة تقريبًا. هذا مستحيل، هذا غير ممكن، لا توجد رياح مثل هذه.

لا توجد رياح مثل هذه. لم يختبر أي من طياري قوات الجيش أبدًا ما كان يحدث لقاذفات بي-29 فوق اليابان، فهم لم يتوقعوا أبدًا رياحًا مثل *هذه*.

قال هيات: "حلقنا بسرعة 480 ميلًا في الساعة عندما كان علينا التحليق بسرعة 340 ميلًا في الساعة... قلت: حسنًا، ألقِ بالقنابل اللعينة يا غلين. ألقى بالقنابل، وكنا قد تجاوزنا الهدف باثنتي عشرة قدمًا بسبب تلك الرياح".

كانوا مذهولين. وعندما عادوا إلى القاعدة، لم يستطيعوا أن يشرحوا الأمر لقادتهم.

استجوبونا مطولًا وبقسوة. لم يصدقونا. قالوا: "لا يوجد شيء من قبيل رياح بسرعة 140 ميلًا في الساعة فوق اليابان. لا، لا يوجد شيء كهذا. لا يمكن أن توجد رياح كهذه. أنتم تكذبون. لم تنجحوا في الوصول إلى الهدف؛ أنتم تختلقون هذا فحسب". وكان ضابط عملياتنا قد رافقنا جالسًا في أحد مقاعد الركاب، وأكّد ذلك. قال: "كانت هناك رياح بهذه الشدة".

تملك قيادة القاذفات الحادية والعشرين فريقًا من علماء الأرصاد الجوية ملحقًا بها، وكانوا قد تدربوا في جامعة شيكاغو. كان علماء الأرصاد شديدي الأهمية لنجاح حملات القصف، وتحديدًا خلال الأيام السابقة للرادار المتطور. كان عليك أن تعرف إذا كان يوجد غيوم فوق هدفك. أو إذا كان يوجد تيفون يتحضّر لابتلاع طائراتك.

إلا أن الأدوات المتوفرة لعلماء الأرصاد في تلك الحقبة كانت بسيطة. أعرف أن هذا استطراد، إلا أن أسهل ما يُنسى حول الحرب العالمية الثانية هو أنها دارت في حقبة تكنولوجية أخرى، تنتمي جزئيًا إلى كل من القرنين

العشرين والتاسع عشر. كانت أداة خبراء الأرصاد الرئيسة في ذلك الوقت هي البالونات، بالونات الطقس التي كانت تطفو في الغلاف الجوي حاملةً صناديق معدات صغيرة بإمكانها تسجيل الرياح، ودرجة الحرارة، والرطوبة، ونقل تلك المعلومات إلى الأرض عبر الراديو.[1]

عرف جون م. ليويس، وهو باحث في المختبر الوطني للعواصف الشديدة، التابع لمعهد بحوث الصحراء في نيفادا، عددًا من علماء الأرصاد الذين عملوا مع قوات الجيش الجوية خلال الحرب. سألته عما إذا كانت بالونات الطقس مرتبطة بالأرض بواسطة حبل، فأجاب: "لا. ليست مرتبطة.. إنها حرة. في النهاية، ومع انخفاض الضغط كلما ارتفعت البالونات في الغلاف الجوي فإنها تتسع، وتتسع، وتتسع. وتنفجر، وتسقط على الأرض مع الأدوات الملحقة بها. وفي ذلك الوقت، أُرفِقت رسالة بجميع طرود الأداة: من *فضلك هل يمكنك إعادة هذه إلى جامعة شيكاغو؟ إليك العنوان*".

في مسرح عمليات المحيط الهادئ، من الواضح أن ذلك لم يكن سيحدث.

لذا ها هم علماء الأرصاد وسط المحيط الهادئ المكلفون بإحدى أهم المهام في القوة الجوية برمتها - اكتشاف الوقت المناسب لإرسال

---

(1) لا يزال علماء الأرصاد يستخدمون اليوم بالونات الطقس، تطلق بالونات مملوءة بالهيدروجين أو الهيليوم مرتين يوميًا من حوالي تسعمئة موقع حول العالم على نحو متزامن. تقيس أداة ملحقة بالبالون تُدعى المسبار اللاسلكي الضغط الجوي، ودرجة الحرارة، والرطوبة وتنقل المعلومات إلى معدات تعقّب على الأرض.

القاذفات - حائرون. ما خطب هذه الرياح فائقة السرعة التي يبلِغ الطيارون عنها عاليًا فوق اليابان؟

سألت ليويس إن كان لديهم أي مبرر للاشتباه بأن الرياح حول جبل فوجي ستكون شديدة على هذا النحو غير القابل للتصديق، فأجاب: "لم يصلوا إلى خلاصاتهم إلا بعدما عاد الطيارون".

عقب كل مهمة قصف فوق اليابان عام 1944، كانت الطواقم تعود إلى القاعدة وتروي القصة نفسها. وفق ما تذكّر إد هيات لاحقًا:

> دعني أخبرك كم كانت تلك الرياح قوية: ذات مرة، حلّقت طائرة استطلاع لالتقاط بعض الصور عقب إحدى المهمات لتحرّي فعاليتها، واتصل الملّاح بالطيار، وأخبره بأنهم كانوا يسيرون نحو الخلف بسرعة ثلاثة أميال في الساعة. كان هذا أمرًا لا يمكنك تحمّل كلفة فعله إذا كنت تسير من الشرق إلى الغرب، إذ إنك ستكون هدفًا سهلًا للمقاتلات اليابانية أو نيران مدفعيتهم.

لقد واجه الطيارون ما سيعرف بالتيار النفّاث، وهو نهر من الهواء سريع التدفق يحيط بالأرض في الغلاف الجوي العلوي، بدءًا من ارتفاع عشرين ألف قدم تقريبًا. في الواقع، اكتشف عالم ياباني يدعى واسابورو أويشي التيار النفاث في العشرينيات من القرن الماضي خلال سلسلة من التجارب الرائدة. إلا أن أويشي كان مخلصًا للّغة المصطنعة المعروفة بإسبيرانتو، والتي راجت لفترة قصيرة في تلك الحقبة، ولم ينشر اكتشافاته إلا بإسبيرانتو وذلك يعني بالطبع أن أحدًا لم يقرأها. ولأن

أحدًا لم يحلق سابقًا بالارتفاعات التي حلقت بها طائرات بي-29، فإنه لم توجد تقارير خبرة شخصية عن رياح التيار النفّاث أيضًا. كان هذا التيار لغزًا.[1]

كان بوست مشهورًا بتجارب رحلات الطيران الجريئة واكتشف رياح التيار النفّاث القوية خلال إحدى محاولات طيرانه العابرة للقارات عالية الارتفاع. لم يعتمد تعبير *التيار النفّاث* إلى أن وصف عالم أرصاد ألماني الرياح القوية *بسترالسترومونغ* والتي تترجم حرفيًا إلى "التيار النفاث".

وفق ما شرحه جون ليويس لي: "يتحرك التيار الهوائي السريع وشديد الضيق من الشمال إلى الجنوب في كلا نصفي الكرة الأرضية، فاصلًا الهواء البارد للغاية في المناطق القطبية عن الهواء الأدفأ في مناطق خطوط العرض المتوسطة والاستوائية".

عندما سألته عن عرض التيار النفّاث، أجاب: "في العادة مئتا كيلومتر، أو شيء من قبيل ذلك. بالتأكيد ليس ألف كيلومتر، نادرًا خمسمئة كيلومتر، وأحيانًا مئة كيلومتر".

كان اكتشافًا حديثًا لدرجة أن أحدًا لم يدرك أنه يحيط بالكوكب بكامله. شرح ليويس: "لم يُكتشف ذلك حتى أوائل الخمسينيات، عندما بدأنا بإجراء دراسات للغلاف الجوي العلوي على نحو روتيني فوق الولايات المتحدة وبعض دول أوروبا".

---

(1) واجه قليل من الآخرين التيار النفاث بعد أويشي. في الثلاثينيات، قام عالم أرصاد سويدي يدعى كارل-غوستاف روسبي بتمييز وتحديد خصائص كل من التيار النفّاث ونوع الموجات الجوية التي ستُعرف لاحقًا بموجات روسبي. عام 1935، غدا الطيار الأميركي وايلي بوست أول من يختبر التيار النفّاث مباشرةً.

يحيط التيار النفّاث بالأرض برمتها، وهو حزمة ضيقة من الرياح السريعة على نحو غير قابل للتصديق. تتراجع نحو القطبين صيفًا وتتحرك باتجاه خط الاستواء خلال شهور الشتاء.

في شتاء عام 1944 وأوائل ربيع عام 1945، كانت حزمة الهواء الضيقة القوية مثل الإعصار فوق اليابان مباشرةً، ما جعل من المستحيل على طياري هانسل إنجاز أي من القصف الدقيق الذي خططوا له. إذا حلقوا عبرها، سيُقذف بالطائرة باتجاه جانبي. وإذا حلقوا داخلها، سيصارعون للبقاء في الجو، وسيكونون هدفًا سهلًا لليابانيين. وإذا حلقوا معها، سيسابقون بسرعة مفرطة لإصابة هدف ملائم.

واجه الحلم الذي وُلِد في ماكسويل فيلد في الثلاثينيات، وأحيته عبقرية كارل نوردن، قوةً لا يمكن إيقافها في السماء فوق اليابان.

لم يكن هذا النوع نفسه من العقبات الذي واجهته مافيا قاذفات القنابل فوق شواينفورت وريغنسبورغ. هناك، كان بإمكان هانسل أن يبرّر لنفسه بأن المشكلة كانت قابلة للحل، الغارة الأولى كانت تجربة تعلّم، وبإمكان الغارات أن تصبح أفضل وأكثر دقة. يفهم كل مفكّر ثوريّ أن الطريق إلى التحول الجذري ليس ممهّدًا أبدًا. لدى مطوّري البرمجيات نسخة تجريبية، ثم نسخة 1.0 ثم نسخة 2.0، لأنهم يدركون أنه ليس بإمكانهم أبدًا أن يصيبوا منذ المرة الأولى.

إلا أنه في حالة التيار النفاث فوق اليابان، لم توجد نسخة 2.0، لا مراجعة يمكن لهانسل استخدامها لدعم إيمانه. إن القصف الدقيق عالي الارتفاع، وسط تيار نفّاث، مستحيل.

تنحرف أحلام الثوريين عن مسارها عندما تُفرض عليهم مواجهة عقبة غير متوقعة؛ إنها ليست عقبة عقلانية مثل قلة الخبرة أو التهور أو سوء الحساب، بل هي شيء غير قابل للتحريك. وفي لحظة الضعف والإحباط تلك، وفيما تحيط أشلاء حلمه به من كل جانب، تعرّض هيوود هانسل، مثل يسوع في البرية، إلى عملية إغواء. وفق ما يقوله الكتاب المقدس:

أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئًا من الروح القدس، وكان يُقتاد بالروح في البرية أربعين يومًا يُجرّب من إبليس.

ما الذي فعله إبليس؟ قاد يسوع إلى قمة جبل عالٍ، وفق الأسطورة، إلى القمة الواقعة في الطريق بين القدس وأريحا، وعرض عليه السلطان على كل ما أمكنه رؤيته.

ثم أصعده إبليس إلى جبلٍ عالٍ، وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان، وقال له إبليس: "لك أعطي هذا السلطان كله ومجده، لأنه إليّ قد دُفِع، وأنا أعطيه إلى من أريد. فإن سجدتَ أمامي يكون لك كل هذا".

يمكنك الحصول على كل شيء، الانتصار على أعدائك، السيادة على كل ما يمكنك رؤيته من ارتفاع عشرين ألف قدم. كل ما عليك فعله هو التخلي عن إيمانك.

الفصل السابع

"فإن سجدتَ أمامي يكون لك كل هذا".

.1

يتطلّب إغواء هيوود هانسل - في هذا الفصل فقط، بعيدًا عن الطائرات، وجولات القصف، والرياح الشديدة فوق اليابان - الانعطاف إلى اجتماع سري، في وقت مبكر من الحرب، في كامبردج، ماساتشوستس.

كان رئيس معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا حاضرًا، إضافة إلى رئيس شركة ستاندرد لتطوير النفط الحائز جائزة نوبل وبروفيسورين هما: لويس فيزر من هارفرد، وهويت هوتِّل من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، أحد عمالقة مجاله والذي سيغدو لاحقًا رئيس المجموعة وقائدها الروحي.

عُقد الاجتماع بطلبٍ مما سيصبح اللجنة الوطنية لدراسات الدفاع (ل.و.د.د).

كانت اللجنة هي المجموعة الحكومية الموكلة بتطوير أسلحة جديدة للجيش الأميركي. كان مجهودها الأشهر، بالطبع، هو مشروع

مانهاتن، عملية تطوير القنبلة الذرية خارج لوس ألاموس، والتي كلّفت عدة مليارات من الدولارات، إلا أن حجم المجهود الحربي كان كبيرًا لدرجة أنه كان للجنة عدة مشاريع أخرى قيد الإنشاء أيضًا. كان لديها أميركيون يعملون في الزوايا على خطط مغلفة بالظلام. مهمات أطلقت عليها أسماء لم يسمع أحد بها. أفكار تلاحق في أحد الأماكن، تناقض أفكارًا تُلاحق في مكان آخر. خلال أعوام الحرب، ولاستخدام الكليشيه، فإن اليد اليمنى للحكومة الأميركية لم تعرف دائمًا ما كانت اليد اليسرى تفعله. وكان أحد مشاريع اليد اليسرى الغامضة تلك هو لجنة هويت هوتل الفرعية.

بعكس العباقرة في لوس ألاموس جنوبًا، لم يكن الرجال فيزيائيين، ولم تكن مهمتهم إيجاد طرق أفضل لتفجير الأشياء. كانوا كيميائيين، وأخصائيين في العواقب المحددة لدمج الأوكسجين، والوقود، والحرارة. كانت مهتهم إيجاد طرق أفضل لالتهام النيران الأشياء.

وفق ما تذكّره هويت هوتل بعد الحرب: "بحلول عام 1939، اعتقد العديدون أننا سنخوض حربًا في نهاية المطاف، وكانت حالة جاهزيتنا ضعيفة... احتجنا معرفة المزيد عن القنابل الحارقة".

بدأت مجموعة هوتل من الكيميائيين، والمسؤولين الصناعيين، وحائزي جوائز نوبل الاجتماع كلما استطاعوا. خططوا؛ عبثوا؛ وتآمروا. وفي الثامن والعشرين من أيار، عام 1941، خلال جلسة عُقدت في شيكاغو، حظوا باختراقهم الحقيقي الأول. أخبر هوتل لجنته عن حادثة غريبة حصلت للتو في مصنع دوبونت الكيميائي في ديلاوير. كانت هناك

مجموعة تعمل على شيء يُدعى ديفينيل أسيتيلين. إنه هيدروكربون، منتج ثانوي للنفط، والذي إذا مزجته مع صبغة، فإن الطلاء سيجف ويتحول إلى شريط لاصق قاسٍ وسميك. إلا أن الشريط استمر بالاشتعال بالنيران، وذلك مثّل مشكلة لشركة طلاء مثل دوبونت. على أي حال، وبالنسبة إلى المهووسين بالنار في لجنة ل.و.د.د. الكيميائية، فإن ذلك كان *فاتنًا*.

رفع أحد الرجال حول الطاولة يده، وقال: *سأنظر في الأمر*. كان ذلك بروفيسور الكيمياء في هارفرد، لويس فيزر.مكتبة .. سُر مَن قرأ

وُلد فيزر في أوهايو عام 1899. قبل الحرب، كان أول من صنّع الفيتامين ك. كان مساعده البحثي هو زوجته الألمعية بدرجة مساوية، ماري فيزر. في تلك الأيام، لم توظف النساء بروفسورات كيمياء، إلا أنهما كتبا معًا أحد كتب الكيمياء المدرسية التي وسمت القرن العشرين. كان فيزر أصلع وممتلئ الجسد قليلًا، وكان يتباهى بشاربه، ولم يكن يكف عن التدخين.

كان لويس فيزر أيضًا رجل مخيلة ونزوات. تبدأ سيرته الذاتية العلمية المنشورة عام 1964 بعمله خلال الحرب، غير أنها تتحول سريعًا إلى وصف تفصيلي لأشياء من قبيل قنبلة النار الجيبية، والتي دعاها، خلال وحي إدراك جديد، شمعة هارفرد. هناك فصل عن إلحاق أجهزة حارقة بالوطاويط، وهناك فصل موسّع عن كيفية إشعال بقعة نفط بحجم ألف غالون، وخطط مفصلة لوعاء إطعام طيور منيع على السناجب، بالإضافة إلى فصل عن إحدى قططه العديدة، وهي قطة سيامية تدعى سين كاي بوو.

في محفوظات معهد تاريخ العلوم يوجد تسجيل للقاء موسّع مع أحد زملاء فيزر يُدعى وليام فون إيغرز دورينغ، والذي درّس الكيمياء طوال أعوام في ييل وهارفرد. يستمر اللقاء لساعات، وهو مثير للاهتمام على نحو غريب. إنه يعطيك لمحة عن عالَم من العلماء المرخّص لهم أن يكونوا مجانين قليلًا. هكذا يتذكر دورينغ العمل في مختبر فيزر بداية الحرب تمامًا:

> يا إلهي، ما هو المركّب الذي كنا نسعى إليه؟ نعم، ثلاثي نتروبنزيل النترات [ضحك]... استمِع إلى هذا: تضعه؛ أتتذكر أنابيب كاريوس الثقيلة تلك؟ كانت لإجراء نوع من التحليل تحقن فيه شيئًا ما بحمض النترات تحت درجة حرارة مرتفعة. لذا كانت هذه الأنابيب بسماكة ثمانية إنشات، ونصف قطر يبلغ قرابة الإنش، وبطول إنشين. لذا كنت تضع نحو عشرين أو ثلاثين غرامًا من التي أن تي، وتصب أكثر مما يلزم بقليل من البرومين، دون مُحِلّ. كنت تغلق الأنبوب اللعين بإحكام، تضعه داخل قنبلة - قنبلة حديدية - مع سلك ملفوف حوله لرفع درجة الحرارة [ضحك]... في الواقع، إذا وضعت أنبوب التسخين في تلك المساحة الصغيرة، فإنها إذا انفجرت سيصطدم الزجاج بهذا الجزء الصغير من الجدار [ضحك] إلى اليسار والجدار الآخر إلى اليمين. بالطبع يكون نصف الأنابيب قد انفجر! [ضحك]

عليك أن تفهم أن دورينغ كان أحد أعظم الكيميائيين في جيله. نشر ورقته البحثية الأولى عام 1939 والأخيرة عام 2008؛ ثمانية عقود من

العمل. في كل صورة رأيتها له، كان يرتدي ربطة عنق منقطة، إلا أنه يبدو في هذا اللقاء مثل شاب في الثلاثين من عمره بحوزته عدة كيمياء:

كان المختبر متسخًا دائمًا بالبرومين، وكنت تتساءل عن وقت انفجار التي إن تي! [ضحك]... يا إلهي، كانت أوقاتًا مدهشة! لدى الألمان كلمة تصف نوعًا محددًا من الأشخاص بأنهم تيريش إرنْست، والتي تعني جديتهم الشبيهة بجدية الحيوانات. عليّ أن أقول إنه وُجِد القليل للغاية من ذلك [ضحك] في تلك الأيام! [ضحك]

عندما كان لويس فيزر يأتي إلى المختبر ويدخن سجائره دائمة الحضور، كان طلاب الجامعة يؤدون مقالب عليه.

كان لويس يأتي للتحدث إلى جماعته، ويلقي حتمًا بسجائره، وهي لا تزال مشتعلة، في المغسلة. وتمثلت اللعبة بمحاولة تخمين موعد قدومه ثم صب الأثير في المغسلة [ضحك] أملًا باندلاع النار فيها [ضحك].

أملًا باندلاع النار فيها!

لم تكن النار مجرد اهتمام فكري بالنسبة إلى الأشخاص في مختبر فيزر، بل كانت وسواسًا وتعلقًا أيضًا. لذا، عندما أخبر هويت هوتل اللجنة الفرعية أن شيئًا ما في أحد خلائط طلاء دوبونت سيشتعل عفويًا بالنار، من الذي رفع يده مباشرةً؟ فيزر، بالطبع. *سأنظر في الأمر.* ولمساعدته في تحقيقاته، توجه فيزر مباشرةً إلى عضو آخر في الزمرة. يكتب في سيرته الذاتية: "كان السبب الرئيسي لتطوعي أنه توفّر لي في

مجموعتي البحثية خلال زمن السِلم رجل مؤهل على نحو مثالي للتجريب مع مادة كيميائية خطيرة وتقييمها. إنه الدكتور إي. بي. هيرشبيرغ".

تحدثت إلى روبرت هيرشبيرغ ابن إي. بي. هيرشبيرغ، وسألته عن طريقة اتصال والده الأول بفيزر، فأجاب روبرت: "أولًا، إنه من منطقة بوسطن، وأعتقد أن الجواب السريع والقصير للغاية هو أنه كانت توجد أماكن توظيف محدودة لليهود، ولم يكن فيزر مهتمًا بالدين، لذا كان ذلك هو المختبر الذي انتهى به المطاف فيه".

كان إي. بي. هيرشبيرغ، وفق وصف فيزر: "تجريبيًا متمكّنًا في الكيمياء العضوية...و كان ضليعًا أيضًا في الهندسة، والرسم الميكانيكي، والنجارة... والتصوير... وأكثر من ذلك، كان هيرشبيرغ خبيرًا في التعامل مع المتفجرات العسكرية، والفتائل، والغازات السامة، وأوعية الدخان، والقنابل اليدوية". وكان قد اخترع قائمة طويلة من الأجهزة، متضمنةً "مُضرِم هيرشبيرغ، ومحرّك إضرام هيرشبيرغ، وجهاز نقطة ذوبان هيرشبيرغ".

وفق ما تذكره روبرت:

> كان في مختبرنا قنابل منزوعة الصاعق وأشياء من هذه الطبيعة، وبحوزتي صور لانفجارات حدثت. كانت بعض أجهزة الإحراق في دروج المكتب... وكان هناك أشياء من قبيل المفكرات احتوت أجهزة إحراق داخلها، وذلك في حال أُلقي القبض عليك، كنت ستسحب القلم خارجًا، وسيكون

أمامك نصف ساعة حتى تكتب كل شيء، ثم تغادر المكان قبل أن ينفجر وتلتهم النيران المبنى.

هكذا كان إي. بي. هيرشبيرغ.

لذا، ذهب فيزر إلى ديلاوير للتحقيق بشأن مركّب دوبونت الذي جعل الطلاء يشتعل: ديفينيل أسيتيلين.

عقب عودته إلى هارفرد، بدأ وهيرشبيرغ بطهو عجائن. كانوا يضعون العجائن في مَقالٍ ويضعونها على عتبة نافذة مختبر فيزر. لاحظوا أن المادة تغيرت تدريجيًا من سائل إلى هلام لزج سميك. حرّكوا الهلام بعصا، ثم أشعلوا النار فيه ولاحظوا - وأقتبس هنا من كتاب فيزر لأن هذا كان التبصّر الحاسم - "أنه عندما يحترق هلام لزج لا يصبح سائلًا، إنما يحتفظ بقوامه اللزج الدبق. اقترحت التجربة فكرة قنبلة ستبعثر كرات محترقة كبيرة من الهلام الدبق".

تلقي بالقنبلة، ويتبعثر الهلام، ولا يحترق حتى ينفد فحسب، بل تتطاير كرات كبيرة من الهلام في كل الاتجاهات، وتلتصق تلك الكرات بأي سطح تحطّ عليه، وتستمر بالاحتراق والاحتراق والاحتراق.

كان على هيرشبيرغ وفيزر الآن إيجاد طريقة لاختبار هذا المفهوم الجديد للهلامات الحارقة. لذا بنوا هيكلًا خشبيًا صغيرًا بطول قدمين في المختبر، وقارنوا جودة إحراق تراكيب مختلفة من الهلام برمته. كان ديفينيل الأسيتيلين جيدًا، إلا أن هلامًا مصنوعًا من المطاط والبنزين كان أفضل، وكان الغازولين أفضل حتى من البنزين. جرّبوا المطاط الصفائحي المدخَّن كهرماني اللون، والمطاط الرقيق الشاحب،

واللاتكس المطاطي، والمطاط المكربن. صنعوا نموذجًا أوليًا واصطحبوه معهم داخل حقيبة سفر في القطار المتجه إلى ميريلاند، وأعطوه للحمّال ليحمله. قال الحمّال: "إنها ثقيلة بما يكفي لتكون قنبلة".

جرّبوا تاليًا نافثينات الألمنيوم، وهو قطران أسود دبق تصنعه شركة كيماويات خارج مدينة إليزابيث، نيوجرسي. لم يمتزج القطران جيدًا بالغازولين، إلا أنهم حلوا المشكلة بمزج شيء آخر يدعى بالميتات الألمنيوم.

غازولين ممزوج *بنافثينات* الألمنيوم مضاف إليه *بالميتات* الألمنيوم.

نابالم.

أخبرني روبرت نير، مؤلّف *نابالم: سيرة ذاتية أميركية*، عن سبب فعالية النابالم الكبيرة:

> إذا أردت مادة حارقة فعالة، فإن شيئًا دبقًا سيكون أكثر فعالية بكثير من شيء غير دبق، لأنه يلتصق في الواقع بأيّ شيء ينقل طاقته الإشعاعية إليه. وهذا سبب فعالية النابالم الكبيرة.
>
> إذا كانت المادة الهلامية ناعمة للغاية أو ضعيفة للغاية فإنها لن توصل في الواقع كمية كبيرة من الإشعاع إلى الشيء الذي تلتصق به. بإمكانك التفكير بكوكتيل مولوتوف ممتلئ بالغازولين، ينفجر ويوصل الغازولين، بإمكانه حرق شخص ما أو شيء ما على نحو مريع للغاية، غير أن النار ستنطفئ

سريعًا نسبيًا. بينما وعلى النقيض من ذلك، إذا ما ألقي النابالم على شيء ما فإنه سيلتصق به.

سينتِج الهلام الرخو أكثر مما ينبغي ما وصفوه، تقليلًا من شأنه، بصلصة التفاح. أي أنه لم يكن سميكًا أو صلبًا في كرياته بما يكفي للالتصاق بشيء ما، والشيء الصائب تمامًا سيشكّل كتلًا كبيرة الحجم للغاية. كان المطلوب توازنًا بين السميك أكثر مما ينبغي والرقيق أكثر مما ينبغي والصائب تمامًا. وهذا ما وجدوه أخيرًا مصادفةً بالنابالم.

زرتُ ونير ملعب كرة قدم هارفرد، خلف كلية الأعمال تمامًا، والتي تقع في الضفة المقابلة من النهر لحرم الجامعة الرئيسي. إنه مكان اختبار هيرشبيرغ وفيزر النابالم عام 1942. كان هيرشبيرغ قد اكتشف كيفية تحويل الهلام الجديد إلى قنبلة، بإدخال قضيب من التي أن تي مع طبقة من الفوسفور الأبيض ملتفة حوله وسط علبة من النابالم. يحترق الفوسفور عند درجة حرارة مرتفعة جدًا، لذا سيشتعل التي أن تي مؤديًا بالفوسفور المحترق إلى داخل هلام النابالم، فيشعله ويرسل كرات منه في الاتجاهات جميعًا. وكغلاف للقنبلة، استخدما غلافًا كان قد صُمم أساسًا لاحتواء غاز الخردل.

وصف روبرت نير المشهد:

كان عيد الاستقلال عام 1942. لقد وضعوا الصيغة النهائية للخارق الهلامي يوم عيد الفالنتاين، في الرابع عشر من شباط. ثم اكتشفوا نظام إضرام مفجّر الفوسفور الأبيض،

وحصلوا على أغلفة القنابل من الجيش، وبنوا نموذجهم الأولي.

حفروا حفرة في الملعب، أعتقد أن نصف قطرها كان نحو مئة قدم. كانت بحيرة كبيرة لأنهم لم يريدوا أن يتأذّى أحد. وكان بحوزتهم قنبلة النابالم الكبيرة للغاية هذه داخل حاوية، والتي كانوا سيفجرونها في الوسط. لذا وضعوا القنبلة في وسط البحيرة تمامًا، والتي كانت قد مُلئت بالماء بواسطة بعض سيارات قسم إطفاء كامبردج.

مولد النابالم. عُمِّد في ثمانية إنشات من الماء في منتصف ملعب هارفرد لكرة قدم. عندما كان يجري بحثه، لاحظ روبرت نير تفصيلًا صغيرًا في صور ذلك اليوم.

يوجد في الصور الاستهلالية للاختبار، أشخاص يرتدون ملابس بيضاء، ويلعبون في ملاعب التنس، وعقب انفجار القنابل، هُجِرت ملاعب التنس... لذا لعلهم أخبروا الجميع أنهم كانوا سيختبرون قنبلة النابالم هذه، أو لعلهم تركوهم يواصلون لعب التنس ثم اختبروها وهرب الجميع بعيدًا. لا أعرف.

لم يتأذَّ أحد في هذه الاختبارات. وعقب تفجير القنابل، صنعوا فهرسًا دقيقًا للغاية عن توزع وحجم كريات النابالم المطفأة، إذ إن ذلك كان جزءًا من تحديد قوام الهلام الأكبر فعالية.

أخذ فيزر وهيرشبيرغ ابتكارهما عائدين إلى اللجنة الوطنية لدراسات الدفاع، وأدرك هوتل أنه وجد أخيرًا ما كانوا يبحثون عنه جميعًا: النابالم، المخترَع في جامعة هارفرد، والذي جُرب في الملاعب المحاذية لنهر تشارلز المتعرّج.

.2

لم يكن هناك أبدًا تساؤل حول استخدام النابالم! سيستخدم ضد اليابان.

عقب بيرل هاربور ببضعة شهور، نشر محللان أميركيان مقالًا في *هاربرز ماغازين*. قالا فيه أنه عندما يحين وقت الثأر من اليابان هناك طريقة سهلة للغاية لفعل ذلك. فشوارع هذه المدينة ضيقة للغاية، وتعني الشوارع الضيقة أنه يمكن للنار أن تنتقل بسهولة من جانب إلى آخر. ولم تكن المدينة تضم كثيرًا من الحدائق التي بإمكانها أن تعمل بمنزلة عوائق لانتشار النار.

بالإضافة إلى ذلك، وعلى العكس المدن الغربية لم تُبنَ المدن اليابانية من الطوب والإسمنت. كانت كل عوارض وروافد وألواح أرضيات المنازل من الخشب، وصُنعت السقوف من ورق ثقيل منقوع في زيت السمك، وصنعت الجدران من الخشب أو الجص الرقيق، وفي الداخل وُجدت التاتامي وهي حصائر القش. كانت المنازل اليابانية علبًا من المواد سريعة الاشتعال.

وفق لما كتبه المحللان: "بعد إجراء بعض الحسابات المهمة، حددنا أن المساحة القابلة للاشتعال بسهولة، من الخمسة والعشرين

ميلًا مربعًا الممثلة للجزء المركزي من أوساكا، هي ثمانون في المئة، مقابل خمسة عشرة في المئة بالنسبة إلى لندن".

ثمانون في المئة، هذا يعني المدينة برمتها.

لم يكن كاتبا المقال ضابطين في الجيش أو صانعَي سياسات في البيت الأبيض. كانت فكرة تدمير ثمانين في المئة من إحدى مدن عدوك - إحراقها حتى تُسوّى بالأرض- هرطقية. اشتُهر ويليام شيرمان، الجنرال الذي قاد الجيش الاتحادي في مساره المدمِّر الأخير عبر الجنوب عقب الحرب الأهلية، بإحراقه أطلنطا حتى سويت بالأرض. لكنه لم يحرق كامل أطلنطا، بل حرق قطاعات الأعمال والصناعة فحسب، ولم يحرق منازل المدنيين. إلا أنه وعقب كارثة بيرل هاربور، أخذت الفكرة الهرطقية تبدو أقل هرطقية، ألم يتوضع الكثير من الإنتاج الصناعي الياباني في الواقع في منازل الناس؟ ألم يكن صحيحًا أن كثيرًا من المجهود الحربي كان يحدث في غرف المعيشة بالإضافة إلى المصانع؟ أخذت عملية عقلنة تدريجية تحوز تأثيرًا.

يشرح المؤرخ في كلية الجيش الحربية تامي بيدل:

> في ما يتعلق باليابان كنا نخبر أنفسنا: *حسنًا، هناك صناعات كثيرة في المدن*، وهو ما قاله البريطانيون لأنفسهم عندما تحولوا إلى قصف المنطقة. إذا كنت شخصًا يسترشد بالأخلاق، وتريد أن تكون قادرًا على النوم ليلًا، وأن توافق بين أفعالك ومبادئك، عليك إيجاد لغة ومفاهيم لإخبار نفسك أن ما تفعله مقبول...

في ذلك الوقت، كان القرار حسنًا، *دعونا نقاتل بشراسة. علينا فعل كل ما بإمكاننا فعله لإسقاط هذه الأمة.*

سمع هويت هوتل تلك الهمسات، تلك العقلنات. هل قرأ مقال *هاربرز* ذلك؟ لا بد أنه فعل. طلبت ل.و.د.د. منه التحقيق بشأن استخدام المواد الحارقة كأسلحة حربية، ولذلك قرر- بوصفه عالمًا جيدًا- وضع هذا السلاح الجديد، النابالم، تحت الاختبار. صمّم إحدى أكثر تجارب الحرب تفصيلية: اختبار استعراض حريق في أرض دَغواي للإثبات، وهي منشأة الاختبار التابعة للجيش والتي تبلغ مساحتها ثمانمئة ألف فدان وسط صحراء يوتاه.

وفق ما تذكره هوتل: "لا يثق هؤلاء الجنرالات بما يفعله العلماء، هم لا يثقون إلا بما يظنون أنه بإمكانهم تصوّره. كان علينا بناء قرية يابانية وقرية ألمانية. كانت قداحة المجهود الذي وضع في بناء هذه الأشياء مذهلة". بنوا مجموعتين من النسخ المطابقة للأصل على نحو مثالي لمنازل العدو على رمال صحراء يوتاه.

أحضر هوتل أفضل المهندسين المعماريين لبناء القرية الألمانية، واستدعى إيريك مندلسون، وهو مهندس معماري يهودي ألماني ألمعي، صمم بعض أجمل مباني العشرينيات والثلاثينيات وفق طراز الآرت ديكو والآرت موديرن. ولبناء القرية اليابانية، جنّد هوتل أنتونين ريموند، الذي أقام في اليابان لأعوام، ويعدّ على الأرجح المهندس المعماري المولود في الغرب الأكثر احتفاءً به في اليابان حتى يومنا هذا.

تذكر هوتل الاهتمام الذي وضع في نُسخ القرى المطابقة للأصل: "قررنا أن حصائر قش الأرز التي تبلغ سماكتها بوصتين والتي ميّزت البيت الياباني، التاتامي، كانت مهمة لأنها مثّلت المقاومة الرئيسة لعبور القنبلة من طابق إلى آخر. لذا كان علينا أن نمتلك التاتامي".

تمّ بناء أربعة وعشرين مسكنًا يابانيًا، اثني عشر مجمعًا يتكون كل منها من وحدتين، وتضمنت الشوجي- الستائر المنزلقة اليابانية- ونسخًا مطابقة للأصل لمصاريع النوافذ اليابانية.

وضع ريموند أيضًا معاييرًا لا طائل منها. تذكّر هوتل: "أراد ريموند أن يُصنع أثاث هذه الأشياء تحت إشرافه في نيوجرسي، وأردنا صنعها في يوتاه. كان الخشب على شواطئ المحيط الهادئ، وسيكون صنع الأثاث في نيوجرسي! وهذه سخافات".

كان مدير مشروع هوتل، سليم مايرز، مثاليًا آخر. "قال سليم: اللعنة، *علينا أن نكون صائبين على نحو مطلق. لن يوقفنا هؤلاء الجنرالات لأنه لم يكن بحوزتنا شيء مميز حقًا. علينا أن نكون كصيبين*".

بحلول صيف عام 1943، كانت قريتا نماذج هوتل جاهزة لاختباراتهم. عيّن الجيش أسطولًا من القاذفات في دغواي. وألقت طائرة إثر أخرى موادها الحارقة، وعقب كل جولة، أعادت الفرق على الأرض بناء ما تضرّر. جرّب هوتل أولًا القنابل الحرارية البريطانية، التي فضّلها القائد في القوات الجوية الملكية آرثر هاريس خلال غاراته الليلية على ألمانيا. وقارنوا تلك النتائج بنتائج نابالم هيرشبيرغ وفيزر، الموضَّب داخل قنابل

سُمّيت أم 69. وقف هويت هوتل وفريقه جانبًا يسجلون النتائج.

تذكّر هوتل: "قررنا باكرًا أنه ليس بإمكاننا انتظار سيارة الإطفاء. كان علينا الخروج مسرعين لتولي أمر الحرائق. في الحقيقة، كان علينا الخروج مسرعين قبل أن تسقط كل القنابل".

صنّف هوتل الحرائق التي رآها في ثلاث فئات للتدمير: (أ) غير قابلة للسيطرة عليها في غضون ست دقائق، (ب) مدمِّرة إذا لم تتم السيطرة عليها، و(ج) غير مدمِّرة. كان النابالم الفائز بسهولة، بمعدل نجاح قدره ثمانية وستين في المئة في الفئة الأولى على المنازل اليابانية. أحدث النابالم حرائق لا يمكن السيطرة عليها. وعلى النقيض من ذلك، حلّت القنبلة الحرارية البريطانية في مرتبة ثانية ضعيفة وبعيدة.

مع النابالم، بنت الولايات المتحدة لنفسها سلاحًا مرعبًا، وكان الجيش فخورًا للغاية بقنبلته الجديدة لدرجة أنه صنع أفلامًا ترويجية متّقدة عنها.

> إن المكوّن الرئيسي لقنبلة أم-69 هو جورب من الشاش يحتوي غازولين هلامي معالَج على نحو خاص. عندما يضرَم، تصبح الحشوة الهلامية كتلة نارية التصاقية، يتجاوز نصف قطرها الياردة... تحترق عند درجة حرارة ألف درجة فهرنهايت تقريبًا لمدة ثماني إلى عشر دقائق... بغرض الإلقاء من الجو، تُجمّع قنابل أم-69 في مجموعات من ثمانٍ وثلاثين قنبلة... يُحرّر العنقود ويُفتح، وتسقط القنابل الفردية، تتبعها شرائط الشاش، باتجاه الهدف.

.3

تخيل أنك كنت عضوًا في مافيا قاذفات القنابل وكنت موجودًا خلال ذلك الاختبار الاستعراضي على أرض دغواي. وتابعت عملية إعادة البناء شديدة الانتباه لتفاصيل القرى اليابانية. سمعت طائرات بي-29-طائرات بي-29 *خاصتك*- تزعق في السماء لتلقي حمولاتها النارية، ورأيت المنازل تبتلعها النيران. ما الذي كنت ستستنتجه من ذلك كله؟

أعتقد أنك ستكون حائرًا.

كانت مافيا قاذفات القنابل شديدة التأثر بإمكانات مصوّب قنابل نوردن، وهي آلة استخدمت التكنولوجيا لإعادة تعريف الحرب، ولجعلها أكثر إنسانية، ولتقييد الدوافع الإجرامية للجنرالات في ميدان المعركة. إذا لم تكن تستخدم البراعة والعلم البشريين لتلافي وقوع خسائر بالبشر، فما الفكرة إذًا؟ هذا هو غرض الإبداع التكنولوجي.

إلا أنك وعلى نحو مفاجئ كنت تقف في مكان ما في عمق صحراء يوتاه، تحت شمس حادة، تراقب تدريبًا عسكريًا مرخصًا وممولًا من الجيش الأميركي نفسه الذي دفع الأموال على مصوّب قنابل نوردن. باستثناء أن هؤلاء الناس يستخدمون العلم والبراعة لصنع *مواد حارقة* سيُلقى بها من السماء لإشعال حرائق عنيفة من دون تمييز، وأنت تحاول جاهدًا تجنب ضرب أي شيء باستثناء الأهداف الصناعية الأكثر أهمية.

كان الجيش الآن يستخدم جهاز القصف الدقيق لمحو منازل الناس. ها هي الحكومة - قادتك العسكريون في واشنطن - تتابع إستراتيجية تنتهك مبادئك مئة في المئة. وهذا لا يُذكر أمام العمل شديد السرية في صحراء نيومكسيكو، حيث كان أذكى الأشخاص في العالم يُمنحون مليارات الدولارات لخلق سلاح شديد التدمير، وله تأثير كارثي، لدرجة أنه سيغير سياسات العالم إلى الأبد. إذا كانت القنابل النارية خيانة لعقيدة القصف الدقيق، فما يمكن لقنبلة ذرية أن تفعله؟ يا إلهي. إنها كانت يهوذا تكنولوجيًا.

غير أنه، وبعد مرور الغضب الأولي، لعل فكرة ثانية قد راودتك، فكرة متسلطة؛ إغواء.

لأن النابالم سيحل جميع المشاكل التي واجهها هيوود هانسل وقاذفات القصف الدقيق خلال الحرب حتى هذه اللحظة.

لم يجدِ القصف الدقيق نفعًا. عانى هانسل في ظل أصعب الظروف التي واجهها أي قائد معارك في الحرب الجوية برمتها. ولم تستطع طائراته ضرب ما أرادت ضربه بسبب الرياح السريعة والغيوم فوق طوكيو. لذا فكّر في أنه ربما ليس عليك أن تحاول *التصويب* على أي شيء. أحرق كل شيء وسوِّه بالأرض فحسب.

إن المكان علبة مواد قابلة للاشتعال، و*كل ما كان على هيوود هانسل فعله هو التحول إلى النابالم*. كان بإمكانه تنفيذ قصف معنويات ضد اليابانيين فقط، باستخدام سلاح أكثر فتكًا من القنابل التي استخدمها البريطانيون ضد ألمانيا. *وبمعدل نجاح قدره ثمانية وستون في*

المئة في الفئة (أ) على المنازل اليابانية، حيث خرجت الحرائق عن السيطرة في غضون ست دقائق.

في الكتاب المقدس، يقضي يسوع أربعين يومًا وأربعين ليلة في البرية، يُجرّب من قبل الشيطان. أطلق هيوود هانسل ضربته الجوية الأولى ضد اليابان في الرابع والعشرين من تشرين الثاني، عام 1944. كان يومه الأخير رئيسًا لقيادة القاذفات الحادية والعشرين في التاسع عشر من كانون الثاني، عام 1945. تلك خمسة وخمسون يومًا في برية جزر الماريانا، عندما أُغويَ بهجر كل ما قاتل لأجله واعتقد به، مقابل فرصة هزيمة العدو الياباني.

خلال الأيام الخمسة والخمسين تلك، اشتد الضغط على هانسل. شحن الجيش بالسفن آلاف حاويات النابالم إلى الماريانا. حضّوا هانسل على تجربة- فقط تجربة- هجوم حارق بالكامل ضد اليابان.

خسر هانسل طائرة بي-29 في كل مهمة كبيرة تقريبًا. كان هامش الخطأ في العودة إلى الماريانا ضئيلًا للغاية لدرجة أن الطائرات المتضررة كانت أحيانًا تغطس فحسب في المحيط الهادئ في طريق العودة ولا تُرى مجددًا أبدًا. كانت تُقصَف معنويًا.

الجنرال هانسل نفسه الذي كان متفائلًا على نحو عبثي تقريبًا تجاه آفاق القصف الدقيق قبل ذلك بعام، أصبح الآن سوداويًا وغاضبًا. عقب مهمة فاشلة أخرى فوّتوا خلالها الهدف الرئيسي برمته، قدّم أحد ضباط هانسل الرئيسين، إيميت "روزي" أودونل، إحاطةً لرجاله. كان يحاول الحفاظ على معنوياتهم مرتفعة.

"أيها الشبان. إنها مهمة صعبة. غير أنني فخور بكم، ونحن بخير". ثم وقف هانسل. وفجّر الغرفة. "لا أتفق مع روزي. لا أعتقد أنكم تستحقون ما تتقاضونه هنا، - وإذا استمرت المهمة على هذا النحو... ستفشل العملية". أحرج هانسل أحد ضباطه أمام الجميع، وهو أمر لا ينبغي لضابط قائد أن يفعله أبدًا، خاصة إن كان يريد الحفاظ على احترام رجاله.

وصف المؤرخ "ستيفن مكفارلاند" هانسل على هذا النحو:

إنه شخصية مأساوية بمعنى ما، كان التفكير موطن قوته، ساعد في صياغة هذه الإستراتيجية، وساعد في تصميم الخطط الحربية التي ستقود إلى قصف ألمانيا واليابان. كان شبه فيلسوف، كان أقرب إلى المفكر، كان أقرب إلى... لا أريد أن أقول، الأخرق غير الكفؤ.

لم يكن ضابط معارك، لم يكن قائدًا عظيمًا، تحدث بالمثل العليا... لم يشتم أبدًا، ولم يكن قادة الحرب الذين لا يشتمون أبدًا موضع تقدير الطيارين الذين أرادوا شخصًا متواضعًا، يفهم ما كان عليه الأمر.

في النهاية، وجد هانسل نفسه وحيدًا، وقد صاغ المؤرخ تامي بيدل الأمر على النحو التالي:

أعتقد أنه عندما يدخل أحد القادة على إحدى القيادات بفكرة عما سيحدث، عليه أن يؤمن بها أولًا، لأنه بخلاف ذلك لا يمكنه أن يرسل هذا العدد الكبير من الرجال إلى المعركة إذا

لم يؤمن بما كان يفعله، ترسل الرجال إلى المعركة بفكرة وأنت مؤمن بها وبما عليك أن تفعله لإنجاح الأمر، ولتبرير تلك الحيوات، ولتبرير تلك التكلفة البشرية والمالية...

أعتقد أنه عندما يكون القادة في الميدان، يفعلون ما كان هانسل يحاول فعله بشكل أساسي بين تشرين الأول وكانون الأول عام 1944- إنه واقع تحت السيطرة، وأعتقد أنه يفكر بشيء واحد فقط، وإنه مصمم على إنجاحه فحسب.

في لحظة ما أواخر كانون الأول، أعطى القائد الثاني لقوات الجيش الجوية برمتها، لوريس نورستاد، أمرًا مباشرًا لهانسل: أطلق هجومًا بالنابالم على مدينة ناغويا اليابانية في أقرب وقت ممكن. كان ذلك وفق تعبير نورستاد "حاجة ملحّة لأغراض تكتيكية". نفّذ هانسل جولة تجريبية وسوّى بالأرض ثلاثة فدادين تافهة من المدينة. ثم كشّر، واستهجن، وأرجأ، واعدًا بفعل شيء أكبر في وقت ما، ربما عندما ينهي أعماله الأخرى. لم يستسلم للإغواء.

ولأنه لم يفعل، أتى نورستاد بالطائرة من واشنطن. بإمكانك تخيل اللحظة. الزائر رفيع المقام القادم من الوطن. حارس شرفي في الميدان الجوي. ويسكي، وسيجار، ونميمة في كوخ الكوَنسيت الخاص بهانسل.

ثم توجه نورستاد إلى هانسل، دون سابق إنذار، وقال: *أنت مطرود. سيحلّ كورتس لوماي محلّك.*

"اعتقدت أن الأرض قد انهارت، كنت محطمًا بالكامل". هكذا وصف هانسل لاحقًا مشاعره في تلك اللحظة. أُعطيَ هانسل عشرة أيام

لينهي أموره. كان يجول في المكان شاعرًا بالدوار.[1]

في يومه الأخير في غوام، ثمل هانسل وغنى لرجاله: "لا يموت الطيارون العجائز أبدًا، لا يموتون أبدًا، إنهم يحلقون بعيدًا فحسب".

وصل كورتس لوماي لتسلم منصبه، متجهًا إلى الجزيرة بطائرة بي-29. وقف الرجلان لالتقاط صورة لهما معًا. قال لوماي للمصور: "أين تريد مني الوقوف؟" ضُغِط زر الكاميرا.

بعد ذلك، عاد هانسل إلى الوطن ليدير مدرسة تدريبية في أريزونا. لقد انتهت حربه.

أخبرني المؤرخ ستيفن مكفارلاند: "تسنّت لي قراءة عدد من اللقاءات مع الرجل، وتسنّت لي قراءة القليل من رسائله، لقد كان فردًا حنونًا ورصينًا بحقّ، وكان مؤمنًا حقيقيًا، إلا أنه لم يكن من نوع الرجال المستعدين لقتل مئات الآلاف من الناس، لم يكن ذلك يشبهه، ولا يشبه روحه".

"فإن سجدت لي..."

---

(1) جرت مهمة هانسل الأخيرة في التاسع عشر من كانون الثاني. كانت نجاحًا هائلًا. دمّرت اثنان وستون طائرة بي-29 مصنع كاواساكي. وفق ما أشار إليه المؤرخ ويليام رالف: "ضُرب كل مبنى مهم في المجمع برمته. انخفض الإنتاج تسعين في المئة. لم تُسقط طائرة بي-29 واحدة. وفي اليوم التالي، حلّق هانسل عائدًا إلى الولايات المتحدة". المفارقة غير محمولة.

الفصل الثامن

"كله رماد. كل ذلك وذلك وذلك".

.1

سألت المؤرخ العسكري كونراد كرين، الخبير بتاريخاللواء كورتس لوماي عن عقلية لوماي عندما أصبح رئيس قيادة القاذفات الحادية والعشرين خلَفًا لهيوود هانسل عام 1945.

وفق صياغة كرين: "عندما تولّى لوماي قيادة القاذفات الحادية والعشرين، وعندما وصل إلى الماريانا، لم تكن إستراتيجيته النهائية قد خُطِطت على نحو تفصيلي. كان عقله منفتحًا". إذا كان هانسل غير مرن، ورجل مبادئ، فإن لوماي كان نقيض ذلك.

كان تركيز لوماي على الأهم فالأقل أهمية، ولم يكن سعيدًا بالبنية التحتية العسكرية على الماريانا التي كانت قد بنيت كلها من قِبل لواء البناء في البحرية، نحل البحر. لم يتخلص لوماي من ازدرائه للبحرية، الفرع العسكري الذي اعتقد بغشه خلال التدريب على القصف قبل أعوام.

وفق رواية كرين:

نظر حوله ورأى الطبيعة البدائية للمنشآت فقال: "هذا لن ينفع"... دُعي لتناول العشاء مع الأدميرال نيميتز، الذي اتّخذ من الماريانا مقرًا له أيضًا، وذهب إلى منزله الذي يكاد أن يكون قصرًا، وتناول عشاء رسميًا للغاية على طريقة البحرية مع مفارش المائدة والخدمة وكل شيء. بعد يومين دعا لوماي الأدميرال نيميتز إلى زيارته لتناول العشاء، ولبى الأدميرال الدعوة. جلسا في كوخ كوَنسيت على صندوقين، يتناولان الطعام المعلّب المخصّص للجنود. وفي نهاية الوجبة نظر نيميتز إلى لوماي وقال: "فهمت ما ترمي إليه فكرتك". ثم بدأ بإرسال المزيد من مواد البناء للوماي للمساعدة في إتمام بقية المنشآت.

بدأ لوماي بتجربة نسخته الخاصة من استراتيجية سلَفه، فقرر تدمير مصنع ناكادجيما للطائرات في طوكيو، وأراد أن يرضي نفسه بأن فشل هانسل لم يكن فشله هو فقط.

أرسل لوماي مهمته الأولى ضد ناكادجيما في كانون الثاني، وأرسل مهمة أخرى في شباط، وأخرى أوائل آذار. مئات طائرات بي-29 في رحلة مضنية طويلة إلى اليابان. وفي النهاية، بقي المصنع قيد العمل.

واجه سريعًا العقبة نفسها التي واجهها هانسل، *كيف يمكنني إرغام اليابانيين على الاستسلام من الجو إذا لم يكن بإمكاني إصابة أي شيء؟*

وفق شرح كرين: "ليس هناك شيء آخر بإمكانه تحسينه. يقول: حسنًا، *عليّ تجربة شيء مختلف*".

بدأ بالرياح. التيار النفاث قوة لا يمكن إيقافها، ولا يمكن أن تبعدها بالتمني، وأدرك لوماي أنها تجعل كل شيء آخر مستحيلًا. تبدأ عقيدة القصف الدقيق بضرورة أن تأتي القاذفة من ارتفاع أعلى من مدى نيران العدو وأسلحته المضادة للطائرات. ألقى لوماي بذلك المعتقد خارج النافذة، وقرر أنه سيكون على طائرات بي-29 أن تأتي من تحت التيار النفاث.

ثم هناك الغيوم. يعمل مصوّب قنابل نوردن فقط إذا أمكن للمدفعي رؤية الهدف. إلا أنه يمكن لليابان أن تكون غائمة مثل إنكلترا. في شباط عام 1945، أخبره علماء الأرصاد العاملون في غوام لوماي أنه ليس بإمكانه توقع أكثر من سبعة أيام في آذار تكون فيها السماء صافية بما يكفي للرؤية اللازمة للقصف. بإمكانه توقع ستة أيام في نيسان وأيار وأربعة أيام في حزيران. فكيف يمكنك تنفيذ هجوم مستدام على اليابان إذا كان بإمكانك القصف لستة أو سبعة أيام في الشهر فحسب؟

هناك جزء غريب عن أفكار لوماي وردود أفعاله الواعية في سيرته الذاتية التي ألفها بنفسه، حيث يكتب:

> كم مرة فشلنا باكرًا، هنا تمامًا على هذه الجزر؟ جمعنا الطائرات، وجمعنا القنابل، والغازولين، والمؤن، والناس، وأعددنا الطاقم، وبعد أن أصبح كل شيء جاهزًا للخروج وتنفيذ المهمة. ثم ما الذي كنا نفعله؟ نجلس على مؤخراتنا

وننتظر الطقس... حسنًا ما الذي أحاول الآن فعله؟ أعمل على ألّا نعتمد *على الطقس*. وعندما سنستعد، سننطلق.

حسنًا، ما الذي تعنيه "أعمل على ألّا نعتمد على الطقس"؟ إنه يعني أنه لن يكتفي بالقدوم من تحت التيار النفاث، إنما سيأتي أيضًا تحت الغيوم، وسيجعل الطيارين يأتون على ارتفاع بين خمسة آلاف وتسعة آلاف قدم، أي أقل انخفاضًا من الارتفاع الذي حلم أي شخص بأخذ طائرة بي-29 في جولة قصف عليه.

شرح كرين: "حالما أدرك أنه سيكون عليه تخفيض الارتفاع، فإن ذلك قاد نحو مجموعة كاملة من الخلاصات الأخرى".

الخطوة المنطقية التالية: كان يفترض بالقصف الدقيق أن يكون قصفًا نهاريًا. كان يحتاج إلى رؤية الهدف قبل أن يتمكن من تصويب مصوّب القنابل. غير أنه إذا ما قُدِمت قاذفات لوماي على ارتفاع منخفض خلال النهار، فستكون أهدافًا سهلة للدفاعات الجوية اليابانية، لذلك قرر: *علينا أن نأتي تحت جنح الظلام*.

التيار السريع والغيوم الكثيفة تعني التحليق على علو منخفض، والعلو المنخفض يعني الليل. وقرار التحول نحو الغارات الليلية يعني أنه ليس بإمكانك تنفيذ قصف دقيق بعد الآن؛ لا مزيد من العبث بمصوّب القنابل، ولا مزيد من التحليق بتشكيلات محكمة بهدف تنسيق الضربات بالقنابل، لا مزيد من العذاب لتحديد الموقع الدقيق للهدف.

وما هو السلاح الذي سيستخدمه لهذه الهجمات؟ النابالم. سيعمل النابالم على نحو مثالي.

بلغ غضب لوماي بسبب شواينفورت وإحباطه بسبب الظروف المستحيلة في الهند الذروة. وهكذا، هناك في كوخ الكوَنسيت في غوام، قال: *سأفعلها الآن على طريقتي*. رسم خطة لهجومه الكبير الأول، وبدلًا من تسمية الهدف الدقيق- مثلما أصرّت مافيا قاذفات القنابل على فعله دائمًا- اكتفى بكتابة: "طوكيو". ثم، عندما أرسل خطته إلى واشنطن لنيل موافقة رئيسه، الجنرال هاب آرنولد، تأكد من وصولها في يوم لا يكون فيه آرنولد في مكتبه، "حتى يتمكن من إطلاق غارته الاستهلالية تلك قبل أن يحظى آرنولد بفرصة للنظر إليها مطولًا"، وفق كرين. "لأنه أدرك أنه يخاطر. فطائرات بي-29 قيّمة للغاية... وهو يتحدث عن القدوم ليلًا على ارتفاع منخفض. إنه يترك معظم الذخيرة والرشاشات خلفه".

الشيء الوحيد الذي تركه لوماي لطياريه للدفاع عن أنفسهم هو رشاش خلفي. أزيلت كل الأسلحة الأخرى. أراد إزالة كل الوزن الزائد حتى يتمكن من حمل ما أمكن من النابالم.

لم ينسَ الطيارون الذين حلقوا في تلك المهمة لحظة تلقيهم تلك التعليمات. وصف أحد طياري بي-29، ديفيد بريدن، الإحاطة: شهق المستمعون، إذ إنك لم تفكر أبدًا بفعل أي شيء باستثناء التحليق على علو مرتفع.

خرجت الطائرات، وقد طُليت مؤخراتها بالأسود. لذا علم الطيارون أن هذا سيكون شيئًا مختلفًا... اعتقد معظم الشباب أنها مهمة انتحارية، فدخل بعضهم وكتبوا رسائل وداعية لعائلاتهم بسبب [ملف الرحلة] منخفضة الارتفاع.

لأكون واضحًا، خمسة آلاف قدم ليست ارتفاعًا منخفضًا فحسب. خمسة آلاف قدم هي ارتفاع غير مسبوق أيضًا. بعد عشرين عامًا، كان هيوود هانسل لا يزال مدهوشًا من جنون فكرة لوماي:

سُئلت عما إذا كنت سأفعل ذلك. أعتقد وبكل صدق أن الإجابة ستكون لا. أعتقد أنني كنت سأحلق على ارتفاع نحو خمسة عشر ألف قدم.

إلا أن التحليق أولًا على ارتفاع منخفض مثل خمسة أو عشرة آلاف قدم دون أي معرفة حقيقية بكثافة الدفاعات المضادة للطائرات كان على ما أعتقد شيئًا خطيرًا للغاية، وشجاعًا للغاية، إذا ما تبيّن صوابه، وأعتقد أن ذلك كان قرار الجنرال لوماي الشخصي.

إنه شيء خطير للغاية وشجاع للغاية. ليس من الضروري حقًا قراءة ما بين سطور ما قاله هانسل. كاد أن يحدث تمرد يوم قدّم لوماي إحاطته لطياريه، إلا أنك إذا ما واجهته ذلك الصباح فإنه سيقول: *ما الخيار الذي أملكه؟* وفق ما صاغ الأمر لاحقًا: "استيقظت في أحد الأيام، وكنت قد أمضيت شهرين هناك ولم أفعل شيئًا يذكر، من الأفضل أن أفعل شيئًا".

أكان سيجلس هناك حقًا، وينتظر تبدد الغيوم، وابتعاد التيار النفاث، ويغدو مدفعيوه فناني مصوّب القنابل موهوبين؟ في رواية شفهية سُجلت بعد الحرب بفترة طويلة، كان خروج هيوود هانسل المخزي لا يزال في باله. إليك كيف أجاب عن أسئلة حول إستراتيجيته:

السؤال: من أين وُلدت فكرة الهجمات النارية منخفضة الارتفاع أيها الجنرال لوماي؟

لوماي: كثيرًا ما كان لدينا أفكار تحلق جيئةً وذهابًا. كان قراري الأساسي، وأنا اتخذته... لم يقل أي شخص شيئًا عن القصف الحارق الليلي، ولكن كان علينا أن نحقق نتائج، وكان عليّ أن أحققها. إذا لم أنتجها، أو خمّنت على نحو خاطئ، فلتأتِ بقائد آخر إلى هنا. هذا ما حدث لهانسل. لم يحقق نتائج. كان عليه أن يحققها.

.2

تدور جميع القصص في أسطورة كورتس لوماي تقريبًا حول افتقاره للمشاعر، وقسوته، وهدوئه الذي لا يتزعزع.

في الفصل الرابع من هذا الكتاب، اقتبست عنه في وقت مبكر من الحرب، عقب عودته من مهمة قصف فوق أوروبا:

السؤال: كيف سارت الرحلة اليوم أيها العقيد لوماي؟

لوماي: سارت على نحو جيد للغاية، باستثناء أنها مملة بالمقارنة ببعض الرحلات السابقة. لم توجد أي مقاتِلات، وكانت نيران المدفعية معتدلة فحسب وغير دقيقة للغاية.

كان قد حطّ لتوه عقب ساعات من التحليق فوق أراضي العدو، تطلَق النيران عليه من الأسفل ويهاجَم من جميع الجوانب من قبل الطائرات المقاتلة الألمانية. *كانت مملة بالمقارنة ببعض الرحلات السابقة.*

في أوروبا، أصرّ لوماي ألا يتخذ طياروه إجراءً مراوغًا فيما هم يحلقون باتجاه هدفهم. كان كلٌّ من طياريه مذعورًا أنه إذا ما فعل ذلك فإن نيران مضادات الطائرات ستسقط طائرته. لذا قال لوماي: *سأقود المهمة الأولى بنفسي*. تذكر كيف صاغ الأمر لاحقًا: "لقد نجحَت. سأعترف بشعوري وشعور بعض العسكريين الآخرين ببعض التوتر عندما نفذنا جولة القصف المباشر الأولى تلك، إلا أنها نجحت".

ذات مرة، قال أحد طياري لوماي أنه عندما اعترف بمخاوفه للوماي، أجابه لوماي: "إنك ستُقتل على الأرجح يا رالف، لذا من الأفضل أن تتقبّل ذلك، فبهذا ستتصالح مع الأمر على نحو أفضل بكثير". *ذلك* هو لوماي الذي نعرفه.

لكن هناك بين الفينة والأخرى تلميحات عن لوماي آخر، على سبيل المثال، عندما قال: "سأعترف ببعض التوتر". هذا ترميز *لكنت مذعورًا*، إلا أنه بالطبع لم يكن يستطيع السماح لأحد برؤية ذلك.[1] ليس بإمكانك قيادة الطيارين إلى المعركة إذا كان بإمكانهم الشعور بخوفك، لذا يتحول الذعر إلى لا مبالاة وتبخيس. كان لوماي متصلب الرأي تجاه رجاله في ما يتعلق بإعدادهم وتدريبهم بلا هوادة، ولكنه كان

(1) حتى في رسائله إلى زوجته، كان لوماي غير عاطفي على نحو لافت. في الثاني عشر من آذار، بعد يومين من الهجوم على طوكيو، ذكر المهمة على نحو عابر فقط: "قمنا قبل أيام بمهمة جيدة فوق طوكيو. أرسلت رسالة إلى الوطن لضمان تلقّيكِ إشعارًا ببرنامج ساعة الجيش الإذاعي، آمل وصولها في الموعد. أنا سعيد بإعجابك بالحقيبة المسائية. أنا واثق من أنني أفسدك، ويمكنني أن أتذكر أن ثمنها كفيلًا بدفع فاتورة البقالة لمدة شهر".

كذلك *لسبب*؛ لأنه اهتم بهم. هناك سطر في ملف عن لوماي كتبه كلير مكيلواي، الذي خدم تحت قيادته في غوام، أعتقد أنه يشرح ذلك على نحو جميل. فعل لوماي ما فعله لأنه امتلك "قلبًا يتقزز من فكرة ما سيعنيه نقص الانضباط والتدريب بالنسبة إلى طواقمه الشابة".

في مذكرات لوماي، هناك لحظة واحدة فقط يبدو أنه يسمح فيها بإظهار مشاعره، عندما يصف المرة الأولى التي رأى فيها طائرة. كان طفلًا، يقف في باحة المنزل الخلفية في الحي المكافح حيث أقامت عائلته في كولومبوس، أوهايو.

> فجأة، ظهرت طائرة فوقي في السماء، جاءت من العدم. ها هي هناك، وقد أردت التقاطها... بإمكان الأطفال حشد قوة هائلة من المُثُل والأفكار خلال مجهودهم للإمساك بالغنيمة التي يتوقون إليها. لم يعِق أحد تقدمي، ولم يكن أحد يقف قريبًا مني ليقول: "انظر، أنت مجرد طفل صغير، إن تلك الطائرة بعيدة وعالية في السماء، ومهما تكن سريعًا في الركض فلن تستطيع مجاراتها، لا يمكنك الارتفاع بما يكفي للاستيلاء عليها". اعتقدت فقط أنه قد يكون بإمكاني الإمساك بالطائرة وامتلاكها، وحيازتها دائمًا. لذا خرجت خلفها مسرعًا.

ركض عبر باحات الجيران الخلفية، والفسحات الخاوية، والأرصفة. ولكنه لم يتمكن طبعًا من التقاطها. "ثم اختفت. صوتها وقوتها البديعان والتوهم الغريب للشيء، شيء مصنوع من الخشب والمعدن، يخترق الهواء".

عاد إلى بيته، وبكى.

المرة الوحيدة التي تمكن فيها لوماي من الاعتراف بعاطفة حقيقية كانت عندما روى قصة من طفولته، عندما كان محل عاطفته جهازًا آليًا.

من السهل فهم الرؤيا الأخلاقية لشخص مثل هيوود هانسل، أو الأعضاء الآخرين في مافيا قاذفات القنابل، لأنهم تحدثوا لغة الأخلاق المهيبة. هل يمكننا شن حرب ترضي ضمائرنا؟ لكن لوماي شخص عليك العمل بجهد أكبر لفهمه.

تحدثت ابنة لوماي، جين لوماي لودج، عن ذلك في رواية شفهية عام 1998.

> كان هناك مقالتان سيئتان للغاية تذكران أنه أراد بدء الحرب العالمية الثالثة وأنه كان مروّجًا ومناصرًا للحرب والسياسات العدائية... ثم تقرأ لقاءً خلال الحرب عندما نفذوا ذلك القصف منخفض الارتفاع - ولم يكن قادرًا على المشاركة في تلك المهمة - عندما وقف على ذلك المدرّج، يعُدّ تلك الطائرات ليعرف عدد الطائرات التي أقلعت.

عادًّا تلك الطائرات، واقفًا هناك إلى أن تعود الطائرة الأخيرة. إن رجلًا لا يمتلك أي حساسيات، وساديًا، ولا يهتم أين يذهب أو من يدوس، لن يفعل أمرًا كهذا.

حسنًا، كيف برّر لوماي القصف الخارق الذي أراد تنفيذه على اليابان؟ كان سيقول إنه من مسؤولية القائد العسكري أن يجعل الحروب أقصر ما يمكن. إن *مدة* الحرب، وليس تقنيات الحرب، هي ما تسبب

المعاناة. إذا كنت مهتمًا بحياة رجالك - والألم اللاحق بعدوك - يتوجب عليك شن حرب قاسية وحاسمة ومدمرة بقدر الإمكان، لأنك إذا كنت قاسيًا، وحاسمًا، ومدمرًا، وحوّلت حربًا مدتها سنتان إلى حرب مدتها سنة، أفلا يكون ذلك النتيجة المرغوبة؟

أغوى الشيطان يسوع بأن عرض عليه السيادة على كل ما يراه؛ فرصة هزيمة العدو الروماني. وفق صياغة أحد اللاهوتيين، إذا قَبِل يسوع "الإغواء لفعل الشر يمكن للخير أن يحلّ؛ لتبرير عدم مشروعية الوسائل بعظَمة الغاية". وقف هيوود هانسل إلى جانب يسوع في هذه المسألة: لا ينبغي لك أبدًا فعل الشر حتى يمكن للخير أن يحلّ. كان لوماي سيفكر مطولًا وبشدة في الذهاب مع الشيطان. كان سيقبل الوسائل غير المشروعة إذا ما قادت إلى ما عدّه نهاية سريعة تكون له الأفضلية فيها.

وفق ما صاغ الأمر بعد أعوام: "الحرب عمل قذر ودنيء، فأنت ستقتل كثيرًا من الناس. لا سبيل إلى الالتفاف حول ذلك. أعتقد أن أي قائد أخلاقي يحاول أن يقلّص هذا قدر الإمكان، وبالنسبة إليّ فإن أفضل طريقة لتقليصه هو إنهاء الحرب بأسرع ما يمكن".

هذا ما قاله لطواقمه عندما استعرض مهمتهم الجديدة: *أعرف أن ما أقترحه يبدو جنونيًا، لكنه فرصتنا الوحيدة لإنهاء هذه الحرب. وإلا، ما هي خياراتنا؟ تريدون العودة إلى أيام هيوود هانسل، تجلسون على المدرّج وتنتظرون أن يصفو الطقس؟ حسنًا سنبقى جميعًا هنا لأعوام.* في ألمانيا، كان النازيون قريبين من الاستسلام، وكان الناس في أميركا،

الذين ضحوا طوال أربعة أعوام لدعم الحرب، منهكين. لم يعتقد كورتس لوماي أن لديه أي وقت لإضاعته، كان عليه أن يتصرّف.

.3

حسنًا: عملية منزل الاجتماع. ليلة التاسع من آذار، عام 1945. هجوم كورتس لوماي الكامل الأول على مدينة طوكيو.

بعد ظهر ذلك اليوم، عُقد المؤتمر الصحفي الإلزامي. قدِم الجنرال لوريس نورستاد، الرجل الذي أرسل هيوود هانسل لتوضيب أغراضه. قدّم ولوماي الإحاطة للمراسلين الحربيين وأخبروهم ما يمكنهم وما لا يمكنهم كشفه. ثم بدأت الطائرات بالإقلاع، الواحدة إثر الأخرى، من المطارات في غوام، تينيان، وسايبان - ما مجموعه أكثر من ثلاثمئة طائرة بي-29، أسطول حربي. حُمّلت بكل ما أمكنها حمله من النابالم، وقف لوماي في المدرّج، يعدّ الطائرات.

لن تصل القاذفات الأولى طوكيو قبل وقت باكر من صباح اليوم التالي. لذا لم يكن هناك ما يفعلونه سوى الانتظار. مساءً، ذهب لوماي إلى غرفة العمليات، جلس على دكّة، ودخّن سيجارًا.

عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وجده كلير مكيلواي، ضابط العلاقات العامة في القاعدة، هناك وحيدًا. كان لوماي قد أرسل الجميع إلى منازلهم. أخبر لوماي مكيلواي: "أنا قلق بشأن هذا. يمكن أن تحصل يحصل من الأمور السيئة... ليس بإمكاني النوم... بإمكاني النوم عادةً، لكن ليس الليلة".

سيكتب مكيلواي لاحقًا سلسلة طويلة *لـ ذا نيويوركر* عن الوقت الذي أمضاه مع لوماي في غوام.[1] تستحق روايته لتلك الليلة الطويلة من الانتظار الاقتباس المطوّل:

> بقراره إرسال طائرات بي-29 فوق طوكيو على ارتفاع خمسة إلى ستة آلاف قدم، كان لوماي يزيد الخطر الذي ستواجهه طواقمه، ولديه شعور عميق بالمسؤولية الشخصية عن طواقمه؛ كان يخاطر بنجاح برنامج طائرات بي-29 برمته، وهو... عزيز عليه على نحو عاطفي وعملياتي؛ وكان يخاطر بمستقبله، ليس فقط كضابط في الجيش إنما كإنسان. إذا خسر سبعين في المئة من طائراته بقرار كهذا، أو حتى خمسين في المئة منها، أو حتى خمسة وعشرين في المئة، فإنه سينتهي. وأتخيل أن رجلًا مثله سينتهي بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، لأنه سيكون قد خسر ثقته بنفسه.

جلس مكيلواي إلى جانب لوماي على الدكة. قال لوماي لميكلواي: "إذا نجحت هذه الغارة على النحو الذي أعتقد أنه سيحصل، عندها يمكننا أن نقلص أمد هذه الحرب". الشيء نفسه الذي قاله دائمًا. نظر إلى ساعته؛ لا يزال هناك نصف ساعة على وصول التقارير الأولى من اليابان.

> قال لوماي: "أترغب بشرب الكوكا-كولا؟ بإمكاني التسلل إلى سكني دون إيقاظ الشباب الآخرين وإحضار عبوتي

---

(١) عقب مغادرته منصبه في *ذا نيويوركر*، خدم مكيلواي مقدمًا في الجيش؛ ضابط علاقات عامة، تضمّن دوره التعتيم على التقارير التي ستضر زملاءه وقادته العسكريين. انتُقدت تحقيقاته الصحفية المعدّة بعد الحرب بشدة، حتى من قبل *ذا نيويوركر* نفسها، بسبب الروايات غير الموثوقة وتبييض جرائم الحرب.

كوكا-كولا وبإمكاننا شربهما في سيارتي. سيمضي بذلك معظم نصف الساعة"... جلسنا في الظلام، مواجهين الغابة التي تحيط بالمقر وأكثف ما تنمو بين حافة الفسحة مقطوعة الشجر حيث نجلس والبحر.

انتظر الرجلان خلال ما سيتبين أنه الليلة الأطول في الحرب.

.4

كانت وجهة أسطول كورتس لوماي من طائرات بي-29 منطقةً مربعة بمساحة اثني عشر ميلًا مربعًا وسط طوكيو ممتدة على نهر سوميدا. تشتمل على منطقة صناعية، ومنطقة تجارية، وآلافًا من منازل الطبقة العاملة بشكل رئيس، مشكّلةً ما كان في ذلك الوقت إحدى أكثر المناطق كثافة سكانية في العالم.[1]

وصلت القلعة الفائقة الأولى إلى طوكيو بعد منتصف الليل تمامًا، ملقيةً بالقنابل المضيئة لتمييز منطقة الهدف، ثم بدأ الانقضاض؛ مئات الطائرات، وحوش ميكانيكية مجنّحة عملاقة تهدر فوق طوكيو، تطير على علو منخفض لدرجة أن المدينة بأكملها اهتزت مع صوت

(1) وفق ما أشار إليه المؤرخ البيئي ديفيد فيدمان، تكشف الخرائط العسكرية لهجوم طوكيو أن مناطق الطبقة العاملة المدنية استُهدفت عمدًا. لماذا؟ كانت منازل الفقراء سهلة الاشتعال: "حقيقة أن مناطق المدينة الأكثر كثافة من الناحية السكانية تتوافق مع المناطق المحروقة، ليست مصادفة؛ سعى مخططو الحرب إلى استغلال ضعف هذا الجزء من المدينة، المكوّن من بنى *ورق وألواح رقائقية* قابلة للاشتعال".

محركاتها. ثبت أن مخاوف الجيش الأميركي حيال دفاعات المدينة الجوية لا أساس لها: لم يكن اليابانيون مستعدين على الإطلاق لقوة مهاجمة قادمة على ارتفاع خمسة آلاف قدم.

سقطت القنابل من طائرات بي-29 في عناقيد. كانت عبارة عن أنابيب فولاذية صغيرة بطول عشرين إنشًا، يزن كل منها ستة أرطال، معبأة بالنابالم. قنابل صغيرة، في إحدى نهايتي كل منها شريط طويل من الشاش، حيث إنك إذا ما نظرت إلى السماء تلك الليلة في طوكيو، لرأيت لحظة من الجمال الاستثنائي؛ الآلاف من هذه الخناجر الخضراء الفاتحة تسقط نحو الأرض.

ثم: *انفجار*. لحظة الاصطدام، دوّت الآلاف من الانفجارات الصغيرة، وطغت رائحة الغازولين، وانفجرت كرات محترقة من النابالم في جميع الاتجاهات. ثم جاءت موجة أخرى من القاذفات، وأخرى. استمر الهجوم الكامل نحو ثلاث ساعات، وألقي 1665 طنًا من النابالم.

كان مخططو لوماي قد قدّروا مسبقًا أن هذا العدد الكبير من القنابل النارية الملقاة من هذا الارتفاع المنخفض، سيتسبب بعاصفة نارية- حريقًا هائلًا شديدًا- لدرجة أنه سيخلق نظام رياح خاصًا ومستدامًا. وقد كانوا على صواب.

احترق كل شيء ضمن مساحة ستة عشر ميلًا مربعًا.

اندلعت النيران في المباني حتى قبل أن يصلها الحريق، هربت الأمهات من الحريق وأطفالهن مشدودين بأحزمة إلى ظهورهن ليكتشفن - عندما توقفن للاستراحة- أن أطفالهن يحترقون. قفز الناس في القنوات المتفرعة من نهر سوميدا، وغرقوا عندما أتى المد أو قفز

المئات من الآخرين فوقهم. حاول الناس التعلّق بالجسور الفولاذية إلى أن غدا المعدن أسخن من أن يُمَسّ، ثم قفزوا إلى حتفهم.

دار القاذف الرئيس - نائب لوماي، تومي بوَر - تلك الليلة عاليًا فوق طوكيو منسّقًا الهجوم. قال المؤرخ كونراد كرين أن بور جلس في قمرة قيادته يرسم صورًا لكل ما رآه:

> لاحظ [بور]: "كان الجو مليئًا للغاية بالمواد الحارقة لدرجة أنه لم يكن بإمكانك المشي بينها". بحلول الساعة 2:37، امتدت أكبر منطقة نيران مرئية إلى حوالى أربعين مجمعًا سكنيًا طولًا وخمسة عشر عرضًا. بلغ ارتفاع الدخان خمسة وعشرين ألف قدم... عندما رسم آخر رسومه التخطيطية، والذي تلا رسمه الأول بنحو ساعة، كان هناك أساسًا مجموعٌ من المناطق المنفصلة المكوّنة من خمسين إلى ألف مجمع سكني تحترق في الوقت نفسه. ويذكر التقرير الأخير أن وهج النيران كان مرئيًا على بعد 150 ميلًا.

عقب الحرب، خلُص استطلاع الولايات المتحدة للقصف الإستراتيجي إلى التالي: "على الأرجح أن عدد الناس الذي خسروا حياتهم في حرائق طوكيو خلال ست ساعات أكبر من أي وقت في التاريخ البشري". مات نحو مئة ألف شخص تلك الليلة، وعادت الطواقم الجوية التي قادت تلك المهمة مرتعشة.

وفق ما تذكّره الطيار ديفيد بريدن: "بصراحة، عندما كانت تلك المدن تحترق، بدا وكأنك تنظر داخل فم الجحيم. أعني أنه ليس

بإمكانك تخيل حريقًا بذلك الحجم".

أضاف كونراد كرين: "إنهم على ارتفاع نحو خمسة آلاف قدم، إنهم منخفضون للغاية... إنهم منخفضون بما يكفي لتتغلغل رائحة اللحم المحترق في الطائرات... كان عليهم في الواقع تبخير الطائرات عندما حطّوا عائدين في الماريانا، لأن رائحة اللحم المحترق بقيت داخل الطائرة".

في الليلة التالية، في غوام، أوقِظ لوماي نحو منتصف الليل. كانت الصور الجوية الملتقطة خلال الهجوم جاهزة. فيما انتشرت الأخبار، قدِم الناس راكضين من أسرّتهم. قدِموا بسيارات الجيب حتى اكتظّت الغرفة. وضع لوماي، وهو لا يزال مرتديًا منامته، الصور على طاولة كبيرة تحت ضوء ساطع. كان هناك لحظة من الصمت الصادم. كان كلير مكيلواي يقف في الغرفة مع الآخرين جميعًا، ويتذكر لوماي مشيرًا إلى منطقة الدمار الشاسعة. قال لوماي: "كل هذا مدمر. هذا مدمر.. هذا وهذا وهذا".

وقف الجنرال لوريس نورستاد إلى جانبه وقال: "كله رماد.. كل ذلك وذلك وذلك".[1]

---

(1) على الرغم من الوفيات غير المعدودة، ليس هناك نصب تذكاري لهجوم التاسع من آذار أقرته الحكومة في اليابان. كافح الناجون من تلك الليلة، الذين يدعون أنفسهم *نشطاء الذاكرة*، لإحياء ذكرى غارة طوكيو في وجه لامبالاة سياسية وشعبية. موّلوا أخيرًا نصبهم التذكاري الخاص؛ مركز غارات طوكيو وأضرار الحرب. في فيلمه الوثائقي القادم، *مدينة الورق*، يلتقي المخرج أدريان فرانسيس ناجين من قصف طوكيو الناري عام 1945 لحفظ قصصهم ونضالهم لإحياء الذكرى.

الفصل التاسع

"دمار مرتجل".

مكتبة
t.me/soramnqraa

1.

عقب قصف طوكيو بالقنابل الحارقة في آذار عام 1945، حلق كورتس لوماي وقيادة القاذفات الحادية والعشرون فوق بقية اليابان مثل حيوانات برية. أوساكا، كيوري، كوبي، نيشينوميا. أحرق لوماي 68.9 في المئة من أوكايانا، و85 في المئة من توكوشينا، و99 في المئة من توياما – ما مجموعه سبع وستون مدينة يابانية خلال نصف عام. في فوضى الحرب، من المستحيل معرفة عدد القتلى اليابانيين؛ ربما كان العدد نصف مليون، وربما مليون. في السادس من آب، حلقت *الإينولا غاي*، طائرة بي-29 مجهّزة تجهيزًا خاصًا، من الماريانا إلى هيروشيما وألقت بأولى قنابل العالم الذرية، ومع ذلك واصل لوماي. في مذكراته، لا تحظى الهجمات النووية بأكثر من صفحتين. كانت تلك حفلة شخص آخر.

ذهبت طائراتنا بي-29 إلى ياواتا في الثامن من آب، وأحرقت 21 في المئة من البلدة، وفي اليوم نفسه ذهبت بعض طائرات

بي-29 الأخرى إلى فوكوياما، وأحرقت 73.3 في المئة. مع ذلك لم يكن هناك أي شهقة أو انهيار عندما سقطت القنبلة النووية الثانية فوق ناغازاكي في التاسع من آب. واصلنا التحليق، وذهبنا إلى كوماغايا في الرابع عشر من آب... أحرقنا 45 في المئة من تلك البلدة. حلقنا في مهمتنا الأخيرة في اليوم نفسه ضد إيسيساكي، حيث أحرقنا 17 في المئة من ذلك الهدف، ثم عادت الطواقم إلى الماريانا وعملوا بأن اليابان قد استسلمت.

لطالما قال لوماي إن القنابل الذرية لم تكن ضرورية، فقد كان العمل الحقيقي قد أُنجز.

.2

هناك قصة أحب لوماي روايتها عن حملة القصف بالقنابل الحارقة، وهي ترِد في مذكراته وفي لقاءات أجراها عقب تقاعده. في كل مرة روى القصة فيها، فإن اللغة- العبارات وترتيب التفاصيل- كانت هي نفسها، وكأنها كانت جزءًا من مخزون مسرحياته، وشملت جنرالًا زميلًا يدعى جوزف ستيلوِل.

كان ستيلول رئيس العمليات الأميركية في مسرح عمليات الصين-بورما-الهند. كان أكبر من لوماي بجيل، ومثّل الجيش التقليدي القادم من ويست بوينت. كان لقبه جو الخَلّ، وكان داهية ومتصلب الرأي. كان على مكتبه قطعة معدنية نُقش عليها بلاتينية زائفة -*إليجيتيمي نون*

كاربونُندُم. "لا تدعِ السفلة يسحقوك". أراد لوماي بالطبع مقابلة ستيلول، لذا اتصل به مجاملةً في أحد الأيام.

وفق رواية لوماي للقصة:

ذهبت إلى نيودلهي للاتصال به، وكان في مكان ما في الغابة. ما كنت سأبحث عنه في الغابة، فاكتفيت بأن تركت له بطاقتي، والتقيت رئيس الأركان وعدت إلى البيت.

بداية للقصة شبيهة للغاية بلوماي: القليل من العدائية. ما كنت سأبحث عنه في الغابة، أعاد لوماي المحاولة، وبعد فترة قصيرة من ذلك، التقى ستيلول في قاعدة انطلاق طائرات بي-29 في الصين، في تشينغدو. أراد لوماي أن يعرض على ستيلول ما كانت قيادة القاذفات العشرون تعدّ له.

قَطَرْتُه معي، وأطلقنا المهمة ثم تناولنا العشاء، وبقيت مستيقظًا طيلة الليل أتحدث إليه، محاولًا أن أشرح له ما الذي يعنيه القصف الإستراتيجي، وما كنا نحاول فعله، وكيف كنا نفعله، وهكذا... لم أستطع إحراز تقدّم كبير بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

بعبارة أخرى، لم يستطع أن يجعل نفسه مفهومًا.

ها هما، جنرالان بارزان، يتناولان العشاء والمشروبات وسط الصين. ويحاول لوماي أن يشرح لزملائه ما يفعله، وما يريد أن يفعله، وما يعتقد أن بإمكانه إنجازه بواسطة هذه الطائرة الجديدة المدهشة المسماة بي-29. كان يحاول إيصال فكرة أنه لم يكن على القوة الجوية

أن تُستخدم تحديدًا لدعم القوات البرية؛ كانت لديك خيارات أخرى. بإمكان القوة الجوية تجاوز خطوط المعركة الأمامية والقصف خلف خطوط العدو؛ بإمكانها تدمير المصانع، ومحطات الطاقة، ومدن كاملة إذا أردت ذلك.

هل تحدث عن النابالم؟ لا بد أنه تحدّث كان العمل على نُسخ المباني اليابانية المطابقة للأصل في صحراء يوتاه حقيقة معروفة، وكان لوماي قد استخدم بالفعل النابالم مرة واحدة على الأقل، خلال إحدى جولات القصف في اليابان. لذا لعله ذهب حتى أبعد من ذلك وقال لستيلول: *كما تعلم، بإمكاننا إحراق البلد برمته وتسويته بالأرض.*

لم يكن لدى ستيلول - أحد أكثر العقول العسكرية دهاء وخبرة وشيبًا خلال الحرب العالمية الثانية- أدنى فكرة عما كان لوماي يتحدث عنه، وما الذي عناه هذا؟ ستشن حربًا كاملة من السماء؟

مرّ عام، واستسلمت اليابان، والتقى الرجلان مجددًا.

كانت المرة التالية التي رأيته فيها عندما ذهبنا إلى *الميسوري* في يوكوهاما. كان حاضرًا خلال إعلان الاستسلام. وعندما دخلنا يوكوهاما- أعتقد أن يوكوهاما كانت مدينة يقطنها أربعة ملايين ونصف المليون من السكان- لم أرَ مئة ياباني في يوكوهاما، أنا واثق من وجود عدد أكبر من ذلك منهم في الأرجاء، غير أنهم تخفّوا عن الأنظار.

ضرب لوماي يوكوهاما في أيار عام 1945، عقب شهرين من ضربه طوكيو. ألقت أكثر من 450 طائرة بي-29 2750 طنًا من النابالم، وبذلك

حولت نصف المدينة إلى رماد، وقتلت عشرات الآلاف. بعد يومين من لقائهما خلال يوم الاستسلام في يوكوهاما، تقابل لوماي وستيلول مجددًا في غوام. وفق ما تذكّره لوماي لاحقًا:

> أتى ستيلول لرؤيتي، وقال: "لوماي، توقفت لإخبارك أنني أدركت أخيرًا ما كنت تتحدث عنه... ولم أدركه حتى رأيت يوكوهاما".

لماذا لم يفهم ستيلول، خلال المحادثة الأولى في الصين، ما الذي كان لوماي يريد فعله؟ من المؤكد أن ستيلول لم يكن جبانًا، عندما تمشى حول أنقاض يوكوهاما كان مسرورًا. إليك ما كتبه في يومياته: "يا له من شعور أن تتأمّل أولئك السفلة المتعجرفين، والقبيحين بوجوههم البدينة، وأسنانهم العلوية البارزة، وسيقانهم المقوّسة، وأن تدرك أين وضعهم هذا. كان العديد من الجنود المسرّحين حديثًا في الأرجاء.

يلقي معظم الشرطة التحية، الناس عمومًا غير مبالين فحسب. ابتهجنا بالدمار وعدنا تمام الساعة الثالثة بشعور جيد".

هذا هو نوع الرجال الذي كان منه ستيلول. مع ذلك كان عليه أن يرى بأمّ عينيه ما *فعلته* القوة الجوية بيوكوهاما لفهم لوماي، لأن ما كان لوماي يتحدث عنه خلال محادثتهما في الصين كان خارج مخيلة الجنرال العجوز. كان قد دُرّس في ويست بوينت أن الجنود يقاتلون الجنود والجيوش تقاتل الجيوش. كان المحارب من جيل ستيلول بطيئًا في فهم أنه يمكن لضابط في الجيش الأميركي *فعل* هذا إذا أراد: بإمكانك تدمير مدن كاملة، ثم المزيد منها، واحدة إثر الأخرى.

كان رد فعل وزير حرب روزفلت، هنري ستيمسون، مماثلًا. كان ستيمسون مسؤولًا، أكثر من أي شخص، عن الآلة الحربية الاستثنائية التي بنتها الولايات المتحدة في الأعوام المبكرة من الحرب العالمية الأولى. كان أسطورة، أكبر رجال الدولة الكبار سنًّا، أرستقراطيًا، الشخص المعتبر في الغرفة خلال أي مناقشة للإستراتيجية أو التكتيكات العسكرية. غير أنه بدا غافلًا على نحو غريب لما كانت قواته الجوية تعدّ له.

ذات مرة، أخبر الجنرال هاب آرنولد، رئيسُ قوات الجيش الجوية، ستيمسون بوجه خال من التعابير أن لوماي كان يحاول تقليص الخسائر المدنية اليابانية ما أمكن، وصدقه ستيمسون. لم يعلن ستيمسون عن صدمته لما كان يحدث في اليابان إلا عندما نفذ لوماي قصفًا حارقًا ثانيًا على طوكيو نهاية أيار. كان هذا بعد شهرين ونصف الشهر من تحويل لوماي ستة عشر ميلًا مربعًا من طوكيو إلى رماد خلال الجولة الأولى.

لطالما جاهد المؤرخون لفهم غفلة ستيمسون.[1] يكتب المؤرخ العسكري رونالد شافر في كتابه *أجنحة الحساب*:

---

(١) ترك ستيمسون خلفه إرثًا معقدًا. في كتاباته الخاصة، عبّر عن قلقه من الخسارة المحتملة لحياة المدنيين وعارض تدمير المراكز الثقافية مثل كيوتو. إلا أنه، ووفق ما أشار إليه المؤرخون، يبدو أن توهمات ستيمسون من حملة القصف الخارق لا تُغتفر، إذا لم تكن غير قابلة للتصديق بالكامل. في الجبهة الشرقية، بعد تقرير لوكالة أسوشييتد برس ضارّ على نحو خاص والذي استشهد بخطط القادة الأميركيين لتنفيذ "قصف إرهابي متعمَّد لكبرى المراكز السكانية الألمانية كوسيلة لا رحمة فيها لاستعجال هلاك هتلر"، سعى ستيمسون إلى إدارة الرواية في صالحه: "لم تكن سياستنا أبدًا إلحاق قصف إرهابي بالسكان المدنيين".

أيعقل أن ما علمه وزير الحرب عن قصف طوكيو في العاشر من آذار أقل مما علمه أحد قراء *ذا نيويورك تايمز*؟ لماذا قبِل تصريح آرنولد حول محاولة الحدّ من تأثير القصف على المدنيين اليابانيين؟ أكان يومئ إلى عدم رغبته في الواقع أن يعف بما كانت قوات الجيش الجوية تفعله بمدنيي العدو؟

أتساءل عما إذا لم يكن تفسير عمي ستيمسون هو نفسه تفسير عمي ستيلول؛ ما كان لوماي يفعله ذلك الصيف كان ببساطة خارج مخيلته.

عندما نتحدث عن نهاية الحرب ضد اليابان، نميل إلى الحديث عن القنبلتين الذريتين اللتين ألقيتا على ناغازاكي وهيروشيما في آب عام 1945. كان استخدام الأسلحة النووية ضد اليابان موضوع تخطيط واعتبار جديين، لكنه كان موضوع جدال وعذاب لانهائيين في المستويات الأعلى. *أينبغي لنا استخدام القنبلة؟ إذا كان الأمر كذلك، أين؟ مرة؟ مرتين؟ هل أوجدنا سابقة خطيرة؟* تلقّى الرئيس ترومان، الذي تسلّم المنصب عقب وفاة روزفلت في ربيع عام 1945، المشورة من لجنة من الخبراء العسكريين والعلميين، آخذين في الاعتبار منافع ومساوئ القرار مقدّمًا. فقد ترومان القدرة على النوم، وجال على ردهات البيت الأبيض.[1]

---

(1) في يومياته في الخامس والعشرين من تموز، عام 1945، كتب ترومان: "لقد اكتشفنا القنبلة الأكثر ترويعًا في تاريخ العالم... سيُستخدم هذا السلاح ضد اليابان في وقت ما بين الآن والعاشر من آب. أخبرت وزير الحرب، السيد ستيمسون، أن يستخدمه بحيث يستهدف الأهداف العسكرية والجنود والبحارة فحسب وليس النساء والأطفال. حتى لو كان اليابانيون متوحشين، ومتحجري القلوب، وعديمي الرحمة ومتعصبين، فإنه ليس بإمكاننا، بوصفنا الدولة القائدة في العالم في الرفاه العام، إلقاء تلك القنبلة المريعة على العاصمة القديمة أو الجديدة".

إلا أن حملة قصف لوماي الحارقة تكشّفت دون أي من تلك المداولات. لم توجد أي خطة رسمية خلف هياجه الصيفي، أو توجيه دقيق من قادته، لدرجة أنه عندما تصوّر مخططو الحرب في واشنطن حملة قصف حارق فإنهم فكروا بضرب ست مدن يابانية، لا بضرب سبع وستين مدينة. بحلول تموز، كان لوماي يقصف مدنًا يابانية ثانوية ليس فيها أي صناعات مهمة إستراتيجيًا على الإطلاق؛ لقد قصف أناسًا يقيمون في صناديق من المواد القابلة للاشتعال فحسب. يدعو المؤرخ ويليام رالف حملة قصف لوماي الصيفية "دمارًا مرتجَلًا":

> الشيء الصادم في حملة مهلِكة مثل هذه... أنها نبعت من قائد ميداني، فكيف أُتيح لها أن تولد بهذه الطريقة؟ وكيف أمكن تسليم قرار مثقَل بمثل هذه العواقب الأخلاقية والسياسية إلى قائد ميداني شاب؟ أين كانت المسؤولية الشخصية والانخراط الفاعل من المستويات العليا؟

ولكن في المستويات العليا، لم يكن أشخاص مثل ستيمسون وستيلول قادرين على إيجاد طريقة لفهم ما كان لوماي يفعله أو راغبين في إيجاد هذه الطريقة. لم يعانوا فقط من حجم الدمار الذي خطط له لوماي وألحقه باليابان ذلك الصيف، إنما من وقاحته أيضًا. وقع الرجل في الماريانا، بحب النابالم، وأتى بحل مرتجَل للالتفاف على الطقس والرياح، ثم واصل تنفيذ مخططاته فحسب.

.3

لم يكن الغزو البري لليابان - الذي فزع منه كلا الجيشين الياباني والأميركي- واجب الحدوث أبدًا. في آب عام 1945، استسلمت اليابان، وذلك كان تحديدًا النتيجة التي أمل بها لوماي تلك الليلة من آذار، عقب إرساله أول أساطيله الحربية من طائرات بي-29 إلى طوكيو. كان قد جلس في سيارته برفقة كلير مكيلواي وقال: "إذا نجحت هذه الغارة بالطريقة التي أعتقد أنها ستنجح فيها، فيمكننا تقصير مدة هذه الحرب". تشن حربًا بأكبر شراسة ووحشية ممكنة، وفي المقابل، تنتصر في أقصر مدة.

أخبرني المؤرخ كونراد كرين:

قدّمتُ في الواقع عرضًا توضيحيًا في طوكيو عن قصف طوكيو بالقنابل الحارقة أمام جمهور ياباني، وفي نهاية العرض، وقف أحد المؤرخين اليابانيين الكبار وقال: "في النهاية، علينا شكركم أيها الأميركيون على قصفنا بالقنابل الحارقة والقنابل الذرية".

صدمني ذلك الكلام قبل أن يشرح: "كنا سنستلم في نهاية المطاف بطبيعة الحال، غير أن تأثير حملة القصف بالقنابل الحارقة الهائلة والقنبلتين الذريتين جعلنا نستسلم في آب".

بعبارة أخرى، اعتقد هذا المؤرخ الياباني أن اليابانيين ما كانوا سيستسلمون لولا القصف بالقنابل الحارقة والقصف بالقنبلتين الذريتين.

وإذا لم يستسلموا، فإن السوفييت سيغزون اليابان، ثم سيغزوها الأميركيون، وستقسم اليابان تمامًا مثلما قُسمت ألمانيا وشبه الجزيرة الكورية في نهاية المطاف.

أضاف كرين:

الشيء الآخر الذي كان سيحدث هو أن الملايين من اليابانيين كانوا سيموتون جوعًا في الشتاء. إذ إن ما حدث هو أن الاستسلام في آب منح ماك آرثر الوقت للقدوم بقواته المحتلة وإطعام اليابان. في الواقع... أعني أن ذلك أحد نجاحات ماك آرثر العظيمة: إحضار كمية هائلة من الطعام لتجنب المجاعة في شتاء عام 1945.

إنه يشير إلى الجنرال دوغلاس ماك آرثر، القائد الأعلى لقوات الحلفاء في المحيط الهادئ، الذي قبِل استسلام الإمبراطور الياباني.

أعادت مقاربة كورتس لوماي الجميع - الأميركيين واليابانيين - إلى السلام والازدهار أسرع ما أمكن. عام 1964، منحت الحكومة اليابانية لوماي الجائزة الأعلى، التي بإمكان دولتهم منحها لأجنبي، وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى للوشاح الأكبر للشمس المشرقة، تقديرًا لمساعدته في إعادة بناء القوة الجوية اليابانية. قال رئيس وزراء اليابان في ذلك الوقت: "ما مضى قد مضى"، صارفًا النظر عن اعتراضات زملائه في البرلمان الياباني. "ينبغي أن يكون من الطبيعي أن نقلّد الجنرال وسامًا لإسهامه العظيم في إعادة بناء وحداتنا الجوية للدفاع عن النفس".

في وقت ما خلال تقاعده، رأى هيوود هانسل ذلك الإعلان في الصحيفة، وأنا واثق أنه تساءل عن سبب عدم منحه جائزة أيضًا للمجهود الذي بذله لخوض حرب بأقل قدر ممكن من الخسائر المدنية. غير أننا لا نمنح الجوائز للأشخاص الذين يفشلون في تأدية مهامهم، بغض النظر عن نبل نواياهم، أليس كذلك؟ تذهب الغنائم إلى المنتصر.

لكن إذا ربح كورتس لوماي الحرب والجوائز، لماذا تحرك ذكرى هيوود هانسل مشاعرنا؟

هيوود هانسل الرومانسي، المثالي، الذي أحب دون كيشوت، الذي شعر بتماثل مع الفارس الشجاع المتوهم الذي بارز بائسًا طواحين الهواء. بإمكاننا الإعجاب بكورتس لوماي، واحترامه، ومحاولة فهم خياراته، غير أن هانسل من نمنحه قلوبنا. لماذا؟ أعتقد لأنه يزودنا بنموذج لما يعنيه أن تكون *أخلاقيًا* في عالمنا الحديث. نعيش في عصر تظهر فيه أدوات وتقانات وابتكارات جديدة يوميًا. غير أن السبيل الوحيد لخدمة تلك التقانات الجديدة هدفًا أسمى هو *إصرار* عصبة مخلصة من المؤمنين على استخدامها لتحقيق ذلك الهدف. هذا ما حاولت مافيا قاذفات القنابل فعله، حتى عندما كانت خططهم الحذرة تتبدد في غيوم أوروبا ويرمي بها جانبًا فوق سماء اليابان. ثابروا، حتى في مواجهة سوء التوجيه المحتوم للتكنولوجيا، حتى عندما قدّم هجران حلمهم طريقًا أسرع نحو النصر، وحتى عندما عرض الشيطان عليهم العالم برمته إذا ما تنكّروا لإيمانهم. لا معنى للمبادئ دون المثابرة، إذ إن

حلمك قد يتحقق في أحد الأيام، وإذا لم يكن بإمكانك إبقاء ذلك الحلم حيًا ريثما يتحقق، فمن أنت إذًا؟

سألتُ المؤرخة العسكرية تامي بيدل، التي تدرّس في كلية الجيش الحربية، عما تخبر به طلابها عن ربيع وصيف عام 1945، فروت لي قصة شخصية. "كان لجدتي سيدي ديفِس ابنان شابان يقاتلان في الحرب العالمية الثانية. كان أحدهما في مسرح عمليات المحيط الهادئ لمدة طويلة، وكان الآخر يقاتل في مسرح العمليات الأوروبي، غير أنه لم يكن في رصيدهما ما يكفي من النقاط لمغادرة الحرب قبل حدوث الإنزال في كيوشو".

كان الإنزال في كيوشو هو الغزو المخطط له لليابان في تشرين الثاني عام 1945، وهو غزو يُتوقع أن يكلّف حياة أكثر من نصف مليون جندي أميركي، ناهيك عن العدد نفسه تقريبًا من اليابانيين. واصلت:

> في ذلك الإنزال لو أن الأميركيين لم يكونوا وحشيين وحشية مفرطة باستخدام البحرية والحصار، والحرب الجوية ضد المدن اليابانية، ثم أخيرًا بإلقاء القنبلتين الذريتين.[1]
>
> بالنسبة إليها، أنا واثقة من أنها كانت مستعدة للغاية لأن نكون وحشيين في تلك اللحظة، لأنها أرادت عودة ابنيها إلى

(1) اعتقد جورج سي. مارشال، الجنرال في الجيش، أن الإطالة غير الضرورية لمدة الحرب ستدمر المعنويات. جادل في أن الطريق الأسرع إلى النصر كان غزوًا بريًا وبحريًا لليابان. على النقيض من ذلك، اعتقد أدميرال الأسطول إرنست ج. كينغ، الذي قاد البحرية، أن الغزو البري يخاطر بعدد أكبر من اللازم من الحيوات. في نهاية المطاف، لم تتحقق هذه الخطط على نحو كامل أبدًا. استسلمت اليابان قبل توسيع الحصار البحري، ولم يبدأ الغزو البري، المسمّى عملية السقوط، أبدًا.

المنزل. يشعر الكثير من الناس بهذا الشعور في زمن الحرب. بعد الحرب، تنظر إلى الوضع الكامل، وتنظر إلى ما صُنع، وتنظر إلى الحيوات التي فُقدت، والدمار، وصور هيروشيما، وصور المدن التي قُصفت في ألمانيا، فتفكر: "إلهي العزيز، هل كان هناك سبيل آخر؟ هل خسرنا أرواحنا؟ هل دخلنا صفقة فاوستية لتحقيق الانتصار، وكلفنا الانتصار فيها الكثير أخلاقيًا؟"

وضع كورتس لوماي صور أضرار القصف على شواينفورت وريغنسبورغ في بهو منزله لأنه أراد تذكير نفسه يوميًا بعدد رجاله الذين فُقدوا خلال ما عدّه مهمة عقيمة. كان سيراودني شعور أفضل نحو كورتس لوماي لو أنه علّق أيضًا صور غارات القصف الحارق على طوكيو، ليذكر نفسه يوميًا بما فُقد خلال ما عدّه أنجح مهماته.[1]

---

(1) في نهاية الأمر، لعل التاريخ أفضل ما يتذكر كورتس لوماي بسبب تعليق أبداه في مذكراته، المنشورة قبل تقاعده تمامًا، عام 1965. يُقتبس عن لوماي قوله التالي عن فيتنام الشمالية: "سنقصفهم ونعود بهم إلى العصر الحجري". جذب هذا التعليق انتباهًا خاصًا خلال التغطية الإعلامية لترشحه لمنصب نائب الرئيس عن حزب ثالث مع مناصر الفصل العنصري جورج والاس، عام 1968. غير أن سيرة ذاتية للوماي ألّفها وارين كوزاك عام 2009 تُسائِل حقيقة هذا الاقتباس الشهير. يكتب كوزاك: "في سيرته الذاتية التي ألفها بنفسه بمساعدة الروائي مَكينلي كانتور، *المهمة مع لوماي*، قدّم لوماي اقتباساته، وقصصه وأفكاره لكانتور، الذي ساعد في صياغتها ضمن شكل مكتوب، وأُرسِلت مسودات الكتاب إلى لوماي لمصادقته عليها قبل نشره. يعبّر الكتاب للغاية عن صوت لوماي، وهو مُعَدّ إعدادًا جيدًا. يوجد اقتباس واحد في الصفحة 545 يتعلق بفيتنام والذي اختلقه كانتور: "سيتمثّل حلّي للمشكلة بإخبارهم صراحةً أن عليهم أن يضبطوا أنفسهم

وفق ما تقوله بيدل:

هذه أسئلة غير قابلة للحل حقًا. آمل ألا أضطر أبدًا إلى مواجهة الظروف التي واجهتها جدتي بمشاركة ابنيها في الحرب وتمنّي الأشياء التي لعلها قد تمنّتها؛ هجمات مدمرة على عدو ما، ستنهي الحرب أخيرًا بحيث يتمكن ابناها من العودة إلى المنزل. آمل ألا أضطر إلى مواجهة هذا في حياتي. أنا أتردد في الحكم على الأشخاص الذين يشعرون هذا الشعور.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ويوقفوا اعتداءهم، أو أننا سنقصفهم ونعود بهم إلى العصر الحجري. سنحشرهم ونعود بهم إلى العصر الحجري ليس باستخدام القوة الجوية أو القوة البحرية، إنما باستخدام القوات البرية". حتى يومنا هذا، عندما يُذكر اسم لوماي فإن معظم الناس يتذكرون ذلك الاقتباس، ويسألون: أليس هو الرجل الذي أراد قصف فيتنام والعودة بها إلى العصر الحجري؟ بعد ذلك بوقت طويل، اعترف لوماي لأصدقائه بأنه لم يقل تلك الكلمات أبدًا. أخبر أصدقاءه وعائلته: كنت قد مللت للغاية من تفحّص النُسخ لدرجة أنني سمحت لتلك الكلمات ب بأن تمر. لأنه وضع اسمه على الكتاب فإنه كان مسؤولًا، غير أن الاقتباس لازمه على الأرجح لأنه بدا كشيء يمكن له أن يقوله".

خلاصة

"على نحو مفاجئ، سيختفي المنزل الجوي. بووف".

عندما كنت أؤلّف *مافيا قاذفات القنابل*، أمضيت سهرة في المنزل الجوي في فورت ماير، في الضفة المقابلة لواشنطن العاصمة من نهر البوتوماك. إنه مقر الإقامة الرسمي لرئيس أركان القوة الجوية. وقد تحدثت عن هذه الليلة في بداية هذا الكتاب. دعاني رئيس أركان القوة الجوية في ذلك الوقت، الجنرال ديفيد غولدفاين، للجلوس والتحدث إلى مجموعة من زملائه من جنرالات القوة الجوية.

يقع المنزل الجوي في شارع تصطف على جانبيه منازل فيكتورية أنيقة. يقطن رئيس الأركان المشتركة ذلك الشارع، وكذلك نائب رئيس الأركان المشتركة، الذي انضم إلينا أيضًا، في المنزل المجاور. يقع في الجهة المقابلة من الشارع الحقل حيث قدّم الأخوان رايت عرضهما الجوي الأول أمام ذوي المناصب العليا في الجيش. داخل المنزل، على أحد جدران غرفة الطعام، رتبت صور وفق تسلسل زمني لجميع من

شغل المنصب الأعلى في القوة الجوية منذ أُنشئت كجهاز مستقل عام 1947. وقفت أمام هذه الصور لفترة طويلة، ونظرت إلى كل الأسماء والوجوه التي كنت أقرأ وأسمع عنها. في الصف العلوي، الخامس من اليسار، كان كورتس لوماي، ينظر متجهّمًا إلى الكاميرا.[1]

كانت ليلة صيفية حارة. جلس خمسة منا في الخارج على كراسٍ قابلة للطيّ. هدرت الطائرات فوق رؤوسنا وهي تُقلع من مطار ريغان الوطني المجاور. ترددت وحدة تكييف هواء كبيرة، طنّ البعوض حولنا بسعادة، وتحدث الجنرالات عن الحروب التي خاضوها: كوسوفو، عاصفة الصحراء، أفغانستان. كان لبعضهم آباء خدموا في فيتنام، وأجداد خدموا في الحرب العالمية الثانية، لذا كان لديهم فهم شخصي، لما كانت عليه الأمور وكيف تغيّرت.

روى أحد الجنرالات قصة عن الوقت الذي أمضاه غرب أفغانستان. كان قد تلقّى اتصالًا من مجموعة من الجنود، كانوا قد هوجموا.

> لدي رجل على الأرض يتحدث إليّ عبر الراديو، وبإمكانك سماع الرشاشات الآلية من عيار خمسين ملم تطلق النيران حوله. قال: "أنا مطوق من ثلاثة جوانب. أتلقّى نيرانًا كثيفة. لديّ رجال مصابون في مجمّعي، سيتخطون قدراتنا".

---

(1) تسلّم لوماي منصب رئيس قيادة الجو الإستراتيجية عام 1948. وفق ما يشير إليه المؤرخ ريتشارد كون: "صاغ الجنرال لوماي، أكثر من أي شخصية أخرى، قيادة الجو الإستراتيجية خلال أعوامها التأسيسية تحت قيادته (1948-1957)". عام 1961، صعد لوماي أعلى من ذلك حتى عندما عيّنه الرئيس كينيدي رئيسًا لأركان القوة الجوية.

احتاجت القوات على الأرض غطاءً جويًا. إلا أنه إذا ما أخطأت القنبلة هدفها بعشرة ياردات فقط فإنها ستدمر القوات الأميركية. واصل: "سقطت ثلاث قنابل مختلفة ضمن مسافة عشرين مترًا من هذا الرجل، مدمرةً ثلاثة مبانٍ مختلفة، وقد نجا الرجل وفريقه. بإمكان القنابل الموجَّهة بدقة أن تكون دقيقة إلى هذه الدرجة".

أشار غولدفاين إلى الصفوف الطويلة من المنازل على جانبي المنزل الجوي، وقال إن والده، الذي قاد نفاثة مقاتلة من طراز إف-4 في فيتنام، استطاع الإلقاء بست قنابل على ذلك الشارع وكان واثقًا بشكل منطقي أن واحدة أو اثنتين على الأقل ستصيب المنزل الجوي. في المقابل، قال غولدفاين: "يدخل ابنه عملية عاصفة الصحراء، وبإمكاني إخبارك... بثقة 89 في المئة أن قنابلي ستضرب ذلك المبنى".

غير أنه وبعد أعوام قليلة من الغزو الأميركي للكويت، قاد الجنرال غولدفاين سربًا إلى كوسوفو. وقال إنه بحلول ذلك الوقت كان واثقًا من قدرته ليس فقط على تدمير المنزل الجوي إنما جناح محدد من المنزل الجوي.

> حسنًا، تحسنت الأمور منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا، ويُتوقع اليوم أن يكون بإمكان طيار شاب التصويب تمامًا على ذروة قاعدة المدخنة. وإذا لم يصبها، فإن ذلك يعتبر إخفاقًا. ذلك المستوى من الدقة. وسبب استخدامي ذلك مثالًا هو أن الهدف هو شخص في تلك الغرفة، ولا أريد

تدمير الطوابق أسفله. إننا نفعل ذلك دائمًا، ذلك هو مستوى الدقة الذي حققناه.

في تلك السهرة، لم يزعم أي من الجنرالات أن ثورة القصف الدقيق هذه جعلت الحرب مثالية، أو أوجدت حلًا للحرب. فالحرب لديها مجموعتها الخاصة من العيوب. إذا كان هدفك رجلًا واحدًا داخل غرفة، سيتوجب أن تكون بحوزتك معلومات استخباراتية جيدة بما يكفي لإخبارك بأن هذا هو الرجل الذي تريده، وعندما تكون بحوزتك طريقة لاستهداف رجل داخل غرفة، سيصبح من السهل للغاية اتخاذ قرار الإغارة، أليس كذلك؟ كانوا جميعًا قلقين من تلك الحقيقة: كلما زادت نظافة قاذفة القنابل ودقتها، زاد إغواء استخدام تلك القاذفة، حتى عندما لا ينبغي ذلك.

مع ذلك، فكِّر في ما يلي. في العام 1945، إذا أراد شخص ما تدمير ذلك المنزل الذي أشار إليه غولدفاين فإنه قد يأتي بأسطول من القاذفات، وبضعة آلاف الأطنان من النابالم، ويسوّي كل شيء بالأرض ويحرق أميالًا؛ واشنطن العاصمة في الضفة المقابلة من النهر، وأرلينغتون، فيرجينيا على الجانب الآخر من القاعدة.

هناك مجموعة من المشاكل الأخلاقية التي يمكن حلها فقط من خلال الضمير والإرادة. تلك هي أصعب أنواع المشاكل، إلا أن هناك مشاكل أخرى يمكن حلها بتطبيق البراعة البشرية. تمثلت عبقرية مافيا قاذفات القنابل بفهمهم ذلك التمييز وقولهم: *ليس علينا ذبح الأبرياء، وحرقهم عندما لا يمكن تمييزهم، ونحن نسعى لتحقيق أهدافنا*

العسكرية. بإمكاننا فعل ما هو أفضل من ذلك. وكانوا على حق[1].

بدأ الجنرالات الحديث عن قاذفة بي-2 - القاذفة المتسللة - مكافئ قاذفة بي-29 الخاصة بكورتس لوماي لدى القوات الجوية المعاصرة. غير أنها تملك هذه المرة القدرة على القدوم من العدم، غير قابلة للكشف.

قال أحد الجنرالات: "إذًا، في فورت ماير، حيث نجلس اليوم، القضية الجوهرية أن بإمكانك انتقاء ثمانين هدفًا وتدميرها من ارتفاع أربعين ألف قدم من دون رؤيتها، دون أن تظهر القاذفة على الرادار". سألت عما إذا كان بإمكاننا سماع القاذفة تقترب. فقيل لي: "ليس بإمكانك ذلك. إنها مرتفعة للغاية. لا تسمعها". سنجلس جميعًا في كراسينا القابلة للطيّ في الباحة الخلفية، وسننظر إلى الأعلى، وفجأة سيختفي، المنزل الجوي- أو ربما جزء محدد منه. بووف.

القصف الدقيق على علو مرتفع.

انتصر كورتس لوماي في المعركة، وانتصر هيوود هانسل في الحرب.

---

(1) في الحادي والعشرين من كانون الثاني، عام 2009، في اليوم التالي لتنصيبه، وقّع الرئيس أوباما بروتوكولًا للأمم المتحدة يحظر استخدام الأسلحة الحارقة. حتى تاريخ هذه الكتابة، وقّعت 115 دولة معاهدة نزع السلاح، التي قُدّمت للمرة الأولى عام 1981.

ملاحظات

Quotations from the following sources were taken from author interviews:

Tami Biddle	John M. Lewis
Conrad Crane	Stephen L. McFarland
David Goldfein	Richard Muller
Robert Hershberg	Robert Neer
Ken Israel	Robert Pape
Richard Kohn	

مقدمة: "هذا لا يجدي نفعًا. أنت مطرود".

"**With 2,200**... **have** to do" and "**B-29s on Saipan**... **its** first target": William Keighley, dir., *Target Tokyo* (Culver City, CA: Army Air Forces First Motion Picture Unit, 1945), available at https://www.pbs.org/wgbh/americanexperience/features/pacific-target-tokyo/.

"**I wonder if**... **period** of years": Sir Arthur Harris, *Bomber Offensive* (London: Collins, 1947; Barnsley, UK: Pen & Sword, 2005), 72–73. Citations refer to the Pen & Sword edition.

"**I thought the earth**... **crushed**" and "**Old pilots**... **away-y-y-y**": Charles Griffith, *The Quest: Haywood Hansell and American Strategic Bombing in World War II*(Montgomery, AL: Air University Press, 1999), 189, 196.

"**General**... **picture is taken**" and "**Where**... **stand**": St. Clair McKelway, "A Reporter with the B-29s: III—The Cigar, the Three

Wings, and the Low-Level Attacks," *The New Yorker,* June 23, 1945, 36.

"**Mr. Norden**... **eighteen-hour** day": Albert L. Pardini, *The Legendary Norden Bombsight* (Atglen, PA: Schiffer Publishing, 1999), 51.

"**read Dickens avidly**... **the** simple life": Stephen L. McFarland, *America's Pursuit of Precision Bombing, 1910–1945* (Washington, DC: Smithsonian Institution Press, 1995), 52.

"**In the hands**... **a** killer": Robert Jackson, *Britain's Greatest Aircraft* (Barnsley, UK: Pen & Sword, 2007), 2.

"**One fellow**... **getting** into": Donald Wilson, interview by Hugh Ahmann for the United States Air Force Oral History Program, Carmel, CA, December 1975, Donald Wilson Papers, George C. Marshall Foundation, Lexington, VA.

"**Then out of nowhere**... **'I** had a dream'" and "**I had a dream**... **sue** for peace": Donald Wilson, *Wooing Peponi: My Odyssey Through Many Years* (Monterey, CA: Angel Press, 1973), 237.

"**One of them**... **your** Norden bombsight" and "**Now look at**... **same** direction": *Principles of Operation of the Norden Bombsight,* US Army Air Forces training movie 23251, available at https://www.youtube.com/watch?app=desktop&feature=share&v=143vi97a4tY.

"**I solemnly swear**... **life** itself": *Bombs Away,* yearbook of the bombardier training school, class of 1944–46, Victorville Army Air Field, Victorville, CA, 16, available at http://www.militarymuseum.org/Victorville%20AAF%2044-6.pdf.

الفصل الثاني: "نحقق التقدم من دون أن تعيقنا الأعراف".

For information about the feminist movement in the 1970s, see Jill Lepore, *These Truths: A History of the United States* (New York: W. W. Norton, 2018), 652.

"**can of its own**... **the** future" and "**If success**... **other** combat arms": General John J. Pershing to General Charles T. Menoher, January 12, 1920, quoted in *Report of the Director of Air Service to the Secretary of War* (Washington, DC: Government Printing Office, 1920), 11.

"**We were highly**... **rest** of the Navy" and "**Nobody seemed**... **we** were giving": Harold George, interview for the United States Air Force

Oral History Program, October 23, 1970, Clark Special Collections Branch, McDermott Library, United States Air Force Academy, Colorado Springs, CO.

"**I feel quite certain**... **us** to do it" and "**Now, when we began**... **industrial** area": Donald Wilson, interview by Hugh Ahmann for the United States Air Force Oral History Program, December 1975, Donald Wilson Papers, George C. Marshall Foundation, Lexington, VA.

"**This is a quiet place**... **them** up": Carl H. Builder, *The Masks of War: American Military Styles in Strategy and Analysis* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1989), 34.

"**I came home**... **tetrahedrons** together" and "**You get into technology**... **major** problem": Walter Netsch, interview by Betty J. Blum for the Chicago Architects Oral History Project, May–June 1995, Ernest R. Graham Study Center for Architectural Drawings, Art Institute of Chicago, 140, available at https://digital-libraries.artic.edu/digital/collection/caohp/id/18929.

"**We see then**... **outside** power!": Phil Haun, ed., *Lectures of the Air Corps Tactical School and American Strategic Bombing in World War II* (Lexington, KY: University Press of Kentucky, 2019), Google Books.

الفصل الثالث: "كان يفتقر إلى رابطة التعاطف الإنساني".

Ira Eaker's quotations in this chapter, unless otherwise indicated, are from interviews with Generals Ira Eaker, Curtis LeMay, James Hodges, James Doolittle, Barney Giles, and Edward Timberlake, recorded 1964, Air Force Historical Research Agency, Montgomery, AL, at http://airforcehistoryindex.org/data/001/019/301.xml.

"**London raises**... **every** morning": Humphrey Jennings and Harry Watt, dirs., *London Can Take It!* (London: GPO Film Unit, Ministry of Information, 1940), available at https://www.youtube.com/watch?v=bLgfSDtHFt8.

"**We used to go**... **the** glass at the same time": Elsie Elizabeth Foreman oral history, December 1999, Imperial War Museums, London, available at https://www.iwm.org.uk/collections/item/object/80018439.

"**No. I never thought... will** be England again": Sylvia Joan Clark oral history, June 2000, Imperial War Museums, London, available at https://www.iwm.org.uk/collections/item/object/80019086.

"**I asked Harris... from** the British": James Parton, *Air Force Spoken Here: General Ira Eaker and the Command of the Air* (Montgomery, AL: Air University Press, 2000), 152–53.

Material about Frederick Lindemann, his friendship with Churchill, and C. P. Snow's lectures was featured in a 2017 episode of the *Revisionist History* podcast, "The Prime Minister and the Prof" (http://revisionisthistory.com/episodes/15-the-prime-minister-and-the-prof). Quotations from C. P. Snow are from "Science and Government" (Godkin Lecture Series at Harvard University, November 30, 1960), WGBH Archives. For information about Churchill and his spending on alcohol, see David Lough's *No More Champagne: Churchill and His Money* (New York: Picador, 2015), 240.

For more information on the concept of transactive memory, see Daniel M. Wegner, Ralph Erber, and Paula Raymond, "Transactive Memory in Close Relationships," *Journal of Personality and Social Psychology* 61, no. 6 (1991): 923–29, available at http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.466.8153&rep=rep1&type=pdf.

"**He would not shrink... professional** opponents": Frederick Winston Furneaux Smith, Earl of Birkenhead, *The Prof in Two Worlds: The Official Life of Professor F. A. Lindemann, Viscount Cherwell* (London: Collins, 1961), 116.

"**He was indeed... relationship** with him" and "**I define... to** my friends": Roy Harrod, *The Prof: A Personal Memoir of Lord Cherwell* (London: Macmillan, 1959), 72, 73.

"**The Nazis entered... reap** the whirlwind": *Defence: World War II; Air Marshal Harris on Bombing Raids,* Reuters, British Paramount newsreel, 1942, available at https://youtu.be/fdoUZtCbsW8?t=32.

Information about the impact of the bombing on Cologne is from Max G. Tretheway, "1,046 Bombers but Cologne Lived," *New York Times,* June 2, 1992, available at

https://www.nytimes.com/1992/06/02/opinion/IHT-1046-bombers-but-cologne-lived.html.

"**Sir, you are**... **kill** people: Germans": Henry Probert, *Bomber Harris: His Life and Times; The Biography of Marshal of the Royal Air Force Sir Arthur Harris, Wartime Chief of Bomber Command* (London: Greenhill Books, 2001), 154–55.

"**Well, of course people**... **army** advances" and "**We weren't aiming**... **draw** the line?": Arthur Harris, interview by Mark Andrews, British Forces Broadcasting Service, 1977, Imperial War Museums, London, available at https://www.iwm.org.uk/collections/item/object/80000925.

الفصل الرابع: "كان أكثر المؤمنين إيمانًا".

"**What in heaven's**... **your** son": Charles Griffith, *The Quest: Haywood Hansell and American Strategic Bombing in World War II* (Montgomery, AL: Air University Press, 1999), 34. Hansell singing "The Man on the Flying Trapeze" to his men is described on page 120, and the story about Hansell's meeting and courtship of his wife is told on pages 32–33.

"**We have not put**... **problems** to solve": Ralph H. Nutter, *With the Possum and the Eagle: The Memoir of a Navigator's War Over Germany and Japan* (Denton, TX: University of North Texas Press, 2005), 216.

"**In short**... **reality** in it": Miguel de Cervantes, *The Ingenious Gentleman Don Quixote of La Mancha, Volume 1,* trans. John Ormsby (London: Smith, Elder & Co., 1885), available at https://www.gutenberg.org/files/5921/5921-h/5921-h.htm.

"**Well, the selection**... **capacity** of Germany" and "**There was a rain**... **ball-bearing** industry": Haywood Hansell, talk at the United States Air Force Academy, April 19, 1967, Clark Special Collections Branch, McDermott Library, United States Air Force Academy, Colorado Springs, CO.

Quotations from the 1943 interview with Curtis LeMay are from *First U.S. Raid on Germany,* Reuters, British Pathé newsreel, 1943, available at https://www.youtube.com/watch?v=YgO6DX_9z0I.

"**The briefings lasted**... **only** comment": Russell E. Dougherty, interview by Alfred F. Hurley, Arlington, VA, May 24, 2004, University of North Texas Library, Denton, TX, available at https://digital.library.unt.edu/ark:/67531/metadc306813/.

The following quotations are from the Curtis LeMay oral history interview of March 1965, Air Force Historical Research Agency, Montgomery, AL, at http://airforcehistoryindex.org/data/001/000/342.xml: **"One of the things**... **not** very good"; "Not only **were**... **over** to the Continent"; "Something had to be **done**... **bombsight** level"; "All of the **people**... **shoot** you down"; "It required I **think**... **too** bad to me"; and **"I'll admit some uneasiness**... **but** it worked."

"**He was the finest**... **kind** of commander he was": Errol Morris, dir., *The Fog of War: Eleven Lessons from the Life of Robert S. McNamara* (New York: Sony Pictures Classics, 2003).

The following quotations are from Reminiscences of Curtis E. LeMay: Oral History, 1971 (Air Force Academy Project, Columbia Center for Oral History, Columbia University Libraries, New York, NY): **"The Air Force has been battling**... **Find** the battleship"; "Finally they **agreed**... **this** time, I'm sure"; and **"Everybody [was] diving**... **hurt** a little bit."

"**I remember watching**... **frag** like that": Curtis E. LeMay with MacKinlay Kantor, *Mission with LeMay: My Story*(New York: Doubleday, 1965), 150.

"**Dawn, August seventeenth**... **deep** in Germany" and **"By the time we**... **dispatched** to date": *The Air Force Story: Chapter XIV—Schweinfurt* and Regensburg, August 1943, produced by the Department of the Air Force, 1953, available at https://www.youtube.com/watch?v=dB8C-CagZeU.

الفصل الخامس: "كان الجنرال هانسل مذعوراً".

For more information about the Schweinfurt-Regensburg raid, see Thomas M. Coffey, *Decision Over Schweinfurt: The U.S. 8th Air Force Battle for Daylight Bombing* (New York: David McKay, 1977).

Curtis LeMay's quotations in this chapter, unless otherwise noted, are from Reminiscences of Curtis E. LeMay: Oral History, 1971 (Air

Force Academy Project, Columbia Center for Oral History, Columbia University Libraries, New York, NY).

"**A shining silver**... **100** percent loss": Lieutenant Colonel Beirne Lay Jr., "I Saw Regensburg Destroyed," *Saturday Evening Post,* November 6, 1943.

"**Göring's Luftwaffe**... **explosives** to deliver" and **"After getting eighty**... **home** fast": *The Air Force Story: Chapter XIV—Schweinfurt* and Regensburg, August 1943, produced by the Department of the Air Force, 1953, available at https://www.youtube.com/watch?v=dB8C-CagZeU.

The information about the condition of the Kugelfischer ball-bearing plant after the air attack is from Thomas M. Coffey, *Decision Over Schweinfurt: The U.S. 8th Air Force Battle for Daylight Bombing* (New York: David McKay, 1977), 81.

"**there is no evidence**... **war** production": *The United States Strategic Bombing Survey: Summary Report: European War,* September 30, 1945, 6, available at https://www.google.com/books/edition/The_United_States_Strategic_Bombing_Surv/EfEdkyz_D0AC?hl=en&gbpv=1.

"**There's only one**... **fly** 'em some more": Henry King, dir., *Twelve O'Clock High* (Los Angeles: 20th Century Fox, 1949).

"**We were assigned**... **for** that squadron": National WWII Museum, *George Roberts 306th Bomb Group,* available at https://www.youtube.com/watch?v=fRO1R7Op1ec.

"**We took off**... **aiming** point": Alan Harris, ed., "The 1943 Munster Bombing Raid in the Words of B-17 Pilot Keith E. Harris (1919–1980)," AlHarris.com, available at http://www.alharris.com/stories/munster.htm.

The anecdote about the navigator who faced court-martial is from Seth Paridon, "Mission to Munster," National WWII Museum, November 20, 2017, available at https://www.nationalww2museum.org/war/articles/mission-munster; and Ian Hawkins, *Munster: The Way It Was* (Robinson Typographics, 1984), 90.

"**General Hansell was aghast**": Ralph H. Nutter, *With the Possum and the Eagle: The Memoir of a Navigator's War Over Germany and Japan* (Denton, TX: University of North Texas Press, 2005), 137.

"**The idea**... **pervasive** thing," "**We were reasonably**... **personal** salvation," and "**One of the things**... **difficult** to do": Leon Festinger, interview by Dr. Christopher Evans for the Brain Science Briefing series, 1973, available at https://soundcloud.com/user-262473248/a-sixty-minute-interview-with-leon-festinger.

"**Suppose an individual**... **will** happen?" and "**When the**... **frozen** and expressionless": Leon Festinger, Henry W. Riecken, and Stanley W. Schachter, *When Prophecy Fails: A Social and Psychological Study of a Modern Group That Predicted the Destruction of the World* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1956), 3, 162–63.

"**I need not**... **points** of the war": Charles Griffith, *The Quest: Haywood Hansell and American Strategic Bombing in World War II* (Montgomery, AL: Air University Press, 1999), 132.

"**The attacks on the ball-bearing**... **our** last gasp": Albert Speer, *Inside the Third Reich: Memoirs by Albert Speer* (New York: Simon and Schuster, 1997), 286.

الفصل السادس: "سيكون ذلك انتحاراً، أيها الفتيان، انتحارا".

"**Our main job**... **terrible** sometimes": Melvin S. Dalton, interview by Chris Simon for the Veterans History Project, American Folklife Center, Library of Congress, June 11, 2003, available at https://memory.loc.gov/diglib/vhp/story/loc.natlib.afc2001001.33401/sr0001001.stream.

"**It was a lot of rocks**... **hot** everywhere": Vivian Slawinski, interview by Jerri Donohue, Veterans History Project, American Folklife Center, Library of Congress, n.d., available at https://memory.loc.gov/diglib/vhp/story/loc.natlib.afc2001001.46299/sr0001001.stream.

"**The beach here**... **had** in Hawaii": Letter from Curtis LeMay to Helen LeMay, February 5, 1945, in Benjamin Paul Hegi, *From Wright Field, Ohio, to Hokkaido, Japan: General Curtis E. LeMay's Letters to His Wife Helen,* 1941–1945 (Denton, TX: University of North Texas Press, 2015), 319.

Haywood Hansell's quotations and the cadet's quotation in this chapter, unless otherwise noted, are from Haywood Hansell, talk at the

United States Air Force Academy, April 19, 1967, Clark Special Collections Branch, McDermott Library, United States Air Force Academy, Colorado Springs, CO.

"**Stick together**... ***on the target***": Charles Griffith, *The Quest: Haywood Hansell and American Strategic Bombing in World War II* (Montgomery, AL: Air University Press, 1999), 175.

"**It was a grueling hell**... **their** flight path": Curtis LeMay and Bill Yenne, *Superfortress: The Boeing B-29 and American Air Power in World War II* (New York: McGraw-Hill, 1988), 72.

"**That was a crazy thing**... **insane**" and "**When they started flying**... **just** exhausted": David Braden, interview by Alfred F. Hurley, Dallas, TX, February 4, 2005, University of North Texas Library, Denton, TX, available at https://digital.library.unt.edu/ark:/67531/metadc306702/?q=david%20braden.

"**Listen to me, boys**... **suicide**": 40th Bomb Group Association, "An Ersatz Tokyo Rose Intro," available at http://40thbombgroup.org/sound2.html.

"**I'd rather have somebody**... **do** nothing": Reminiscences of Curtis E. LeMay: Oral History, 1971 (Air Force Academy Project, Columbia Center for Oral History, Columbia University Libraries, New York, NY).

Information about San Antonio One and other bombing missions can be found in *The Army Air Forces in World War II,* ed. Wesley Frank Craven and James Lea Cate, vol. 5, *The Pacific: Matterhorn to Nagasaki, June 1944 to August 1945* (Washington, DC: Office of Air Force History, 1983), 557, available at https://media.defense.gov/2010/Nov/05/2001329890/-1/-1/0/AFD-101105-012.pdf; and Harry A. Stewart, John E. Power, and United States Army Air Forces, "The Long Haul: The Story of the 497th Bomber Group (VH)" (1947). World War Regimental Histories. 106. http://digicom.bpl.lib.me.us/ww_reg_his/106.

"**Six hours later**... **waiting** for?": William Keighley, dir., *Target Tokyo* (Culver City, CA: Army Air Forces First Motion Picture Unit, 1945), available at https://www.pbs.org/wgbh/americanexperience/features/pacific-target-tokyo/.

Lieutenant Ed Hiatt's quotations are from Elaine Donnelly Pieper and John Groom, dirs., *The Jet Stream and Us* (Glasgow: BBC Scotland, 2008).

Information about weather balloons comes from "Weather Balloons," Birmingham, Alabama, Weather Forecast Office, National Weather Service, available at https://www.weather.gov/bmx/kidscorner_weatherballoons.

Information about the jet stream, Rossby waves, and Wiley Post comes from "The Carl-Gustaf Rossby Research Medal," American Meteorological Society, available at https://www.ametsoc.org/index.cfm/ams/about-ams/ams-awards-honors/awards/science-and-technology-medals/the-carl-gustaf-rossby-research-medal/; "Post, Wiley Hardeman," National Aviation Hall of Fame, available at https://www.nationalaviation.org/our-enshrinees/post-wiley-hardeman/; and Tom Skilling, "Ask Tom Why: Who Coined the Term Jet Stream and When?," *Chicago Tribune,* September 23, 2011.

"**And Jesus**... **tempted** by the devil" and **"And the devil**... **'it** will all be yours' ": Luke 4:1–2 and Luke 4:5–7, English Standard Version.

الفصل السابع: "فإن سجدتَ أمامي يكون لك كل هذا".

Hoyt Hottel's quotations are from Hoyt Hottel, interview by James J. Bohning, Cambridge, MA, November–December 1985, Center for Oral History, Science History Institute, available at https://oh.sciencehistory.org/oral-histories/hottel-hoyt-c.

William von Eggers Doering's quotations are from William von Eggers Doering, interview by James J. Bohning, Philadelphia, PA, and Cambridge, MA, November 1990 and May 1991, Center for Oral History, Science History Institute, available at https://oh.sciencehistory.org/oral-histories/doering-william-von-eggers.

Louis Fieser's quotations are from Louis F. Fieser, *The Scientific Method: A Personal Account of Unusual Projects in War and in Peace* (New York: Reinhold, 1964).

For more information about the birth of napalm, see Robert M. Neer, *Napalm: An American Biography* (Cambridge, MA: Belknap Press, 2015).

"**After some considerable... for** London": Charles L. McNichols and Clayton D. Carus, "One Way to Cripple Japan: The Inflammable Cities of Osaka Bay," *Harper's Magazine* 185, no. 1105 (June 1942): 33.

For more information about the tests at Dugway, see Standard Oil Development Company, "Design and Construction of Typical German and Japanese Test Structures at Dugway Proving Ground, Utah" (1943), available at https://drive.google.com/file/d/1eiqYwvJNSY-ZpUsNQozwBISyQv_z4Uzb/view.

For the NDRC's analysis of incendiary weapons, see National Defense Research Committee, *Summary Technical Report of Division 11,* vol. 3, *Fire Warfare: Incendiaries and Flame Throwers* (Washington, DC, 1946), available at https://www.japanairraids.org/?page_id=1095.

"**The main component... toward** the target": *M-69 Incendiary Bomb,* Department of Defense combat bulletin no. 48, PIN 20311, 1945, available at https://www.youtube.com/watch?v=uPteVZyF4U0.

"**Boys. It's tough... doing** well" and **"I don't agree... operation** will fail": Transcript of Interview with Major General J. B. Montgomery, Los Angeles, CA, August 8, 1974, Clark Special Collections Branch, McDermott Library, US Air Force Academy, Colorado Springs, CO.

"**an urgent requirement for planning purposes":** Charles Griffith, *The Quest: Haywood Hansell and American Strategic Bombing in World War II* (Montgomery, AL: Air University Press, 1999), 182.

"**Every important building...the next day":** William W. Ralph, "Improvised Destruction: Arnold, LeMay, and the Firebombing of Japan," *War in History* 13, no. 4 (2006): 517, doi:10.1177/0968344506069971.

الفصل الثامن: "كله رماد. كل ذلك وذلك وذلك".

Many of the primary sources cited in this chapter and elsewhere are available at Japan Air Raids (https://www.japanairraids.org/), a bilingual historical archive run by David Fedman, assistant professor of East Asian history at the University of California at Irvine, and Cary Karacas.

"**How many times**... **we'll** go" and "**Suddenly, in the air**... **piercing** the air": Curtis E. LeMay with MacKinlay Kantor, *Mission with LeMay: My Story* (New York: Doubleday, 1965), 13–14, 351.

"**And there was just a gasp**... **low-altitude** [flight profile]" and "**Frankly, when those**... **fire** that big": David Braden, interview by Alfred F. Hurley, Dallas, TX, February 4, 2005, University of North Texas Library, Denton, TX, available at https://digital.library.unt.edu/ark:/67531/metadc306702/?q=david%20braden.

"**I have been asked**... **personal** decision": Haywood Hansell, talk at the United States Air Force Academy, April 19, 1967, Clark Special Collections Branch, McDermott Library, United States Air Force Academy, Colorado Springs, CO.

Curtis LeMay's quotations in this chapter, unless otherwise noted, are from Reminiscences of Curtis E. LeMay: Oral History, 1971 (Air Force Academy Project, Columbia Center for Oral History, Columbia University Libraries, New York, NY).

"**Colonel LeMay**... **very** inaccurate": *First U.S. Raid on Germany,* Reuters, British Pathé newsreel, 1943, available at https://www.youtube.com/watch?v=YgO6DX_9z0I.

"**It worked out**... **but** it worked" and "**War is a mean**... **quick** as possible": Curtis LeMay oral history interview, March 1965, Air Force Historical Research Agency, Montgomery, AL.

"**Ralph, you're probably**... **much** better": Emily Newburger, "Call to Arms," *Harvard Law Today,* October 1, 2001, available at https://today.law.harvard.edu/feature/call-arms/.

St. Clair McKelway's quotations are from St. Clair McKelway, "A Reporter with the B-29s: III—The Cigar, the Three Wings, and the Low-Level Attacks," *The New Yorker,* June 23, 1945, 26–39.

"**We had a good mission**... **grocery** bill for a month": Letter from Curtis LeMay to Helen LeMay, March 12, 1945, in Benjamin Paul Hegi, *From Wright Field, Ohio, to Hokkaido, Japan: General Curtis E. LeMay's Letters to His Wife Helen,* 1941–1945 (Denton, TX: University of North Texas Libraries, 2015), 330.

"**There were a couple**... **that** kind of thing": Jane LeMay Lodge, interview by Barbara W. Sommer, San Juan Capistrano, CA,

September 10, 1998, Nebraska State Historical Society, available at http://d1vmz9r13e2j4x.cloudfront.net/nebstudies/0904_0302jane.pdf.

"**the temptation**... **greatness** of the end": George Slatyer Barrett, *The Temptation of Christ* (Edinburgh: Macniven & Wallace, 1883), 48.

Information about the impact of the March 10, 1945, Tokyo bombing is from R. Cargill Hall, ed., *Case Studies in Strategic Bombardment* (Washington, DC: Air Force History and Museums Program, 1998), 319, available at https://media.defense.gov/2010/Oct/12/2001330115/-1/-1/0/AFD-101012-036.pdf.

"**That the more densely**... '**paper** and ply-board structures' ": David Fedman, "Mapping Armageddon: The Cartography of Ruin in Occupied Japan," *The Portolan* 92 (Spring 2015): 16.

"**Probably more**... **history** of man": United States Strategic Bombing Survey, *A Report on Physical Damage in Japan,* June 1947, 95, available at https://dl.ndl.go.jp/info:ndljp/pid/8822320.

الفصل التاسع: "دمار مرتجَل".

Information about LeMay's bombing of Japan in the spring of 1945 is from C. Peter Chen, "Bombing of Tokyo and Other Cities: 19 Feb 1945–10 Aug 1945," World War II Database, available at https://ww2db.com/battle_spec.php?battle_id=217.

"**Our B-29s**... **Japan** had capitulated": Curtis E. LeMay with MacKinlay Kantor, *Mission with LeMay: My Story* (New York: Doubleday, 1965), 388.

Curtis LeMay's quotations in this chapter, unless otherwise noted, are from Reminiscences of Curtis E. LeMay: Oral History, 1971 (Air Force Academy Project, Columbia Center for Oral History, Columbia University Libraries, New York, NY).

"**What a kick**... **feeling** fine": J. W. Stilwell diary, September 1, 1945, quoted in Jon Thares Davidann, *The Limits of Westernization: American and East Asian Intellectuals Create Modernity, 1860–1960* (New York: Taylor & Francis, 2019), 208.

"**Was it possible**... **enemy** civilians?": Ronald Schaffer, *Wings of Judgment: American Bombing in World War II* (Oxford, UK: Oxford University Press, 1985), 180.

"**Deliberate terror bombing**... **hasten** Hitler's doom" and "**Our policy**... **civilian** populations": Mark Selden, "A Forgotten Holocaust: US Bombing Strategy, the Destruction of Japanese Cities, and the American Way of War from World War II to Iraq," *Asia-Pacific Journal: Japan Focus* 5, no. 5 (May 2, 2007), available at https://apjjf.org/-Mark-Selden/2414/article.html.

"**We have discovered**... **old** capital or the new": Erik Slavin, "When the President Said Yes to the Bomb: Truman's Diaries Reveal No Hesitation, Some Regret," *Stars and Stripes,* August 5, 2015.

"**It is striking**... **from** above?": William W. Ralph, "Improvised Destruction: Arnold, LeMay, and the Firebombing of Japan," *War in History* 13, no. 4 (2006): 517, doi:10.1177/0968344506069971.

"**Bygones are bygones**... **our** Air Self-Defense Units": Robert Trumbull, "Honor to LeMay by Japan Stirs Parliament Debate," *New York Times,* December 8, 1964, available at https://timesmachine.nytimes.com/timesmachine/1964/12/08/99401959.html?pageNumber=15.

Information about the dispute between George C. Marshall and Ernest J. King is from Richard B. Frank, "No Recipe for Victory," National WWII Museum, August 3, 2020, available at https://www.nationalww2museum.org/war/articles/victory-in-japan-army-navy-1945.

"**In his autobiography**... **something** he could have said": Warren Kozak, *LeMay: The Life and Wars of General Curtis LeMay* (Washington, DC: Regnery Publishing, 2009), 341.

خلاصة: "على نحو مفاجئ، سيختفي المنزل الجوي. بووف".

Information about the United Nations protocol banning incendiary weapons is from "Protocol III to the Convention on Prohibitions or Restrictions on the Use of Certain Conventional Weapons Which May Be Deemed to Be Excessively Injurious or to Have Indiscriminate Effects," United Nations Office for Disarmament Affairs Treaties Database, available at http://disarmament.un.org/treaties/t/ccwc_p3/text.

مكتبة
t.me/soramnqraa

telegram @soramnqraa

يدرس مالكولم غلادويل في هذا الكتاب، واحدةً من أكبر التحديات الأخلاقية في تاريخ أميركا المعاصر ضمن مزيج من القصص حول العبقري الهولندي وحاسوبه منزلي الصنع، وعصبة من الإخوة في ولاية ألاباما الوسطى، ومختل عقلي بريطاني، ومجموعة من الكيميائيين مهووسي الحرائق في جامعة هارفارد.

اعتبر معظم المفكرين العسكريين في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية أن فكرة الطائرة جاءت متأخرةً. ولكن عصبة صغيرة من الاستراتيجيين المثاليين والذين يدعون أنفسهم «مافيا قاذفات القنابل» تساءلت: «ماذا لو ساعد قذف القنابل بدقة على شل حركة العدو، وجعل الحرب أقل فتكاً؟».

ولكن على النقيض من ذلك، فقد كان قصف طوكيو في أكثر ليالي الحرب دمويةً من بنات أفكار الجنرال كورتيس ليماي، والذي أدى أسلوبه البراغماتي الوحشي وخطط الأرض المحروقة التي اتبعها في اليابان إلى مقتل آلاف من المدنيين، وربما يعد هذا الرقم قليلاً مقابل الخسائر البشرية التي كانت ستقع خلال الغزو الأميركي الذي خطط من أجله. يسأل غلادويل في كتابه: «هل كان الأمر يستحق ذلك؟».

ربما كانت الأمور ستأخذ منحى مختلفاً لو احتفظ سلف ليماي، الجنرال هايوود هانسيل، بمنصبه. لقد آمن هانسيل في خطة القصف الدقيق، ولكن انتصار ليماي في صراعهما على القيادة في أدغال غوام، أدى إلى أحلك ليالي الحرب العالمية الثانية. إن مافيا قاذفات القنابل قصة مثيرة عن الإصرار والابتكار وتكاليف الحرب التي لا تحصى.

ألف **مالكولم غلادويل** ستة من أكثر الكتب مبيعاً وفقاً إلى نيويورك تايمز، والتي تتضمن الحديث إلى الغرباء، نقطة التحول، المتطرفون، التفكير اللماح. كما أنه المؤسس المساعد في بوشكين إنداسترين وهي شركة محتوى صوتي تنتج ملفات البث الصوتي لمسلسل ريفيجيونيست هيستوري، الذي يعيد النظر في الأمور المهملة والتي أسيء فهمها، وبرنامج بروكن ريكورد، حيث يقابل غلادويل إضافةً إلى ريك روبين وبروس هيدلام موسيقيين من مختلف الأنماط. أدرج غلادويل في قائمة تايم – 100 التي تتضمن أكثر الناس تأثيراً ووصف على أنه واحد من كبار المفكرين العالميين في السياسات الخارجية.

ISBN: 978-614-01-3370-9

نيل وفرات .كوم
جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت في مكتبة نيل وفرات .كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com